تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث

الطبعة الثانية

صدر للمؤلفة عن دار الساقى

السياسة في واحة عربية

مضاوي الرشيد

ترجمة

عبد الإله النعيمي

دار الساقى

في ذكرى عبطا وابنتيها جواهر ووطفاء
<table>
<thead>
<tr>
<th>كرونولوجيا</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>إقامة السلطنة العثمانية في الحجاز</td>
</tr>
<tr>
<td>1517</td>
</tr>
<tr>
<td>إقامة السلطنة العثمانية في الأحساء</td>
</tr>
<tr>
<td>1550</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو خالد يثورون ضد العثمانيين في الأحساء</td>
</tr>
<tr>
<td>1670</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن عبد الوهاب يصل إلى الدرعية</td>
</tr>
<tr>
<td>1744</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمارة السعودية - الوهابية تتوسع في جنوب نجد</td>
</tr>
<tr>
<td>1792</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمارة السعودية - الوهابية تتوسع في القصيم</td>
</tr>
<tr>
<td>1780</td>
</tr>
<tr>
<td>قطرب والبحرين تعترفان بالسلطة السعودية</td>
</tr>
<tr>
<td>1797</td>
</tr>
<tr>
<td>القوات السعودية - الوهابية تغير على كربلاء في العراق</td>
</tr>
<tr>
<td>1801</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمارة السعودية - الوهابية تتوسع في الحجاز</td>
</tr>
<tr>
<td>1802</td>
</tr>
<tr>
<td>المدينة تعترف بالسلطة السعودية</td>
</tr>
<tr>
<td>1803</td>
</tr>
<tr>
<td>إنزال القوات المصرية في ينغ</td>
</tr>
<tr>
<td>1811</td>
</tr>
<tr>
<td>القوات المصرية تنهب الدرعية</td>
</tr>
<tr>
<td>1818</td>
</tr>
<tr>
<td>تركي بن عبد الله يعيد بسط السيطرة السعودية في الرياض</td>
</tr>
<tr>
<td>1824</td>
</tr>
<tr>
<td>الحكم السعودي يتسع في الأحساء</td>
</tr>
<tr>
<td>1830</td>
</tr>
<tr>
<td>اغتيال تركي بن عبد الله على يد ابن عمه مشاري</td>
</tr>
<tr>
<td>1834</td>
</tr>
<tr>
<td>العام</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
</tr>
<tr>
<td>1836</td>
</tr>
<tr>
<td>1838</td>
</tr>
<tr>
<td>1865</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1871</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1891</td>
</tr>
<tr>
<td>1892</td>
</tr>
<tr>
<td>1902</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1903</td>
</tr>
<tr>
<td>1904</td>
</tr>
<tr>
<td>1905</td>
</tr>
<tr>
<td>1908</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1912</td>
</tr>
<tr>
<td>1913</td>
</tr>
<tr>
<td>سنة</td>
</tr>
<tr>
<td>------</td>
</tr>
<tr>
<td>1915</td>
</tr>
<tr>
<td>1916</td>
</tr>
<tr>
<td>1924</td>
</tr>
<tr>
<td>1925</td>
</tr>
<tr>
<td>1926</td>
</tr>
<tr>
<td>1927</td>
</tr>
<tr>
<td>1928</td>
</tr>
<tr>
<td>1929</td>
</tr>
<tr>
<td>1930</td>
</tr>
<tr>
<td>1931</td>
</tr>
<tr>
<td>1932</td>
</tr>
<tr>
<td>1933</td>
</tr>
<tr>
<td>1939</td>
</tr>
<tr>
<td>1945</td>
</tr>
<tr>
<td>1946</td>
</tr>
<tr>
<td>1953</td>
</tr>
<tr>
<td>1954</td>
</tr>
<tr>
<td>عام</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>سنة</td>
</tr>
<tr>
<td>------</td>
</tr>
<tr>
<td>1992</td>
</tr>
<tr>
<td>1993</td>
</tr>
<tr>
<td>1996</td>
</tr>
<tr>
<td>1999</td>
</tr>
<tr>
<td>2000</td>
</tr>
</tbody>
</table>
القدمة

السرد السائد في تاريخ العربية السعودية في القرن العشرين هو السرد المتعلق بتكوين الدولة؛ تلك العملية التي بدأت في عمق الجزيرة العربية بقيادة آل سعود. وفي حين أن هذه القيادة لم تكون جديدة (كانت ظاهرة في تاريخ الجزيرة العربية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر)، فإن الدولة الحديثة التي نشأت في عام 1932 تتميز بإقامة مملكة وطيدة وراصة ضمت بنجاح الحجاز وعسير والإحساء بالإضافة إلى منطقة مجد الوسطى. وأخضعت الدولة أقواقاً مختلفة وأراضي شاسعة لسلطتها نتيجة حملة مديدة من الغزو.

كان المسار الذي اتخذه الدولة الجديدة في أيامها الأولى شبيهاً بدورية معهودة في المنطقة. فمنذ القرن الثامن عشر حاول عدة حكام محليين طموحين (من آل سعود وغيرهم) توسع سلطاناتهم إلى الأراضي المجاورة، ولكن محاولاتهم باعت بالفشل لأسباب مختلفة. وأقام آل سعود وحكام محليون آخرون كيانات سياسية لكنها زالت بعد فترة قصيرة من بلوغها مستوى علياً من التوسع. وإزاء هذه الخلافة التاريخية، كثيراً ما تعتبر الدولة التي قامت في عام 1932 قصة من قصص النجاح، والشخصية الأسطورية المجيدة في عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (ابن سعود من الآن فلاحقاً)، مؤسس المملكة العربية السعودية، هي السائدة في هذه القصة، والحقيقة المائلة في أن دولته لم تتخلف. كما اختفت إمارات كثيرة قبلها، أعربت مصداقية مادفة على القصة. هذا الكتاب محاولة لاستطلاع الاستمراريات والانقطاعات في التاريخ الاجتماعي والسياسي السعودي.

في القرن التاسع عشر بذلت محاولات عدة لإخضاع مزيد من الجزيرة العربية للحكم العثماني المباشر. وكان الهدف من الغزو العثماني - المصري للجزيرة العربية في عام 1818 والاحتلال العثماني للأحساء وعسير في عام 1871، بسط السيطرة العثمانية المباشرة على الجزيرة العربية. ولكن مناطق واسعة بقية من دون والعثمانيون. ونال عدة أمراء محليين في العمق اعتباراً بوصفهم "يحكمون باسم السلطان"، وأحياناً كانت ترسل إليهم أموال دعم وهدايا لتعزيز التحالف وتأمين الولاء. وكان العثمانيون يتوقعون من الحكم المحليين أن يلجؤوا أتباعهم من مهاجمة قوافل الحج والخليمات العثمانية المتمردة في مناطق حيوية مثل الحجاز والأحساء.
استمر هذا الوضع حتى هزيمة الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى. وفي حين أن الشريف حسين في الحجاز وقف بنشاط إلى جانب بريطانيا ضد العثمانيين، فإن حكمًا ثابتًا، أخيرًا قرروا الابتعاد عن حرب لم تؤثر في إماراتهم تأثيرًا مباشرًا. وأعلن ابن رشيد في حائل ولائه للسلطان العثماني من دون أن يسهم بأي دعم عسكري جدي، بينما اتخذ ابن سعود في الرياض جانب البريطانيين من دون أن ينخرط أخراً مباشرًا في الحرب ضد العثمانيين.

إذًا ذلك، ماذا كان مآل الجزيرة العربية بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى؟

عندما تقاسمت فرنسا وبريطانيا الأقاليم العثمانية بموجب نظام الانتداب، وقعت الجزيرة العربية ضمن دائرة النفوذ البريطاني. ولكن الجزيرة العربية لم تصبح مستعمرة شبهية بالمستعمرات الأخرى في الإمبراطورية البريطانية. وأقامت بريطانيا خلال الحرب علاقات وثيقة مع قوى محليين كبار، كما الشريف حسين وابن سعود، ولكنها أخفقت في التوفيق بين دعاوى احتلالها. ومع ذلك، وانتقلت سياسات بريطانيا المناقضة ونفوذها بفعل إقراض بريطانيا للمملكة السعودية.

هكذا نجد أن بريطانيا امتلكت الجزيرة العربية وقادرة أكثر بعدم خلق الفوضى. وأخذت الجزيرة العربية كجزء من تشكيلات قوية في الحجاز والأخير في ظل وثيقة الاتصالات بين الشريف حسين لصالح ابن سعود الذي استولى على الحجاز في عام 1925 خالقاً الأسرة الشريفية في المملكة العربية السعودية. وفي عام 1932، أعلن ابن سعود نفسه ملكاً، ودائرة سلطانه المملكة العربية السعودية.

أدى ضم جماعة سماه بـ "البناي" إلى الإمبراطورية العثمانية وحقيقة أنها لم تصبح مستعمرة مثل بلدان عربية أخرى، بالرغم من الاتهامات إلى التعليق على تاريخها الفريد. وكثيرًا ما تعتبر دولتها الحديثة تكويناً موحياً النيل من الجهود الفريدة لمؤسسها ابن سعود. وفي حين أن العربية السعودية لم ترث إدارة استعمارية أو خدمة قومية متماثلة للنخب التي نشأت في أماكن أخرى من العالم العربي. فإن الحدود يجب ألا يباح بتاريخها الفريد، ذلك أن بريطانيا لم تحول العربية السعودية إلى مستعمرة، ولكن النفوذ البريطاني خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين كان بالغ الأهمية. ويعتبر تأجيل نجاح ابن سعود في قهر المنطقة تلمع الأخرى من دون دعم بريطاني. وكانت الإمبراطورية العثمانية التي أعترافاً الضعف سلمت بقهر الأحساء.

8
عام 1913. وأذ عجز العثمانيون عن إعادة الوضع إلى سابق عهدها اعترفوا بابن سعود حاكماً في واقع الأمر المنطقة جد. وأقرت بريطانيا بذلك لاحقاً في عام 1915، عندما اعترفت بأن «نجد والأحساء والقطيف وجبيل وتوابعها هي مناطق ابن سعود». وعلى الغرار نفسه لم يكن قهره الإمارة الرشيدية مكناً إلا بتسليم وقوع سحي من بريطانيا. وحدث تمده في الحجاز في وقت أخذت بريطانيا تضيق ذرعاً بطلب الشريف حسين التي بدا أنها تشكل تهديداً للتصالح البريطانية. وكانت بريطانيا أكثر من سعية برؤية الشريف حسين بعيداً عن الحجاز مع تنصيب ولده فيصل وعد الله على عرشه ملكتين حديثتين التأسيس في شرق الأردن والعراق. وطيلة العشرينات والثلاثينيات ظلت بريطانيا اللاعب الخارجي الرئيسي وراء تكوين الدولة السعودية. وفي حين أفتلت العربية السعودية من بعض مراحل الحكم الاستعماري المباشر، فإن تكوين الدولة وتوحيد الجزيرة العربية تحت لواء سعودي يجب أن يفهم في سياق التدخل البريطاني في الشرق الأوسط. فالنفوذ البريطاني لم يتراجع إلا بعد الحرب العالمية الثانية عندما شرعت الولايات المتحدة الأمريكية تضطلع بدور أكبر.

لكن القول بأن الدولة السعودية التي نشأت عام 1932 كانت «صناعة» بريطانية يُغفل جانباً هاماً من الدينامية الداخلية التي شكلت الدولة وأدت إلى توطئها. إذ لعل بريطانيا كانت قوة أساسية وراء تكوين الدولة، بيد أن ظهور الدولة السعودية وتوطئها كانا نتيجة عملية معقدة لا يمكن أن تنسب إلى أي عامل خارجي أو وحد.

شهد القرن العشرين انسحاب دولة فرنسا على الناس بلا ذاكرة تاريخية من الوحدة أو الإرث الوطني الذي يبرر ضمهم في كيان واحد. وباستثناء وجود أقلية شيعية كبيرة في الأحساء، فإن غالبية السعوديين هم من المسلمين السنة. ولكن السكان كانوا منقسمين بفعل اختلافات إقليمية وقبلية تعمل ضد الوحدة الوطنية أو التوحيد. وكانت العربية السعودية تشتهر في هذه السمة الهامة مع عدة بلدان عربية نشأت خلال الفترة الواقعة بين الحروب العالميتين. وفي حين أن حضور العديد من الدول العربية رسمت بوجه سياسات فرنسية وبريطانية، فإن «توحيد» المناطق الأربع التي تألفت منها العربية السعودية (نجد والأحساء والاحجاز وعسير) كان نتيجة قهرها على يد قيادة محلية بتشكيل من قوة استعمارية.

كان توحيد الجزيرة العربية بقيادة ابن سعود عملية دامت نحو ثلاثين عاماً. وخلال الفترة الواقعة بين 1902 و1932 هزم ابن سعود منافسين عديدين حتى بلغ ملكه الحدود المقبولة
لبريطانيا. وحيث كانت فرنسا هي القوة الاستعمارية قامت جمهوريات. ولكن في العربية
السعودية أنشئت مملكة. كما في مناطق من العالم العربي كانت بريطانيا صاحبة النفوذ فيها,
وهي شرق الأردن والعراق.

بيد أن العربية السعودية تختلف عن البلدان العربية الأخرى. فإن فتوحات ابن سعود لم
تحقق في إطار خطابية قومية أو خطاب الاستقلال والحكم الذاتي. وباستثناء الحجاز التي ظهرت
فيها خطابية كهذه خلال الثورة العربية (1916) بالارتباط مع الشريف حسين الذي كان يطمح
إلى أن يكون «ملك العربي»، فإن باقي العربية السعودية لم يعرف مثل هذه التطلعات. يضاف
إلى ذلك أن بريطانيا لم تكن متميزة بجهوذها الكبيرة لتوليد خطابات في الاستقلال والحكم
الذاتي.

لقد تحقق حكم حاكم محلي على الجزيرة العربية بفرعات رمزية مختلفة للغاية. واعتماد
ابن سعود على دعوات سلفية لحكم منطقة كانت «ذات يوم ملك أجداده»، وعندما عاد إلى
الرياض من منفاه في الكويت عام 1902 لم يكن يفعل سوى إحياء دعوات آل سعود يحق لهم في
المدينة أو توسيعها. وعلى الغرار نفسه، فإن التمدد اللاحق في القصيم والأحساء وشمال جد
والحجاز وعسير جرى بنيته إعادة سلطة أسرته على مناطق كانت خاضعة في السابق للقيادة
السعودية. وكان ذلك يشير إلى الواقعة قصيرة العمر في القرن الثامن عشر عندما نجحت الإمارة
السعودية – الوهابية الأولى (1744 - 1818) لفترة قصيرة في مد مشارف السيطرة السعودية
أبعد من عاصمتهم الإقليمية الصغيرة: الدرعية. وأثبتت هذه السابقة التاريخية كونها مبرأً
للتوسع في العقود الأولى من القرن العشرين.

غير أن هذا المبرر وحده لم يكن كافياً لإقناع غروماً ابن سعود المحليين بقبول حكمه.
وكان ذلك القوة سلاحاً أمضى من الدعوات السلفية المهمة. ولم تضم غالبية المناطق إلى ملك ابن
سعود إلا بعد أن دحر مقاومة القيادات المحلية. ومن ثم الإكرام بتسلوقي، مع اتباع الوهابية;
الحركة الإصلاحية التي دفعت في السابق سكان جنوب نجد إلى التوسع أبعد من عمق الجزيرة
العربية. ومنذ عام 1902 جدد ابن سعود «مطاوعة» نجد (الذين كانوا مختصين بالطقوس
الدينية) في عملية التوسع. وكان «المطاوعة» وراء تشكيل «الأخوان»، الذين كانوا قوة
عسكرية قليلة نذرت نفسها للقتال باسم الجهاد ضد «الكفار»، وهم فئة محددة بباطلية كانت
أحياناً تشتمل من لم يكن من السهل إقناعهم بقبول الزعامة السعودية.
كان مشروع توحيد الجزيرة العربية عملية تدريجية ساهمت فيها عدة عوامل خارجة عن سيطرة ابن سعود. فإن هزيمة الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى والتشنج البريطاني، مكّنا ابن سعود من ملء فراغ السلطة الذي نشأ في الجزيرة العربية. وما كان ليتمكن بسهولة توحيد مناطق مترامية تحت حكمه بعدما ضمن الرياض في عام 1902. وتميل التدويلات الشائعة في تاريخ هذه الفترة إلى رسم صورة لابن سعود بوصفه «محارباً صهاوياً» كانت لديه العبقرية وبعد النظر من البداية. وقد استغرق الأمر ثلاثين عاماً وأكثر من 50 معركة بين 1902 و1932 قبل أن يحقق المشروع، وكانت فكرة إنشاء دولة سعودية تطوراً متأخراً، لا يرتبط قطعاً بغزوات ابن سعود الأولى.

وفي حين يصعب تحديد ملكة باسم العربية السعودية من دون ابن سعود، فإن على المرء أن يذهب أبعد من المجرزات والعبقرية الفردية. ذلك أن للأفراد والوساطة أهميتيهم ولكنهم يتحركون في سياق تاريخي يحدد نجاحهم وفشلهم. وأنا أعتزم الابتعاد عن التاريخ الذي يجد دور فاعلين أفراد، والتركيز على التفاعل بين الأحداث التاريخية والمجتمع مفاضياً إلى توطيد الدولة السعودية التي قامت في عام 1932. ويسيج القارئ أن هذا الكتاب لا يتضمن أي حدود زمنية واضح يسطر معركة تلو أخرى لتحقيق المراحل الناجحة في توحيد الجزيرة العربية. كما أنه لا يتضمن جدول زمنياً لعهود الملوك الذين تعاونوا على الحكم منذ عام 1932. فقد اعتمدت بدلاً من ذلك مقاربة ذات موضوعات محددة تنسكب الضوء على أهمية المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بهدف استطلاع تفسير ممكن لنشوء الدولة السعودية وتوطدها اللاحق.

ما يتسم بأهمية حاسمة في أي فهم للتاريخ السعودي الحديث أن يلاحظ أن هذا التاريخ يبين وجود تعابيش لافت بين القديم والحديث. وموقع العربية السعودية بوصفها مقر أقدس مقدسات الإسلام يكمن في صميم هذا التعابيش. ويعتبر هذا أن السياسة الداخلية السعودية والمجتمع السعودي ليسا من شأن المواطنين السعوديين قليلي العدد نوعاً ما فحسب، بل هما أيضاً موضوع اهتمام ملابي المسلمين في العالم. إذ لا يمكن المغالاة في تقدير ما تتمتع به العربية السعودية من أهمية رمزية للإسلام والمسلمين. وقد بات لรามاً على شعبها ودولتها أن يصوناً تراثها الإسلامي. كما أن من الضروري الحرص على المسؤوليات الناجمة عن المصادفة الجغرافية
التي لم تجعلها موثق الحجاج المسلمين فحسب، بل وقبلة صلواتهم اليومية الخمس أيضاً. وتحول البلاد في القرن العشرين يتحدد بهذه الحقيقة الهامة التي تطلبت انغماراً حزاً وتمتعاً في الحداثة. وجرى الحفاظ على "القديم"، على التقليد "الأصيل" مع غيّر على "الجديد" و"الحديث" و"الغريب". وكان التقليد الإسلامي المحدد للعربية السعودية، وهو التعليم الوهابي، لا يشجع على الاختراق بسهولة في القرن العشرين. ومن البداية اعترضت طريق الفئة الحاكمة عقبات عديدة عندما أدّت أبسط التكنولوجيات (منها السيارة والتلفاز والتلفزيون من بين مبتكرات أخرى). وذلك اعترضات الدوائر الدينية المحافظة باجمع بين القوة والمفاوضات وأثبت التغيير الاجتماعي والسياسي كونه أكثر إشكالية، ولم يكن بالوسع تحقيقه من دون سجالات هدّدت استقرار البلاد الداخلي واستبعد قطاعات هامة ونافذة من المجتمع.

بالإضافة إلى إرثها الدين المحدد وواجهت العربية السعودية الحداثة تنوع سكانها إجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. فقد ضمت الحجاز والأنهار الكوزموبوليتان تاريخهما العديد من الاحتكاك بالعالم الخارجي، إلى العمق، إلى المنطقة التي بسطت سيادتها مع توطيد الولاء الحديثة برغم عزلتها النسبية طوال السنوات المتتالية السابقة. وجرى تعليم قيم نجد الاجتماعية وتقليديها السياسي على البلاد بأسرها عبد عام 1932. وكانت مقاومة التغيير الاجتماعي والسياسي المستمر دائماً متناقض من نجد حيث ما زال من الممكن العثور على أكثر العناصر محافظة في المجتمع حتى في مطالع القرن الحادي والعشرين. وتضافر التقليد القيمي العربي في العميق مع التأويل المتزاحل للإسلام في المدينة والوادي القليلة جعل هذه المنطقة أشد المناطق مقاومة ضد "البداع". ونظرًا إلى أن وفاة آل سعود كانت دائماً تستدّد إلى وراء جماعات نجد الحضرية فإن حكمها اعتمدت على مرايا مصالح هذه المنطقة وتطابعاتها وتقليديها السياسي.

أظهر التوفيق بين القديم والجديد أشد طأحاً مع اكتشاف كميات ضخمة من النفط في باطن المناطق الصحراوية من العربية السعودية. وبالنفط، أخذت الدولة السعودية تتلك تحت تصرفها ثراء غير مسبوقة لتشديد بنيتها التحتية الاقتصادية والمالية وتحويل مشهدتها حتى لم يعد من الممكن التعرف إليه. وفي مجري العملية، واجهت الدولة والمجتمع على السواء تحدياً ملحاً: هل يمكن الحفاظ على التقليد التجدي "القديم"؟ هل يمكن له أن يتعايش متجاوزاً مع "الجديد"؟ هذان السؤالان أثبتا كونهما صعبين، بصفة خاصة في مجتمع عاش تحديماً متسارعاً.

12
وأثارت القضية المتمثلة في كيف تمكن الإفادة من الثروة النفطية مع مواصلة الإيمان بالإسلام والوفاء للتقليد. توترت بلا حل رافقت بناء الدولة والأمة منذ أوائل الثلاثينيات. الاستعمار أو غيابه لا يمت إلى هذا بصلة لأن العربية السعودية زجت في السياق الدولي وسياسة القوى الدولية منذ العقود الأولى للقرن العشرين. ومع اكتشاف النفط في الثلاثينيات أصبح اندماج العربية السعودية بالاقتصاد العالمي جنباً جنباً من تطورها التاريخي.

الفصل الأول يُرسى الخلفية التاريخية لتكوين الدولة السعودية الحالية. وهو يتناول حكم آل سعود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بـإعادة إعداد المسرح لانبعاث قياداتهم مع الاستيلاء على الرياض في عام 1902. كما أنه يحدد مراكز القوى الرئيسية في جنوب والحجاز والأحساء، التي تُحدّت سلطتهم في السابق. ويُشخص هذا الفصل "الإمارة" بوصفها شكلاً من أشكال التنظيم السياسي سائداً في تاريخ الجزيرة العربية. فالإمارة مُمتدة من المركزية السياسية كثيراً ما يُشار إليها في الأدب على أنه سلالة (الرشيد) (1991) أو مشيخة (كوستاينر 1993: 2000) لتمييزها عن "الدولة" التي يُعتقد أنها تطور لاحق.

الإمارات الأولى في وسط الجزيرة العربية كانت في أحيان كثيرة تشارك بعدم السمات:

أ. تسرب أسر حاكمة مرمز تقمّب في الواحات أو المدن.
ب. صراعات ضارية على السلطة داخل الأسر الحاكمة وحدود متغيرة.
ج. التوسع بالغزو والغارات.
د. فرض ضريبة إسلامية (الزكاة) أو أتاوة على المناطق المتهورة.
ه. تشبيت الحكام المحليين أو الاستعاضة عنهم أحياناً بممثلين/حكام.
و. الحفاظ على القانون والنظام.
ز. اقتصاد مختلط من التجارة والزراعة والبداوة الرعوية.
ح. تدفق فائض اقتصادي من أطراف الإمارة إلى المركز حيث يعاد توزيعه لكسب الولاء والمبايعة.
ط. إقامة صلات مع قوى خارجية، لا سيما الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر ثم بريطانيا لاحقاً، وكانت كلاهما مصدر موارد جديدة من خارج الاقتصاد المحلي.
وفي حين أخفقت الإمارات السابقة في توحيد الجزيرة العربية، فإن بعضها نجح في إقامة دواعر نفوذ على مناطق بعيدة عن مركز الإمارة. وفي القرن التاسع عشر سعى أشخاص الحجاز والسعود وأ主義 شديد في وسط الجزيرة العربية، جميعهم، إلى تعزيز إمارات لديها السمات أنفية الذكر. وقيت هذه الإمارات هدنة وبدأت على التنافس مع بعضها البعض في محاولة للسيطرة على أجزاء من الجزيرة العربية. إذ لم يكن لدى الأشخاص طموح للسيطرة على وسط الجزيرة العربية. كانت أنظمة موجهة صوب اليمن. وكان الشخصيون السعوديون يتنافسان في وسط الجزيرة العربية، وكانت قوى خارجية (مثل العثمانيين وبريطانيا) تقدم أحياناً بتآتي صراعهم. وكثيراً ما كان هذا يؤدي إلى تصعيد الحرب بين إمارات تطرد إلى التوسع أبعد من أراضيها المركزية.

إن مزاعم «الفوضى» و«التشويق» في سياسة الجزيرة العربية قبل نشوء الدولة الحديثة في عام 1932 إما هي طروحات خاطئة تعجز عن تفسير تاريخ المنطقة الحديث. فجزيرة العربية عرفت المركزية السياسية متبدية بانشقاق إمارات محلية أقيمت في واحات العمق الكبرى والحجاز. وفي حين أن هذه الإمارات لا يمكن أن تسمى دولة مكتملة، فإنها بدأت محاولات منتظمة ومقبولة عموماً لإخضاع سكان وأراض إلى سلطة قيادة ذات قاعدة مدنية. وحقيقة أن مثل هذه الإمارات فشلت كلها في إقامة كيانات سياسية دائمة، ينبغي أن نقلن من أهميتها لفهم بنى سياسية سابقة وفهم الشكل الحالي؛ دولة 1932.

في حالة الإمارة السعودية - الوهابية الأولى (1744 - 1891) والإمارة الثانية (1891 - 1892)، ساهم انتفاض من التحالفات القبلية في عملية التوسع. ولكن القوة الدافعة الرئيسية وراء توطيد الحكم السعودي كانت من جماعات تجند الحضرية، سكان المدن والواديات. فالوهابيون ظهروا بين الحضر مقدمين بذلك مبرراً آيديولوجياً للتوسع وإقامة نظام أخلاقي وسياسي إسلامي. وفي حين أن البدو قاموا بدورة بارزة في الغزو فإنهم ظلوا هامشيين على مستوى القيادة. وكان هذا يصح أيضاً على الإمارات الرشيدية والشريفية حيث كانت القيادة تتوزع بالدرجة الرئيسية من نسب قبلي حضري في حالة الأولى، ومن نسب ديني له قديسه في حالة الثانية.

الإمارات السعودية - الوهابية كانت المقدمات التي أفضت إلى الدولة الحديثة. فالدولة السعودية التي نشأت عام 1932 كانت في أيامها الأولى مشابهة لما سبقها. ومع اكتشاف النفط في العربية السعودية استطاعت الدولة أن تقلت من نقطة الإمارة.
الفصل الثاني يتبع قصة غزو ابن سعود للجزيرة العربية بين 1902 و1932 من دون الخوض في تناصيل المعارك المختلفة التي أسفرت عن توحيد البلاد تحت القيادة السعودية. وهو بدلاً من ذلك يعالج دور الدين الإسلامي في السياسة ويبسط الوضع على القسط الحاسم الذي ساهمت به قوة لا تُحظى باهتمام كافٍ في الأدب الخاص بالعربية السعودية، أي "مطاوعة".


سيجة هذا الفصل بأن صيغة محددة من ذلك الإسلام الطقوسي الذي نادى به علماء الدين伊斯兰 في Twitch ملك ابن سعود. وكثيرًا ما تعتبر الوهابية مصدر شرعية الحكم السعودي ولكن هذه الشرعية كانت تتطلب ما يضفي عليها طابعًا مرتقبًا وقيقليًا، و"البطيئة" كانوا وسائط نشيطة في هذه العملية. فهم دجنوا السكان باسم الإسلام ولكنهم فرضوا السلطة السعودية أيضًا تحت ستار برنامج شارم لـ "لسلمة" سكان الجزيرة العربية. وكانت القيادة السعودية "البطيئة" يقبلون مصالح الجماعات الحضرية الجدية على حساب مصالح الجماعات القبلية البدوية. وعلى الرغم من أن السكان القبليين كانوا أداة عسكرية هامة في توسع الحكم السعودي بعد عام 1912، فقد همروا فور إنجاز عمليات الغزو الكبرى في أواخر العشرينيات. وكانت فكرة بناء دولة سعودية بكل تأكيد ناجحة "البطيئة". وهم جماعة حضرية كانت تنذر إلى العناصر القبلية والبدوية على أنها تقي نظام الأخلاق الإسلامي.

هذا التفسير لأصل الدولة السعودية سيصحح توصيفات رائعة للدولة على أنها دولة قبليّة أو "الحدودية"، وفي حين أن التنظيم الاجتماعي القبلي كان سائداً بين قطاعات هامة من المجتمع، فإن القبلية السياسية قامت بدور ثانوي في تحديد شكل الدولة الناشئة. ودورة الدولة السعودية التي نشأت في عام 1932 إنها هي دالة للحقيقة المثلثة في أنها لا تمثل مصالح فئة قبليّة/حدودية واحدة لأن قيادتها مستمرة من خارج التجمعات القبلية الكبرى في الجزيرة العربية. ومن هنا قدرة هذه القيادة على القيام بدور الوسيط بين القبائل المختلفة والجماعات الحضرية ومناطق الجبال وعسير الأكثر كوزمونوفييت.

بعد إعلان الدولة في عام 1932 بقيت هناك مهمة احتفظ على الولاء والسيرة. وكانت استمرارية القرابة تكتمل على إيجاد أسرة ملكية قادرة على توفير ملك مستقبل. وفي الفترة الواقعة بين 1932 و1953، عمر ابن سعود إلى تهميش فروع ثانية من آل سعود وتعزيز نسبه (الفصل الثالث). وخلال هذه الفترة أدت مصادر عديدة مع أسر نبيلة ودينية في الجزيرة العربية إلى مولد أكثر من 40 ولدًا للسعودين ملك المستقبل وأمراء وولادته. وفي حين أن
الأعمال التي تتناول اتحادات ابن سعود العسكرية تسلط الضوء على ما فيها من إمكان لبناء احتجاجات مع قطاعات هامة من المجتمع، فإن المصادرات أوجدت تبعية مدمرة للقادة السعوديين الحاكم. وكان ذلك في وقت كانت بنيان الدولة تحتوي، وجهازها البيروقراطي، ومنه، غير موثقة للغالبية السعودية. وفي غياب الموارد الاقتصادية الكبيرة لتعزيز السلطة على المناطق المقهورة جرى توطيد الدولة السعودية بالمصاحبة.

يضاف إلى ذلك أن موارد الدولة الشجاعة في الحق ما قبل النفطية تجلت في ولائم باسمة وعطايا نقدية وعينية. ووجدت السلطة في سياق البلاد الملكي الذي كان هو الدولة السعودية. ومنح منهم الأبهة الملكية منظورًا جديًا لتوطيد هذه الدولة ويبين استمراريتها مع فتح الإمارة. وعلى نحو يذكر بشيوخ القبائل وأمرائها، وطب ابن سعود سلطته بتحويل البلاط الملكي إلى مركز لإعادة توزيع الموارد وخصوصتها. وهو كان يأخذ في نتاج من قطاعات معينة في المجتمع ويعيد توزيعه على قطاعات أخرى طلباً للمبتعية والولاية. ولم يكن توطيد الدولة السعودية خلال تلك الفترة المبكرة يعتمد على «مؤسسات» و«أجهزة بيروقراطية» و«إدارة» (فهذا لم تكون موجودة)، بل كان دالة أليات اجتماعية وثقافية غير رسمية، خاصة بالجزيرة العربية.

وفي حين أن العمر لم يتعيد الحياة ابن سعود ما يكفي لأن يرى التحول الذي طرأ على الدولة السعودية والمجتمع السعودي، فإن اكتشاف النفط في أواخر الثلاثينيات أتاح له تعزيز موقعه بوصفه مصدر الثروة والرخاء الرسمي. وأصبح الملك مصدر كل المكاسب، وقد صارت بتصوره موارد لم يعرفها قبله حكام في الجزيرة العربية. وخصصت موارد مالية كبيرة لبناء قصور خفية لأفراد القادة الحاكم واستقبال الأجانب وللبلط الملكي. ولكن جهاز الدولة البيروقراطي ومؤسساتها بقيت ناقصة التطور في عهد ابن سعود. وكان الملك حاكماً مطلقاً بإمالة بعض المسؤوليات بأبنائه. وولت تطوير البنية التحتية للبلاد تطويراً متواضعاً في تلك الفترة، وأرامكو»: شركة النفط الأمريكية التي أنشئت من شركة «ستاندارد أوبال أوف كاليفورنيا» (SOCAL) Standard Oil of California (سوكال) 1932.

توفي ابن سعود في عام 1953، كما كان متوقعًا. ورثه نجله سعود (الفضل الرابع). وشهد عهد الملك سعود صراعاً ضارياً داخل الأسرة الملكية. وقد واجه سعود تحدي شقيقه ولي العهد.
فيصل، الذي خُصِّم بتناوله عن العرش في عام 1964، وكان الصراع ناجماً عن سوء إدارة سعود لأموال الدولة. ولكن الأهم أن الصراع أفرز القبارض بين ورثة الكبار قضية محضة هددت استمرارية الدولة. أصبحت كيفية تقسيم ميراث ابن سعود بين ورثة الكبار قضية ملحة. واردت الوضع تفاقماً برغبة سعود في تحقيق أبائه في الحكم على حساب الكبار من أخوته غير الأشقاء. وأفضى الصراع إلى ظهور أجنة متناقضة داخل الأسرة الملكية لم يكن بالوسيلة التوفيقية بين مصالحه إلا بإلحاق سعود عن العرش. وخرج فيصل من الصراع بسلطات معاقبة ما كنه من الحكم ملكاً وأول رئيس وزراء مع تعيين أنصار مجندين من بين أشقائه الملكيين الموالين في الوزارات الحساسة.

واجه ورثة ابن سعود تحديات كبيرة مع التحديث المتسارع وتحول المشهد وظهور خطابات جديدة تتبادر إلى الذهن. وأصبح شعار الملك فيصل، "الحدثة في إطار إسلامي"، إشكالاً بصورة متزايدة في الأيام الأخيرة من عهده. وفي السيناريوهات اعتبرت القومية العربية بنسختها الناصرية والعربية تهديداً لاستقرار الحكم السعودي، فوجد فيصل في الإسلام أيديولوجياً مضادة للدفاع عن سلامة الدولة السعودية وشرعيتها وسط حملات الخصم والغراوة في العالم العربي. ولكن ترويج الهوية الإسلامية للدولة السعودية كان إشكالياً.

تمكن فيصل من لفت انتباه العالم إلى العربية السعودية عندما أعلن الحظر النفطي على الولايات المتحدة والغرب في عام 1973 (الحصار الخامس). وتحولت العربية السعودية من الهامش إلى مركز السياسة العربية والدولية. وفي السبعينيات زادت تأثيرها الجديدة من انكماشها ودافعت قيمتها إلى البحث عن قوة خارجية توفر لها الحماية. وأصبح الارتباط السعودي-الأمريكي إشكالياً حين كشف عن التوتر بين نظرة فيصل الإسلامية إلى العالم وعلاقاته الوثيقة مع الولايات المتحدة.

شهد خالد وフェد وريثاً فيصل، ظهور قوي وتحديات جديدة. وكان حصار المسجد الكبير في مكة في عام 1979 أول تحدي كبير لشرعية الفتاة الحاكمة منذ مرحلة "الأخوان" في عام 1972. وكشف حصار المسجد عن التوتر بين الدولة ودينيها ذاته. وكان من الضروري إيجاد صيغة لتوفيق بين ثروة الدولة الطائلة وراء الإسلام الوهابي. وتسبب التعارض بين الدوامات الدينية والأممية الملكية وانكماش الأسرة الحاكمة إلى هجمات من صفوف أشد أنصارها ولاً المؤسسة
الدينية)، في صمده لمراقبين في الداخل والخارج كانوا يعتبرون العربية السعودية من أكثر الدول
استقرارًا في الشرق الأوسط. إن بحث الدولة السعودية الدائب عن سبل التوفيق بين "القديم"
و"الجديد" انهار حصار المسجد.

ظهرت أبرز التطورات الاجتماعية والسياسية خلال حرب الخليج الثانية في عام 1991
(الفصل السادس). وسيذكر العقد الأخير من القرن العشرين بوصفه وقتاً عصيباً على الفئة
السعودية الحاكمة. فإن معارضين في صفوف أولئك الذين كانوا في السابق أنصار آل سعود، أي
علماء الدين، بدأوا يشكون في حقهم في الحكم وحكمتهم السياسية وسياساتهما الاقتصادية
وعلاقاتهم مع الغرب. واستجابت الحكومة بإجراء إصلاحات واسعة كانت موعودة من قبل
لكنها لم تنفذ قط. وفاجأ تنامي قوة المعارضة الإسلامية مراقبين في دولة تدعي الحكم بموجب
مبادئ الشريعة. الفصل السادس يقوم أصول المعارضة الإسلامية والمحاولات الرامية إلى
استطلاع خطاب أكثر عناصر هذه المعارضة مجازرة بآرائها فضلاً عن استطلاع خطابيتها.

أو اعتمدت الدولة اعتصاداً كبيراً على تصوير نفسها حامية الإسلام في سعيها إلى
الشرعية، فإنها كانت تراهن أيضاً على مرويات تاريخية تبرز دورها في تحديد البلاد. وينظر
الفصل الأخير في مرويات الدولة كما ترد في التأريخ الرسمي. فالدولة السعودية توظف الكثير
في تكوين المخيلة التاريخية لشعبها. وفدت هيئة البلاد في ظل الحكم السعودي أساس شرعية
جديدة. وفي حين أن الدولة تسعي على البنية التحتية والموارد المادية فقد ازدادت أهمية توسيع
هذه السيطرة لتشمل مجال الأفكار الرمزية ورؤى الماضي والحاضر والمستقبل. ومن الهم معاينة
مสอน كتب التاريخ المقررة في السعودية لفهم شرعية الدولة وبناء الأمة. وتركز الدولة في
مثل هذه الكتب المدرسية على سعيها إلى التوفيق بين تراث البلاد الإسلامي والتزامها
بالتحديث.

مناسبة مرور مئة عام على قيام الحكم
السعودي. كيف تشتت الدولة سكانها انقضاحهم بالأنساب. فإن مرويات الدولة تدعو
المواطنين إلى التخلي عن أصولهم لصالح الأمة (أمة المسلمين) محتفظة في الوقت نفسه بنسبها
الذي يبدأ من ابن سعود ؛ الجد الأول مؤسس الدولة والأمة. وباحتفالات الجذور المئوية عمدت
الدولة عبادة الفرد حول هذه الشخصية التاريخية. ولكن سيريات الدولة السعودية تواجهها
أيضاً طروحات تتحدى التأريخ الرسمي. فإن مجتمعاً يزداد تعلماً وثقافة قادر على الاتخاذ في
مناظرات حول هويته وتاريخه. والسعوديون الذين أفادوا من اتساع التعليم منذ السنتينات
يشاركون في النقاش حول الأصالة والتراث والتقاليد ومستقبل البلاد. وهم يتقدمون بسرديات
مضادة تفوض استغناء الدولة بالمخيلة التاريخية.

حاولت أن أقدم تفسيراً لتاريخ السعودية لا يزكي الرأي الرسمي السائد. فهذا الكتاب لا
يتوقف عند منجزات السنوات المئة الماضية، وهي موضوعة سائدة في بعض الأعمال وخاصة
الأعمال التي تنتج برعاية الدولة. وفي مثل هذه الأعمال تغري العملية التاريخية في غمار الدعاية
لأسباب سياسية واضحة. وأنا أقدم تفسيراً للمعطيات التاريخية يفرد حيزاً لقصص لم تروق
من قبل في سياق تفسير نظري للتاريخ السعودي والدولة السعودية والمجتمع السعودي.

إن منجزات الدولة محسوبة مفردات الرخاء المادي والتكنولوجيا والخدمات الصحية الحديثة
والتعليم، منجزات وفيرة ومرثية للناس داخل العربية السعودية وخارجاً. والدولة تجد جهودها
في هذه المجالات. وحلفاً بالعبد الوطني السعودي (عهد في 31 أيلول/ سبتمبر) تنشر وزارة
الإعلام إعلانات في صحف محلية ودولية تطلع القراء على عدد المدارس والمستشفيات
والمطار والموانئ التي بنيت برعاية آل سعود. وعلى الغرار نفسه، نال استقرار النظام
السياسي النسبي إعجاب مراقبين من الخارج في منطقة شهدت فشل وحروباً أهلية وانقلابات
وثورات. وفي السنوات الأخيرة صدرت مجلدات تفسير استقرار الحكم الملكي وبياءه لا في

ولكن كتابة تاريخ العربية السعودية في القرن العشرين ينبغي أن تستطيع الدينامية
الاجتماعية الداخلية التي حددت طابع هذا البلد ونظامه السياسي والتأقلم مع التغيير المتسارع.
ولفهم السنوات المئة الأخيرة يتعين أن بقيم المهرّ حواراً لا ينتهي بين الحاضر والماضي» (كار
1961: 3). وهذا الحوار لا يكمن أن يسكته التحول المادي الواضح، بل ينبغي أن
يكتشف تقدم التحول ذاته وتوتراته وتناقضاته.
الفصل الأول

الجمع والسياسة: 1744 - 1828 و421 - 1891

مارست الإمبراطورية العثمانية سيادة اسمية على الأراضي التي تشكل اليوم جزءًا من المملكة العربية السعودية بعد توسعها الكبير شرقًا في الرابع الأول من القرن السادس عشر. وعندما احتل سليم الأول مصر في عام 1517 ورث الوضاءة على الحجاز عندما سلمه آخر المماليك مفاتيح مكة، وأصدر السلطان العثماني فرمانًا يؤكّد أمير مكة، شريف بركات، في موقعه. واضطحل السلاطين لاحقًا بتغيير الولاة في جدة والمدينة (السابع 1884 : 344)، وحكموا الحجاز 400 سنة بالتعاون مع الأسرة الشريفية.

وفي حين أن ضم الحجاز إلى الإمبراطورية العثمانية كان امتدادًا لحكمهم في مصر، فإن سلطتهم في شرق الجزيرة العربية كانت امتدادًا لاحتلالهم وادي الفرات الذي بدأ في عام 1534 عندما فتح سليمان القانوني مدينة بغداد. وضعت الأحساء طواعية للعثمانيين في عام 1550، وانتهت المرحلة الأولى من الاحتلال العثماني بتمرد بني خالد في عام 1670 (المصدر السابق). ولم يعد العثمانيون إلى شرق الجزيرة العربية حتى زمن مدحت باشا في سبعينيات القرن التاسع عشر.

ولكن العثمانيين أخفقوا في مد سيطرتهم إلى عمق الجزيرة العربية المعروف بنجد. وفي غياب الوجود العثماني الرسمي حكم مدن نجد وواحاتها أمراؤها بينما حافظت التحالفات القبلية على استقلالها وإدارتها الذاتية. وفي القرن الثامن عشر أقدمت الزعامة القائمة في نجد ممثلة بالإمارة السعودية - الوهابية الأولى (1744 - 1818) على تحدي سلطة الإمبراطورية العثمانية في الحجاز والعراق وسوريا. وأسفر هذا التحدي عن احتلال قوات محمد علي وسط الجزيرة العربية نيابة عن الإمبراطورية العثمانية في عام 1818. وبحلول عام 1841 تقهقرت القوات المصرية إلى الحجاز تاركًا جدأً بأيدي حكامها المحليين. واجتت محاولة فاشلة ثانية للتغلغل في العمق بعد الاحتلال العثماني للأحساء احتلالًا أكثر حسماً هذه المرة في عام 1871. ومرة أخرى بقيت نجد تتم تمتعحكم ذاتي. وأخذت السياسة المحلية في هذا الجزء الأوسط من الجزيرة العربية تلعب دورًا كبيرًا في تشكيل تاريخ البلاد الحديث.
أصول آل سعود (1744 - 1878)

كانت لدى أمراء نجد المحليين حرية نسبية لحماية الحكم في مستوطنات نجد الصغيرة. وحاول أشواط مكة وطهان بن خالد في الأحساء توسيع سيطرتهم على نجد بأتم الاستحواذ على الفئاض القليل الذي تنتمي جموعها الزراعية (فتح 1967 : 42). ولكن لا أشواط الحجاز ولا زعماء بن خالد تمكنوا من ضم نجد إلى دائرة تنوؤهم. ونجع نفسها لم تكن منطقة جذابة لأنها كانت تنتج فائضًا متواضعاً من زراعة النمور وتربية الحيوانات. وكان سكانها دائمًا يتطلعون إلى ساحت الأحساء وما وراءه من أجل البقاء. وكان تجار الصغار يسافرون بعيدًا إلى بغداد والعرب لاستكمال مواردهم المحدودة.


الأرجح أن آل سعود كانوا مجموعة حضارية أنشأت مستوطنة الدرعية. واعترفت المستوطنة بسلطة الأمير السعودي نتيجة تضطرر جملة عوامل: إقامتها في الواحة وامتناعه أرضًا زراعية وأبأرًا حول المستوطنة. ويبدو أن آل سعود كانوا في الأصل من طبقة التجار الملاك في نجد. فإن محمد بن سعود (توفي عام 1765) كان ملاكاً ووصيًّا لرحلات التجار الذين يسافرون مسافات طويلة (فتح 1967: 47). وكانت المهارات السياسية في التوسع والقدرة على الدفاع عن المستوطنة ضد غزوات الواحات والتحالفات القبلية الأخرى صفات مكملة هامة. وقابل أُناوة من أفراد آل المستوطنة أضحى أمير الواحة حامي سكانها الذين كانوا

(1) لإطلاع على عمارة الدرعية، أنظر فايسي 1997.
يشكلون قوته العسكرية معززة بعبيده. وكانت جباية هذه الأناوات تقوم الزعامة السياسية وقيز
الأمير وتنسب عن أصول أهل المستوطنة الآخرين. 

إن أفضل ما توصف به الزعامة السعودية في الدرعية هو أنها شكل تقليدي من أشكال
الحكم كان شائعاً في العديد من مستوطنات الجزيرة العربية آنذاك (1). وفي أربعينيات القرن
الثامن عشر كان أمير الدرعية يتمتع بسلطة محدودة خارج مستوطنته. وباستثناء قدرته على

ويبدو أن الزعامة السعودية كانت قاصرة من ناحيتين؛ أولاً، لأنها كانت تقتصر إلى أصل
قبلي يمكن التعرف إليه، من شأنه أن يضم وجود رابطة قوية بتحاليل قبلي على غرار متعاصريهم
من بني خلد في الأحساء مثلًا. وثانياً، لأن الزعامة السعودية كانت تقتصر إلى أي فائض كبير
من الشروة. وله آل سعود كانوا ينالون قسطاً من جباية الأتاوات في المستوطنة ويعاطون
التجارة، ولكن لا يبدو أن هذا كان سمة مميزة. فإن مصالح التجارة وقنتاك لم تكن متطورة بما
فيه الكفاءة لتثمين دخل كبير إلا حد يكونهم من توسيع سلطتهم إلى مستوطنات أخرى أو
للاستفادة على شبكة كبيرة من طرق القوافل.

إذاء هذه التحديات، ليس من المستغرب أن سلطتهم ظلت مقصورة على مستوطنة الدرعية
الصغيرة. وبدأت حظوظ آل سعود تتغير مع تبنيهم الحركة الوهابية التي ارتبطت بالمصلح محمد
بن عبد الوهاب (3 و4 : 1792 - 1796) (1).

كان محمد بن عبد الوهاب ينتمي إلى بني تميم، وهم قبيلة حضرية جديدة كان أفرادها
يقطنون عدة واحات في تدج (أبو حاكمة 1967 : 24) وكانت أسرته أكثبت العديد من علماء
الدين ولكنها لم تكن متميزة بثرائها. يفيد أحد المصادر بأن محمد بن عبد الوهاب عاش في
فقر مع زوجاته الثلاثة. وكان يملك بستاناً من شجر النخيل ومعشر بقرات أو عشرين بقرة
(المصدر السابق : 26). وسار محمد بن عبد الوهاب على خطى أجداده فسافر إلى المدينة


22

(2) انظر المعلمين 1985.

وعاد إلى عيبه حيث كان والده قاضياً للتأثیر ورساله جدیة.

تميز المصلح بالإصرار على أهمية التوحید ونبذ كل أشكال الوساطة بين الله والمؤمنين، والالتزام بدفع الزكاة وفرض الاستجابة للدعوة إلى الجهاد ضد من لا يطيعون هذه المبادئ. وحرص محمد بن عبد الوهاب على تطهیر الإسلام مما وصفه بالبدع وتطبيق تأويل متزامن للشريعة، وكلاهما كان يتطلب دعم سلطة سياسية. وكان يعد من مظاهر البدع عبادة الأضواء الأولى وتقديم النذور لهم بما كان شائعاً ليس بين سكان البحار. وبدأ الجزيرة العربية فحسب، بل بين المسلمين الذين التقاهم خلال ترحاله في الحجاز والعراق وسوريا أيضاً. وطرح محمد بن عبد الوهاب آراء دينية تتعلق بالعديد من القضايا العملية وشجع، من بين أمثاله أخرى، على اداء صلاة الجماعة والامتناع عن التعدين. والأخيرة من ذلك أصر محمد بن عبد الوهاب على دفع الزكاة، وقضى بأن تدفع حسب النروية البيينة (مثل المحصول الزراعي) والنروية المخفية باكتناظها ذهباً وفضية (أبو حاكمة 1967 : 195). وأعلن المصلح أن الخشوع للأولوية والأشجار وغيرها من الأمثل يؤدي إلى الكفر والزنقة والشرك، وأن مذهب التوحید ينبغي أن يتحيز بصرفه.

في البداية أيد أمير عثمان بن معمر الإصلاحات التي يدعو إليها محمد بن عبد الوهاب ولكنه قام في ما بعد بإعادته من الواجب بضغوط من زعماء بني خالد في الأحساء. فإن عقاب المصلح القاسي لم يمنعون عن أداء الصلاة الجماعية ومشاركته الشخصية في فرض تأويل متزامن للشريعة ورجمه امرأة من المنطقة علناً بتهمة الزنى، استغذت عليه سكان عيبه وشيخهم. ويدو أن المصلح أثار أيضاً استياء زعماء بني خالد في الأحساء ووجهاء نجد وقتذاك، وخوفهم من انتشار رسالته، فأمورا عثمان بن معمر بقتل محمد بن عبد الوهاب، ولكن عثمان قرر طرده بدلاً من المخاطرة بإشعال فتنة بين السكان الخاضعين لسلطته. وطلب من محمد بن عبد الوهاب وعائلته أن يرحلا عن عيبه. فوصل المصلح إلى الدرعية التي تبعد أربعين ميلاً عن عيبه على أمل إقناع أميرها السعدي بتبنی رسالته.
كانت سمعة محمد بن عبد الوهاب سبقته إلى هذه الواحة الصغيرة. واستقبل محمد بن سعود هذا المصلح وأحاطه بحمايته. ويشير وصف اللقاء بين حاكم الدرعية ومحمد بن عبد الوهاب إلى أن حلفاً عقد بين الاثنين في عام 1744. وطبقاً لأحد المصادر:

فسمع محمد بن سعود بورود محمد بن عبد الوهاب... فجاء إليه وصافحه وقال: هذه القرية قريبتك والمكان أنتم واليكم، فلا تخشى أعداءكم. والله لو انطلقت علينا جميع جدا ما أخرجناك عنا. فقال: أنت كبيرهم وشريفهم. أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين، والرياضة والأمانة فيك وفي ذريتك بعدك. وإن المشيخة والاحتفاظ في الدين في وفي آلي من بعدي. (أبو حاكمة 1967 : 30).

واستناداً إلى هذه الرواية، وافق الحاكم السعودي على دعم مطلب المصلح بالجهاد ضد غير المسلمين والمسلمين الذين لا يتفق إسلامهم مع تعاليم المصلح. وبالمقابل نال الأمير السعودي اعترافاً بكونه القائد السياسي للمسلمين. وضمنت لمحمد بن عبد الوهاب سلطة على تفسير الدين، وبدأ المصلح التنعيم برسالته الدينية في مسجد بني خصيصاً له. وأصر على حضور الرجال والأطفال. وكانت تفرض على من لا يستحسن دروسه غرامة أو تحلق لها (أبو حاكمة 1967 : 23).

يصعب تحديد السبب وراء نجاح المصلح في الدرعية برغم أن الحركة الإصلاحية الوهابية وفرت للسعود، بكل تأكيد، مصدرًا بديلاً للشرعية. فإن محمدًا بن سعود تبنى رسالة دينية تتم بفرصة للتوعية عن حدود حكمه، وتحديد أكبر، فإن محمداً بن عبد الوهاب وعده بالثروة في شكل زكاة وبالتوسع تحت رعايته الدينية. ومن الجائز أيضاً أن المنافسة بين أمراء عيينة والدرعية ساهمت في نجاح مستوطنة صغيرة ليس لها أهمية سياسية أو اقتصادية تذكر.

إذ كانت عيينة ذات سمعة وأهمية أكبر بكثير من الدرعية وقتئذ.

أعد التحالف التاريخي الذي أبرز بين المصلح الديني الوهابي حاكم الدرعية في عام 1744، المسرح لظهور إمارة دينية في وسط الجزيرة العربية. ومن دون الوهابية كان المستبعد للغاية أن تكتسب الدرعية وزعامتها أهمية سياسية كبيرة. إذ لم يكن هناك تناقص قبله يدعم أي توسع أبعد من المستوطنة، ولا كان هناك فائض من الثروة يتيح للسعود أن يجند قوة
مقالة لقهر المستوطنات الأخرى. والمستوطنة نفسها لم يكن لديها قوى بشرية كافية للشروع
في غزو مستوطنات أو ديار قبلية أخرى.

ومن الأيام الأولى للتوزع السعودي - الهاشمي، كان العنصر الحاسم فرض الطاعة لتعاليم
الإسلام الهاشمي بين السكان، الحضر منهم والبدو. وأدت هذه الطاعة إلى إقامة حلف شبه قبلي
لغزو مزيد من المناطق في غياب تحالف قبلي سعودي معروف.

قدمت الهاشمية دفعة جديدة للمركزيّة السياسية. وكان التوزع بالغاز الديانة الوحيدة التي
تمكن الإمارة من اختراق الحدود الضيقة لمستوطنة ما. وإزاء ما يحظى به الجهد من أهمية من
تعاليم الهاشمية، ذات غزو مناطق أخرى مكما. وكان نشر الدعوة الهاشمية وتطهير الجزيرة
العربية من أشكال التدين "غير القوية" وفرض الشريعة في مجتمع الجزيرة العربية. من المطالب
الأساسية للحركة الهاشمية. وقد شمل أمير الدعوة المصلح الهاشمي المطرود حديثاً من اليمينة
بحمايته، وأفرق بهذا المطالب. وردت الهاشمية الزعامة السعودية بقوة جديدة أثبتت كونها قوة
حاسمة لتوجيه الحكم السعودي وتسويقه. وقد وعدت الهاشمية هذه الزعامة منافع واضحة في
شكل سلطان سياسي وسلطة دينية ومكافآت مادية لولاها لما كان غزو الجزيرة العربية مكما. 

وأتاح التوابل الناجح عن ذلك للزعامة السعودية أن ترتقي إلى موقع مرموق في المنطقة.

اعتمد التوزع السعودي - الهاشمي أبعد عن الدرعية، على تجديد قوة مقاتلة تكون مستعدة
لنشر الرسالة الدينية التي تنادي بها الحركة الإصلاحية وضبط الهيمنة السياسية السعودية.
وكان سكان الولادات في جنوب نجد أول من دانوا بالهاشمية واستجابوا لدعوتها إلى الجهاد ضد
"الكفار". وكان التوابل الحضر الذين تنزاوا أعمارهم بين الثامنة عشرة والستين أول
مجدهما، والعمود الفقري للقوة السعودية - الهاشمية. وقد اعتمدت البعض الهاشمية عن قناعة
بينما أذعن لها البعض الآخر يدافع الخوف. ويدو أن الإمارة السعودية - الهاشمية قامت من
بداية على ولاي الجماعات الخضرية في نجد. وكان ينظر من الذين قبلا الهاشمية بإرادتهم أن
يتبادوا قيادتها الدينية - السياسية ويدوا ولاهم بالموافقة على القتال من أجل قضيتها ودفع
الرماة إلى مثليها. وتعرض من قاموا لغزوات تهدد مصدر عيشهم.

الأسلوب نفسه في التجديد استخدام بين القبائل. واخذ التسبيح والغزو ينتميان في أي. وفي
حين كان من السهل بسط السيطرة على الولادات فإن الاحتفاظ بولاية القبائل المختلفة في الجزيرة

25
العربية أثبتت كونها أشد صعوبة. وكانت القبائل عموماً تفلح في التهرب من السلطة المركزية بسبب حراكها وتقليلها في الاستقلال الذاتي. ولكنها ما إن أخذت حتى أثبتت أنها قوة قتالية هامة في نشر رسالة الوهابية. فهي وفرت القوى البشرية لواصلة توسيع الإمارة السعودية، وال 初始化ها بها. وكانت المشاركة في التوسع السعودي - الوهابي مرغبة جداً للتحالفات القبلية لم يعد به هذا التوسع من حصة من الغنائم المحققة من غزو سكان الواحات والقبائل الأخرى الخاصة.

وأما كان الإقرار وحده ليس متواضعاً التوسع الذي حققه السعوديون بانتهاء القرن التاسع عشر. فالوهابية كانت تعد بالاحتكار، لا في هذا العالم حسب بل في الآخرة أيضاً؛ كان الخضوع لتعليم الإسلام الوهابي يعني تفادي الغزوات الوهابية وبعد مكافآت روحية. وغالبية الظروف التي تفسر تحالف الكيان السعودي - الوهابي، تسلط الضوء على حقيقة أن الغزوات كانت منسجية مع الممارسة القبلية. وما هي كذلك كانت تشجع القبائل على المشاركة في توسع السلطة السعودية - الوهابية بما تعد به من مكافآت مادية. ولكن التشديد على هذا الجانب يغفل تماماً البدع الروحي بوصفه قوة دافعة كبيرة وراء إقبال بعض قطاعات السكان عليها بلهفة. وهم الذين كانوا يحاولون بوجل. ولكن تصميم، أن ينموا روحانية مشتركة من رسالة الوهابية البسيطة والزاهدة. وأبدى سكان نجد انشادةً إلى تعاليمها المتفائلة مع توجه البعض من علمائهم الدينيين. فقبل صعود الحركة الوهابية، وكما في مناطق أخرى من العالم الإسلامي البعيدة بعض الشيء عن مراكز العلم التقليدية، كان علماء نجد يسافرون إلى سوريا ومصر للتعلم على أيدي أساتذتهم الفكريين (الجيلي 1883). وكان هؤلاء العلماء يطورون لدى عودتهم إلى "أخصائيين طقوسيين" همهم الرئيسي هو الفقه: التقليد الذي ما زال مستمراً بين العلماء السعوديين إلى اليوم وإن كان لأسباب مختلفة.

يعكس خصائص العلماء التجديدين بالفقة اهتمامات السكان في مدن نجد وقراها التي كانت تنصب على قضايا برغماتية تتعلق بالزواج والطلاق والإرث والأوقات الدينية والشعائر الإسلامية والأحكام الشرعية الإسلامية. وكانت المستوطنات التجدينية تتطلع أصلاً إلى إيجاد حلول لمشاكلها العملية وأبدت وعيًا دينياً سبب دعوة محسن بن عبد الوهاب (ال مصدر السابق؛ 252). وفي حين أن المصلح كان لم يزل معنباً بهذه القضايا العملية، فإنه تميز عن العلماء
التحديدين في ذلك الوقت بتطوير أفكاره عن التوحيد، وتبغي عدم إغفال الوعي الديني في المستوطنات المحلية. ووصفه عاملاً في تيسير اعتناق الوهابية وتحقيق التوسّع السعودي.

كان دفع الزكاة بانتقال إلى الزعامة السعودية - الوهابية رمزًا للخضوع السياسي، ولكن كان من فروض الدين أيضاً، وفي حين أن الإحساس بهذا الواجب الديني ربما لم يكن قوياً بصفة خاصة بين القبائل، فإن إهالاً بكل تأكيد بين سكان الورات في جنوب نجد، الذين كان

ولاهم للزعامة السعودية يقوم على أرضية أكثر صلابة.

ونستطيع أن نشير أيضاً إلى جاذبية مذهب التوحيد للمجموعات القبائلية وخاصة القطاعات البدوية منها. ولعل الشعائر الإسلامية أو الفقه لم يكن يستهوي مثل هذه المجموعات كما استهوى السكان الحضر (كانت لدى هذه القطاعات أعراف القبائل الخاصة في تسوية النزاعات وحل الاختلافات)، ولكن المؤكد أن مبدأ التوحيد لامس عالمياً حساساً لديهم. ولا ريب في أن رسالة محمد بن عبد الوهاب لم تقع على آذان صماء، وحتى التحالفات القبلية التي قاتلت ضد الأعداء السياسي السعودية - الوهابية لم تتمكن من مقاومة إغراق الإسلام البسيط الذي لا ينتمي إلى توسط مع الله، والبعد عن الطقوس المفرطة، وعلى سبيل المثال أن قبالة شمر، برغم مقاومتها الضارية للوهابية السياسية، قبالت مبدأ التوحيد في القرن الثامن عشر. وأعلن شيخ شمر كبير أن إسلامه يبقى وفياً لتعليمات الوهابية برغم أن أجداده خاضوا معارك مع السعوديين منذ منتصف القرن الثامن عشر، وبدر أن الوهابية حققت التكافع الديني النهائي بين البدو والسكان الحضر بجمع بين إسلام توحيد وطهريان لا يهادين، وهاجس التخصص الطقوسي والفقه، مستجيبة بذلك لحاجات القبائل الصحراوية وسكان الورات في وسط الجزيرة العربية.


بعد إنجاز الحملات في وسط الجزيرة العربية تحررت القوات السعودية شرقًا داخل الأحساء ونحتت في إبنا، حكم بني خالد. وكان قسم كبير من سكان الأحساء يتألف من الشيعة الذين يمثلون بنظر الوهابيين حالة متطرفة من "أهل البدع". وفتح إخضاع القطيف عام 1880 الطريق إلى ساحل الخليج وعمان. وأقرت قطر بسلاسل السعودية في عام 1877 ثم تلتها البحرين، وأخذت تدفع الزكاة إلى الدرعية.

أتى توسع القوات السعودية باتجاه الغرب، وخاصة في الحجاز، إلى تصادمها مع مراعية دينية أخرى هي مراعية شريف مكة. وبرغم مقاومة الحجاجيين العنيفة بسط سعود بن عبد العزيز (1878-1914) هيمنة سعودية مؤقتة على الطائف في عام 1882، وعُلمت في عام 1883 والمدينة في عام 1884. وأضحى الشريف عبد المطلب بن غالب في مكة مجرد ممثل للسعوديين. وأمر العلماء الوهابيون بتدمير مساجد الرسول والخليفة ذات القرب في المدينة عملاً بالمذهب الوهابي الذي حرم بناء الأضرحة على القبور. فنظمًا لتعاليم الوهابية، ينبغي أن تبقى القبور بلا علامات مميزة لكي لا يقوم المسلمون في ما بعد بزيارتها وتبجيلها.

نجاح السعوديين في الحجاز شجع توسعهم جنوبًا في عسير حيث تبنى الزعماء المحليون الوهابية وانضموا لفترة إلى قوات السعوديين للفتح على اليمن. وحالت مقاومة اليمنيين العنيفة مقترنة بالجغرافيا غير المألوفة لبلادهم الجبلية، دون إلحاقها بدائرة السلطة السعودية - الودية.

إلى الشمال الشرقي بلغ التوسع السعودي أراضي بلاد ما بين النهرين الخصبة مهدًا مناطق حيوية من الإمبراطورية العثمانية. ففي عام 1801 تعرضت مدينة كربلاء للعقوبة والنهب. واستمرت الغارات على مدن البلاد ما بين النهرين في الفترة الواقعة بين 1801 و1812 من دون أن تسفر عن إقامة وجود سعودي. وهابي قوي هناك بسبب بعد المسافة عن قاعدة سلطتهم في الجزيرة العربية. وكان الانشغال الوهابي بلاد ما بين النهرين يتركز على أخذ الغنائم من هذه الأقاليم العشيرة. وأقيم مركب مماثل في سوريا حيث كانت القوات السعودية تغير على المدن وتوافل الحج من دون أن تتمكن من بناء قاعدة دائمة. وبلغ التوسع بالغارات حدوده في الشمال كما بلغها في اليمن. فإن سلب مدن شبع في العراق أثار خوفه جماعاته السكانية وأسفر عن اغتيال القائد السعودي عبد العزيز في عام 1803 على يد شيعي في مسجد الدرعية من أجل التأه لسلب كربلاء.
ساهمت أربعة عوامل في تيسير عملية التوسع. أولاً، عمل انقسام أمراء الواحات في نجد وتراهمهم، على تمكين السعوديين من الاستفراد بهم ودحرهم الواحد تلو الآخر. ثانياً، إن الصراعات الداخلية بين أفراد الفئات الحاكمة في الواحات أضعفت مقاومتيهم وأتاحت للغزاة أن يستخدموا منشقين في خدمة أراضهم. ثالثاً، إن هجرة بعض قبائل الجزيرة العربية إلى مناطق أكثر خصوبة في العراق وسوريا ساعدت في تقدم الغزوه. فإن مجموعات قبيلة عدة هربت إلى بلاد ما بين النهرين تحت الضغط السعودي - الوهابي. وأخيرًا، إن تبنى سكان نجد الحضر للوهابية سلمياً وفر دعماً على مستوى القواعد للتتوسح حتى قبل انطلاقه (عبد الرحيم 1976: 72).

تمكى تتوسح الإمارة السعودية - الوهابية الأولى عن إقامة كيان سياسي بحدود متغيرة. وقد وفر أبناء آل سعود، بعد نيلهم الشرعية من القيادة الوهابية، ساحة سياسية دائمة بوجوب حلف 1744. ولكن لم تكن هناك آليات غير الغزوه. لتأميم استمرارية هذا الكيان السياسي أو دوام حدوده، بينما احتفظت القبائل بقدرتها على تحدى السلطة السعودية - الوهابية. وكان الامتناع عن دفع الزكاة وتنظيم هجمات مضادة على مجموعات وأراض تقع في دائرة النفوذ السعودي - الوهابي، من التحديات المتكررة. ويرغم المحاولات الابتدائية لإضفاء طابع رسمي على العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية في الإمارة، فإن هذه كانت عموماً غير كافية لإبقائها موحيدة. كان هناك إدراك مبكر بالانتماء إلى جماعة إسلامية ولكن هذا لم يبلغ التعلق بهويات قبليّة / دينية خاصة أكثر.

كانت الغزوات طقوس تجديد، تضح دمًا جديدًا في دائرة الملك وخاصة حين يكون على حافة التفكك. وفي حين تكفلت هذه الغزوات في البداية بضمان التوسع، فإنها أثبتت في ما بعد ضررها للاستمرارية السياسية عندما أخذت تثير سخط السكان على ما تسببه من دمار. وحين وردت الإمبراطورية العثمانية على التحدي السعودي - الوهابي بإرسال قوات محمد علي إلى الجزيرة العربية في عام 1811 استجابت قبائل عانت من غزوات السعوديين التأدية، بتحول ولائها إلى القوات الأجنبية. وقد توفي سعود بن عبد العزيز في عام 1814 تاركاً نجله عبد الله يواجه تحدي القوات المصرية. وتوالى إبراهيم باشا نجل محمد علي قيادة غزو نجد بعدها أقامت القوات المصرية قاعدة قوية في الحجاز. ووصل إبراهيم باشا إلى أبواب الدرعية على رأس 2000 فارس و
300 جندي ألباني وتركي و1300 فارس مغربي و500 مدفعاً مع حوالي 15 مدفعاً وتُسّلم
السعوديون في 11 أيلول/سبتمبر 1818 بعد تدمير عاصمته وقصصاتها تدميراً مكلاً،
ونهت قوات إبراهيم باشا الدرعية وذخت العديد من العلماء الوهابيين. وتقن من نجا منهم إلى
القاهرة مع عبد الله (1814-1818) الذي أرسل لاحقاً إلى استنبول حيث قُطعت رأسه. وكان
سلب الدرعية إيداناً بنهاية الإمارة السعودية- الراهبة الأولى.

انبعاث سعودي هش (1847-1901)

بعد انسحاب القوات المصرية بُدِّلت محاولة لإعادة بناء السلطة السعودية - الراهبة في عام
1824 عندما عاد تركي بن عبد الله. فَجَّل الحاكم السعودي الذي قُطعت رأسه، إلى الرياض،
جنوب الدرعية(1). احتل تركي (1824-1834) انسحاب القوات المصرية الجزئي من نجد تحت
ضغط سكانها المحليين، وتمكن من الاستيلاء على الرياض بقوة صغيرة عبّأها من بين سكان
واحات متحدة. وبعد تثبيت أركانه في الرياض، بعد سيطرته على العريض والخرج والخوخة
والمحلم وسدير وأقافل (المصدر السابق: 183). وقيمت سلطته في حائل والقصيم محدودة
لكنه تمكن من فرض الاعتراف بالسلطة السعودية في منطقة الأحساء في عام 1830 (وايندر
1965 Wonder).

وبرغم أن تركياً بن عبد الله كان إماماً وهاجماً متزمناً فإنه حرص على عدم استعداد القوات
العثمانية - المصرية التي كانت تزور في الحجاز تحرس أمن قوافل الحج، بيد أن التحدي الأكبر
لسلاسلة تركي كان مصدره المخاطرة الداخلية في صفوف أسرته ذاتها. وفي عام 1831 واجه
تركي تحدٍ مشارئه، أُهِب عليه الذي عينه حاكم منفوحة. وفي عام 1834 نجح مشارئه، في
مخططه لاغتيال تركي حين كانت القوات السعودية مشتبكة في حربٍ مع القطيف والبحرين.
وقع تركي أثناء خروجه من المسجد بعد صلاة الجمعة (فاسيليف 1998: 167). وسارع نجله
فيصل بالعودة إلى الرياض من الأحساء ليبعث دعوة حقه بالمدينة. ونقل فيصل (1844-
1848) مساعدة أمير حائل عبد الله بن رشيد (1836-1848) الذي قتل مشارئه بسيفه

(نوروز ١٣٠٨ : ١٩٨٧). تمكن فيصل من دحر مشارى في عام ١٨٣٤ ليصبح إمام الإمارة السعودية الوهابية الثانية.

تفوض حكم فيصل مرة أخرى في عام ١٨٣٧ عندما رفض أن يدفع الأثاثة إلى القوات المصرية في الحجاز. فجرد المصريون حملة إلى الرياض. أمر فيصل وأرسل إلى القاهرة. عين المصريون فردًا من آل سعود يدعي خالدا حاكماً في جنوب جد. واستمر هذا الوضع إلى أن قام فرد من أحد فروع آل سعود هو عبد الله بن ثنيان بالتمرد على خالد الذي هرب من الرياض إلى جدة. وحكم عبد الله بن ثنيان في الرياض حتى أفلح فيصل في الفرار من الأسر في القاهرة والعودة إلى الرياض في عام ١٨٤٣ وأقدم فيصل على قتل عبد الله ودش زعامته الثانية التي دامت حتى وفاته في عام ١٨٦٥.

بعد وفاة فيصل أصبح نجله عبد الله (١٨٦٥ - ١٨٧١) حاكماً في الرياض. وقد نافسه أخوته غير الأشقاء سعود ومحمد وعبد الرحمن على الزعامة منافسة أثبتت ضررها على السعوديين. وعندما أصبح عبد الله، الأخ الأكبر، حاكماً، استاء أخوه غير الشقيق سعود من استبعاده عن السلطة وبدأ حملة عسكرية لإضعاف سلطته. بادر سعود إلى إجراء سلسلة من الاتصالات مع حكام مصر والعراقد بأمل كسب ولائهم ضد أخيه. كما تفاوض لإقامة تحالف مع قبائل المرة والعجمان والدواسرة التي كانت تؤدي الحفاظ على استقلالها الذاتي بالتحالف مع أخي عبد الله المنافس له. وتأجج الصراع الداخلي بين الأخوة السعوديين برغبة مجموعات قبلية مختلفة في التخلص من هيئة السعودية (أبو عليه ١٩٦٩ : ١٥٣ - ١٩٧٦) وفي الفترة الواقعة بين ١٨٧٥ و١٨٧٥ لم يتمكن الأخوة السعوديون من التوصل إلى اتفاق مواصلي تحدي أحدهم الآخر.

توفي سعود في عام ١٨٧٥ تاركًا أخوته عبد الله وعبد الرحمن في غمرة صراع عنيف على الزعامة. وبعد وفاة سعود مباشرة أصبح عبد الرحمن حاكماً في الرياض بينما واصل أخوه عبد الله وأبناء أخيه (أبناء سعود) تحديهم لسلطته. وفي عام ١٨٨٧ ناشد عبد الله حاكم حائل محمد بن رشيد أن يساعده ضد أبناء أخيه. اعترف حاكم حائل الفارصة للزحف على الرياض، وهرب أبناء سعود إلى الخرج تاركين عمهم في السجن. قام أمير حائل بالإفراج عن عبد الله.
لكنه أخذ رهينة إلى عاصمته تاركاً سالم السهبان، الذي كان من أشد قادته إخلاصاً، بوصفه حاكم الرياض الجديد (فاسيلييف 1998: 201).

لاحق حاكم الرياض الرشيدي الجديد أبناء أخي عبد الله وقام بتصفية غالبيتهم في الخرج.

وسمح لعبد الله وأخوه عبد الرحمن بالعودة إلى الرياض لأن عبد الله كان مريضاً ومتقدماً في السن. توفي عبد الله في عام 1889 وحكم عبد الرحمن بوصفه من توابع ابن رشيد في إطار حاكمية سالم السهبان العامة.

عبد عبد الرحمن في محاولة لإعادة هيمنته أسرتها في جنوب نجد، إلى التعاون مع أهل القصيم وقطعات من تناقل المثير القبلي نظراً إلى استياء الجانبيين من سعود قوة آل رشيد. وكان تناقل سعودي ضد الرشيديين قيد البناء. وحشد محمد بن رشيد كل قوة المؤلفة من تناقلات قبائل شمر والمنتقه وحرب، وfuscated على القصيم. لتحم الرشيديون والقصيميون في ميزة عام 1891، وخرج محمد بن رشيد ظافراً. وبهجة فتاحه القصير التصقيم هرب عبد الرحمن من الرياض بعد محاولة فاشلة لاستعادة سلطته. واحتفى أول ببقيلة المرة في الرابع الخالى ثم استقر في الكويت عام 1893 برعاية آل الصباح ومخصوص مالي من الحكومة العثمانية، حيث منحته الأخيرة رابياً تقاعدياً متواضعاً قدره 30 ليرة ذهبية (المصدر السابق: 204). أما عاصمته الرياض فاستولى عليها عجلان ممثل ابن رشيد. كان جزو آل سعود إلى الكويت هو الذي أتاح قيام صداقة مع حكام هذا البلد من آل الصباح. وأثبتت هذه الصداقة أهميتها في عودة آل سعود إلى الرياض في القرن العشرين.

وفي حين كان تفكك الإمارة السعودية الأولى يعود في جزء منه إلى تدخل المصريين نابية عن الإمبراطورية العثمانية، فإن إماراتهم الثانية انهارت لسببين. أولاً، لأن الزعامة السعودية للهيئة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أزدادت ضعفاً بتأثير الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة السعودية. وثانياً، لأن تعاون قوة إمارة منافسة في وسط الجزيرة العربية إلى الشمال من قاعدة السعودية، تسبب في إضعاف الهيمنة السعودية خلال الفترة الحاسمة التي كان السعوديون يعانون فيها صراعاً داخلياً على الزعامة السياسية.

قهرب عبد الرحمن، وقعت العاصمة السعودية الرياض تحت سلطة آل رشيد. وأخذ المبتكرون من أفراد آل سعود رهائن إلى العاصمة الرشيدية حائلاً.
بقيت الرياض تحت سلطة أمراء حائل حتى عام 1902 عندما عاد نجل عبد الرحمن؛ عبد العزيز المعروف باسم ابن سعود من المنفي في الكويت، وقتل الحاكم الرشيدي معلناً نفسه أمير الرياض؛ بدأ الانبعاث الثالث والأخير للحكم السعودي في التبلور. وكان هذا الانبعاث إيداعاً بداية الدولة السعودية الثالثة في القرن العشرين.

ologna: إمارة آل رشيد في حائل (1891 - 1931)

تعابشت الإمارة السعودية - الوهابية الثانية، الضفيفة (1891 - 1924)، مع قوة إقليمية جديدة شمال الرياض. وكانت الإمارة الرشيديَّة في حائل بترت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في وقت كانت الهيمنة السعودية في وسط الجزيرة العربية في ابتداءٍ.

كانت الإمارة الرشيديَّة كياناً سياسياً يستمد شرعتيه وسلطته من أحد التحالفات القبليّة الكبيرة في الجزيرة العربية: شمر. وجاءت القوة الدافعة إلى المركزية من زعامة تنتخب واحادة قاعدة لها، هي زعامة آل رشيد، وهم فرع قلي، كان استقر في حائل، الواجهة الواقعة في شمال نجد (الرشيد 1931). وكان آل رشيد من بناء شمر يحكمون أمراء على سكان حائل المختلطين من أفراد شمر وزوارعي بني تميم وتجارهم الحضر، وفتنات غير قبليّة من الحرفيين والصناع اليدويين والعبيد. وكان بدءا شمر يأتي إلى حائل للتجارة ويعتبرون الواجهة ضمن ديرتهم. وكان وجود آل رشيد في الواجهة امتداداً لدعويا القبيلة بحدهم فيها. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قامت حا北路 بدور القاعدة التي توسعت آل رشيد انطلاقاً منها إلى شمال الجزيرة العربية وجد جنوياً. وفي حين أن الإمارة السعودية - الوهابية توسعت تحت راية الشرعية الدينية فإن آل رشيد مروا نفوذهم على واحات وقبائل أخرى بدءاً من قبلهم ذاتها.

كانت غزوات الإمارة الرشيديَّة في الحقيقة ألمية ليست الهيمنة الشمورية على الآخرين.

وعندما تعاطم زخم هذا التوسع في منتصف القرن التاسع عشر كان رجال شمر يعفون القوة العسكرية. وكانت عشائر شمر العمة الفقري لقوة التي غزت واحات تقع خارج ديار شمر، كما أنها أخذت المجموعات القبلية الأضعف وحولتها إلى توابع لها. وفي حالة آل رشيد كانت الإمارة والتحالفات القبلية كياناً واحداً في البداية. وكان هذا عاملاً هاماً في تغيير طبيعة السلطة

الرشيدية عن سلطة الجيران السعوديين في جنوب نجد. ولم يتعين على آل رشيد أن "يكرسوا" شمر إلى قبيلتهم بل كانوا يعمالون بارتباط معها لتوسيع هيمنة القبيلة. والأمراء الرشيديون أنفسهم كانوا من القبيلة ويربطون بها من خلال تحالفات أساسها المصاحرة. وعلى النقيض من ذلك، كانت الزعامة السعودية في الرياض تنتقر إلى العمق القبلي، الأمر الذي دفعها إلى الاعتماد على التحالف مع محمد بن عبد الوهاب وأتباعه.

ينبغى فهم السبب وراء التفاف شمر حول الزعامة الرشيدية في سياق الجزيرة العربية في منتصف القرن التاسع عشر. وسيكون من التبسيط الجدال بأن العصبية القبلية كانت القوة الدافعة الوحيدة وراء دعم القبيلة لهذه الزعامة الصاعدة حديثًا. وقد شهدت القبيلة تنامي إمارة السعودية - الوهابية الأولى التي هزت بعض العشائر الشمرية وأجبرتها على الهجرة إلى بلاد ما بين النهرين في أواخر القرن الثامن عشر. يضاف إلى ذلك أن شمر تعرضت في عام 1818 لهجوم القوات المصرية - العثمانية التي اعتبرت خطاً أن ديار شمر جزء من دائرتها السلطة السعودية. وشعر بدعم آل رشيد، كانت تبحث عن قيادة تضمن أنها واستقلالها الذاتي في مواجهة غرباء محليين وغرباء على السواء. وبدعم آل رشيد الذين كانت تربطهم صلة قرغي بشمر، كان التحالف القبلي الشمري يعرس أسس تنظيم دفاعه وتمتين وحدة كانت تقوم في السابق على خطابية الأصل المشترك والعصبية القبلية. وكان تركيز السلطة بأيدي آل رشيد تابعاً، في هذا السياق، من الغليان السياسي والقلاقل العسكرية والتدخل الأجنبي في الجزيرة العربية. وتمكنت شمر لاحقاً من مقاومة التجاوزات على ديارها لا من القوى المصرية فحسب بل من إمارة السعودية - الوهابية التي عادت من جديد في الرياض (الرشيد 1991 : 47).

مع توطيد الزعامة الرشيدية، بدأ الأمراء يعتمدون أقل على شمر وأكثر على قوة مختلطة من العبيد والمجندين من الواحة. وكان هذا تطوراً أملاء عجز القيادة على السيطرة على عشائرها ذاتها. وكان التحول الجزئي نحو بناء قوة عسكرية غير قبلية دائمة، مؤشرًا إلى التغيير الذي طرأ على قوة الأمراء. فلقد كان الأمراء في البداية شيوخاً قبليين مثل شيخ شمر الآخرين، ولكن سلطتهم تنتقم لاحقاً عندما أضحا من النبلاء الخبير الذين لديهم مطامعهم السياسة الخاصة. وتكرر هذا النمط بزعامة محمد بن رشيد (1869 - 1897) الذي امتد ملكه من مشرف حلب ودمشق إلى البصرة وعمان وعسير (موسيقى 1928 : 248). ووضعت منطقة القصيم والعاصمة السعودية - الوهابية الرياض إلى هذا الملك. وكان مثلون وحكم يعينون في المناطق المقهورة.
اعتمدت الإمارة الرشيدية على أربع فئات في حملتها التوسعية في الجزيرة العربية. أولاً، إن زعامتها استدعت الحضر والبدو من شمر محاربة غروّائهم الذين عدو أعداء القبيلة كلها. وعملت المناوشات ضد العشائر الشمرية لصالح محمد بن رشيد في تعبئة هذه القوة القبلية.

ثانياً، شاركت تحقّقات غير قبليّة أخرى في هذه الحملة مدوّنة بإغراء الفئات. ثالثاً، كان عبد الأمير وحاسة الشخصون يشكلون النواة الصلبة لهذه القوة العسكرية. رابعاً، كان المجندون من مدن جبل شمر وواحاته يوفرون قوة عسكرية موثوقة استخدمت بانتظام من أجل التوسع، وكانت مشاركتهم تضمن تسيد حائط اقتصاديّاً وسياسيّاً.

ولكن هذا التوسع لم يقتضى إلى بسط السيطرة. فإن موارد المنطقة الشماليّة مقترنة بتختلف المواصلات. عملت ضد اندماج هذه المناطق اندماجًا كاملاً في وحدة متراصة. ومن هذه الناحية أبدت إمارة آل رشيد نفاذًا ثانياً للنظام الذي كان سائداً في الإمارات السعديتين - الوحابتيتين الأولى والثانية. فإن السعديين والرشديين، على السواء، مارسوا الغزو والتمدد من دون أن يكونوا قادرين على الاشتباك بالمناطق المفتوحة لفترة طويلة من الزمن. وفي حين أن الاحتفاظ بالسيطرة على مركز الإمارة كان سهلاً نسبياً، فإن المناطق المفتوحة كانت تمثل أطرافًا يصعب الإشراف عليها بصورة منظمة أو دمجها اندماجًا كاملاً. إذ كان دفع الزكاة في الإمارات السعديتين - الوحابتيتين الأولى والثانية مؤشرًا إلى خضوع المجموعات ذات العلاقة لسلطة الإمارة.

فإن دفع "الخوة" (الأثناوتة) إلى آل رشيد كان يعبر عن سيطرتهم على جماعات أخرى. وكان "الخوة" ضريبة تفرض لا على جماعة الجهة الجامعية بل على مجموعة مفتوحة بقيت مستقلة ذاتيًا بهذا القدر أو ذاك (بييرت 1975). ولكن الزعماء نجتًا إلى الغارات المفتوحة كافية لتثبيت دفع الزكاة أو "الخوة".

وفي حين أن إمارة آل رشيد اتسببت في البداية باندماج كاملاً بين الزعامة وتحالف شمر القبلي، فإن التوسع تسبب في نشوء توتر متكرر بين السلطة المركزية وتوابعها المتنوعة وشبه المستقلة. وفي ذروة السلطة الرشيدية كانت هذه التوابع تضم تحقّقات قبليّة ضعيفة أخرى بالإضافة إلى شمر وسكان الواحات من خارج ديارها التقليدية. وفي الوقت الذي استمرت الغارات المتواترة ضد القبائل العاصية أنشئ اقتصاد يتسم بإعادة توزيع الموارد. وكان أمراء حائل يجيبون "الخوة" من المجموعات الضعيفة ليعاد توزيعها على آخرين مكافأة لولائهم.
ومشاركتهم في حملات القيادة العسكرية. وكان شيوخ القبائل يزورون الواحة ويتسلمون العطايا نقداً وعيناً. وقام نظام الدعم هذا بدور آليّة لتدول الشروة حيث يكون التعهد بالولاية مقابل مكسب ماديّ. وحقق دعم المركز للأطراف تكاملًا اقتصاديًا بين زعامة حائل وتوابعها، والأهم من ذلك أنه أدى إلى اعتماد على إيرادات الأمراء بين السكان الحضر والبدو الذين أصبحوا ملحقين بكيانهم السياسي.

تحقق التكامل الاقتصادي بين الزعامة وتوابعها جزئيًا في الإمارة الرشيدية، ولكن كان من الصعب تحقيق التكامل العسكري والسياسي وإدامتها فترة طويلة. وبقيت المجموعات القبلية التي تدفع «الخوة» مستقلة ذاتياً بهذا القدر أو ذاك، ولم يكن أمراء حائل يختارون وسائل الإكراه لصعوبة تخطيط القوة العسكرية للمجموعات القبلية المختلفة التي كانت خاضعة لسلطتهم. وكانت قوة القبائل العسكرية تحيد أحيانًا بغارات وأشكال دعم متشوّرة ولكن هذه الاستراتيجيات أخفقت على المدى البعيد في تأمين الولاء.

غير أن السيطرة على الواحات في جبل شمر كانت مسألة مختلفة. فإن حايلًاً، مركز الإمارة الحضري، بقي مؤسّسًا للزعامات الرشيدية مما دامته هذه الزعامة قادرة على الدفاع عن مصالح الإمارة الأوعسم. وكان التجار والحرفون والزراع يدعمون هذه القيادة لأنها قادرة على تأميم المروّر الأمن لقوافل التجارة والحج متبيحة بذلك استمرار تدفق التجارة بين حائل والعالم الخارجي. وكان الأمير الذي يحكم سلطته على القبائل في الصحراو يوفر زرفاً أمنة للسفر بين الأسواق التجارية في الجزيرة العربية بما يخدم مصالح التجار والحرف بين الجماعات الحضرية.

وكان واد سكان الواحات شديد الاعتماد على هذا العامل. ولم يجيب سكان حائل دعمهم إلا عندما أصبحت القيادة الرشيدية في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين عاجزة عن توفير الحماية خارج أسوار الواحة.

بعد أن كان آل رشيد ثبتوا أنفسهم حكاماً لنجد في أواخر القرن التاسع عشر، فقدوا سيطرتهم على الرياض عندما عاد ابن سعود نجل الحاكم السعودي المدنى من الكويت، إلى مدينته الأصلية في عام 1902. أقدم ابن سعود على قتل حاكم الرياض الرشيدى وأعلن نفسه حاكمها الجديد. وفي الفترة الواقعة بين 1902 و1921 تنافس آل رشيد آل سعود من أجل السيطرة على وسط الجزيرة العربية، وتسربت هذه المناصحة في إضعاف الإمارة الرشيدية وأدت إلى سقوطهما.
يمكن أن يعزى سقوط الكيان السياسي الرشيد في عواصم متعددة، فالصراع بين بريطانيا والإمبراطورية العثمانية في الجزيرة العربية أخذ بالتزايد مع مرور القوى في وسط الجزيرة العربية. وكان أمراء آل رشيد بقوا متحلفين مع العثمانيين حتى بعد أن أخذ العديد من القبائل والأمراء المحليين جانب بريطانيا. وفي أعقاب هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى شعر الخلفاء الرشيديون المحليون بالضغط المتزايد من السعوديين الذين ضمنوا إقامة تحالف مع بريطانيا. وهذا العامل وحده لا يمكن أن يفسر بالكامل انهيار السلطة الرشيدية في عام 1921.

ولكن عدم استقرار الزعامة الرشيدية الذي تبدي في صراع داخلي بين فروع آل رشيد المختلفة زاد في إضعاف موقعهم غير المتكافئ أصلاً في الجزيرة العربية. ولم تكن زعامة اعترافها الضعيف قادرة على الاحتفاظ بولاوات القبائل المختلفة التي حولت ولاءها إلى مركز أقوى: السعوديين. وفقدت الإمارة السيطرة على أطرافها القبائلية، وشهدت زعامتها تلقى أراضيها من دون أن تكون قادرة على استعادتها. ولم يكن آل رشيد يكترون استخدام الأكرام. وعند هذا أن المجموعات القبائلية المستقلة وشبه المستقلة ذاتياً احتفظت بتقديرها على إضعاف الزعامة الرشيدية. وظلت هذه القبائل تشكل تهديداً محتملاً في غياب آلية لاحتواء ميلها إلى تحدي السلطة الرشيدية مباشرة أو مقاومتها سلباً بجبل الدعم الذي تحتاج إليه في أوقات الخطر الخارجي.

الإمارة الشريفة في الحجاز


ادعاء السلطة على التحالف القبلي برمته. ويبدو أن المجموعات القبلية الحجازية الكبرى كانت
مجزأة إلى وحدات صغيرة بقيادة شيخ مرموق لا يستطيع ادعاء السلطة خارج عشيرته. ويمكن
تفسير هذا التشنج السياسي بكونه نتيجة الجغرافيا وجود زعامه عامة في شخص شريف مكة
(يبحث أدناه). ولكن القبائل الحجازية كانت مجموعات إقليمية شبيهة بالقبائل النجدية. فإن
قبيلة حرب، مثلاً. كانت تسيطر على المنطقة الواقعة بين مكة وحجة، وعثبة كانت تسيطر على
شرق الحجاز بينما كان أحد فروعها يسيط في الطائف ومحيطها (هوبير 1917: 18).

كانت التحالفات القبلية تعاني مع مجموعات أخرى تدعى تسبيها إلى قريش والتي مهدد
من خلال خفيضه الحزن والحسين المعروف بالأشراف. وعاش الذين يتمنون بأصولهم إلى
الأشراف. في مكة والمدينة، ولكنهم كانوا مبعوثين أيضاً بين البدو من سكان الحجاز فضلاً عن
وجودهم، بالطبع، في مناطق أخرى من العالم العربي والإسلامي حيث استمروا منذ سقوط
الإمبراطورية العباسية (دحلان 1993). وكان نسب الشرفيين إلى آل البيت أهمه للقيام بدور
قيادي بارز في إمارات مكة والمدينة من القرنين الثامن والثاني مع استبعاد مجموعات أخرى
ليس لها هذا النسب المقدس. كما قاموا بدور مرموق بوصفهم خبراء دينيين، مثلاً كقضايا
وعظ في المدينة المقدسة وشيوخ طرق سوفية (المصدر السابق).

بالإضافة إلى التحالفات القبلية الحجازية والعشائر الشرفية، كان سكان الحجاز يضمنون
مسلمين جاء أجدادهم أو هم أنفسهم من تركيا وأفريقيا والهند وأوسميا وكانوا الآن يقيمون في
المدن والموانئ الكبيرة. وامتذى هذا التدفق إلى المجال الديني حيث اعترف العثمانيون بالمدارس
الشريعة الإسلامية المختلفة. وازدهرت الجالية الصوفية في مكة والمدينة. وكان الشريف حسين
(1908 - 1924) وأبناؤه من السنة الشافعية. وبالنقد نفسه من الأممية كان وجود طائفة
شهية وخاصة في المدينة وبين بعض العشائر الشرفية. ويقول إندي

عند الكثير من الكتب الشيعة، كان أشراف مكة والمدينة أنفسهم شيعة في الحقيقة
تظاهرها لأسباب بديهية، بكونهم سنة - موقف يعتبر مشروعاً بوصفه "ثني" في المذهب
الشيعي. وكانت بعض فروع حرب (بتو علي) وجهين أيضاً من الشيعة الذين تولوا حول شيخ
المدينة حيث يبدو أن مجموعة شيعية أخرى هي التحولاء عاشت هناك منذ أيام الإمبراطورية
الإسلامية الأولى.

انعكس هذا التنوع الحجازي في تكوين أشد حدة بين المناطق الخضرية والريفية. وفي الحجاز كان الخط الفاصل بين المدينة والريف أكثر وضوحًا منه في نجد. وكانت مراكز جدة ومكة المدينةية الكبيرة مبرخة في حجمها وخصائصها بقوي مستوطنية في نجد أو أي مكان آخر في الجزيرة العربية. إذ كانت هذه مراكز حضرية لا يد المسافر فيها عناء في رسم حدود بين الصحراء والمدينة. وفي مطلع القرن العشرين دفع هذا التماثل الحاذ هوغارت إلى القول "إن مكة والصحراء تشبهان بطبع النهيب على نحو استثنائي، وبهبوط المعنويات والتنظيم المنقسم" (1917). ولعل ملاحظاته السلبية كانت قائمة على آراء سكان المراكز الحضرية مثل جدة التي كانت متهمزة عن المناطق القبلية المحيطة. في نجد، ما كان التواصل بين الريف والمدينة ليثير مثل هذه التمييزات. ففي نجد كان سكان البحار والقبائل ينتمون في أحيان كثيريإلى فئة اجتماعية واحدة.

في هذه المنطقة المنتوأة كان للأمارة الشريفية حضور مثير بعض الشيء يسيب وجود السعوديين والرغبييين معاً في وسط الجزيرة العربية. وتفاوتت السلطة الشريفية منذ القرن السادس عشر حسب التطورات التي تحدث خارج المنطقة، لا سيما السياسات العثمانية تجاه هذه المنطقة الحيوية. وفي حين أن إمارات وسط الجزيرة كانت تواجه التوتر بين سلطاتها وقوة التحالفات القبلية، فإن عاملاً كافياً آخر كان يثقل كاهل الأمارة الشريفية، يقدره أن يعزز سلطة قيادتها ويتقوضها. إذ كان أمراء مكة في الحجاز يوحدون بين التحالفات القبلية والسلطان العثماني وممثليه. وأقيم نظام من السلطة المزدوجة حيث كان ممثلان على السلطات في المدن يتعاملون مع العلاقات التجارية والسياسية والخارجية بينما كان الشريف يتولى شؤون المدن المقدسة والتحديات القبلية، وهي أزدواجية كانت تنتهك أحياناً. وكانت السلطتان تتنافسان من دون أن تكون الواحدة قادرة على إفراز الأخر.

كانت هذه السلطة المزدوجة تثير الحجاز بحجة عن نجد. إذ كان العثمانيون الأوسياء الرسميين على الأماكن المقدسة ولكنهم لم يكونوا قادرين على ممارسة هذا الامتياز من دون أمير الحجاز. ويقول بيترز إن "هذه الازدواجية أوجدت توازاً فلاتاً" (بيترز 1994، 325). وكانت الحكومة النائمة في الحجاز تختلف عنها في نجد حيث كانت الأخيرة تتمتع خارج سيطرة الإمبراطورية العثمانية برغم تدخل العثمانيين باستمرار في شؤونها. ولعل هذا التدخل ذروته بغزو
محمد علي في أوائل القرن التاسع عشر في محاولة لمنع استمرار التوسع السعودي. الوهابي وفرض الحكم العثماني على السواط.

في الحجاز، احتفظ السلطان العثماني بسلطة تعيين الأمير الذي كانت حاكمه تمويل من الخزينة العثمانية. كما كان العثمانيون يدفعون رواتب العلماء الحجازيين (د. 1893). وفي حين كان الوجود العسكري والإداري العثماني ظاهراً في المدن فإنه كان غاماً من الناحية العملية خارجها. وكان واجب السيطرة على الأراضي والسكان في المناطق الواقعة بين المراكز المدنية الكبيرة مناطقً بالشريف. وكان الأشراف المتميزون يكافأون على ما يبدونه من قدرة استثنائية في ضبط القبائل و وخاصة خلال موسم الحج. و مقابل ضمان الأمن لقوارب الحجاج القادمة من دمشق (باستخدام قوة عسكرية تتألف من شرطة الأمير والعيد، و خليط من المجموعات القبلية المدجحة) كان أمير مكة يتلقى أموال دعم منظمة، وكانت دائرة سلطته المدينة معفاة من الضرائب العثمانية. وكانت الحجاز بصفة عامة معفاة من الحماية العسكرية احترازاً لمكانتها الخاصة والسامية بين الأقاليم العثمانية المختلفة. ولكن موافقتها وحُجَّارتها كانت خاضعة للضريبة.


كانت أربعة فوائد رئيسية تميز الحجاز عن نجد: تبؤ الأشر الشريفية مواقع السلطة، والانقسام الحاد بين الريف والمدينة، والمدن والعوامل الكوروبولية غير المتجانسة، قوة
امبراطورية لها وجود عسكري في المدن الرئيسية وحق تعيين الشريف الذي كثيراً ما كانت de Gaury تجري تنشئته وتعليمه في اسطنبول تحت رقابة السلطان العثماني ورعايته (دي غوري 1951: 248). وحين يصدر قرار تعيينهم في اسطنبول كان الأشراف على اختلافهم يسافرون إلى مكة، لأول مرة في أحيان كثيرة، في حال كانوا يعتزمون رعاياً في اسطنبول. وكان يتمنى منهم أن يحكموا في مكة وبين قبائل الحجاز بأيقالة عن السلطان. وكان الأشراف يستخدمون أموال الدعم العثمانية للسيطرة وتهدئة القبائل المختلفة التي كانت تضعف السلطة العثمانية بشكل منتظم من خلال غاراتها على الحجاج.

اعتمد الأشراف على أصلهم الياشي الرفيع لانتزاع الاعتراف بسلطتهم من سكان المدن والقبائل على السواء. يضاف إلى ذلك أن مرجعيتهم الدينية كانت تحظى بتركيز العثمانيين ودعمهم. ولكن هذه المرجعية لم تكن كافية لضمان الطاعة. وعلى غرار أمراء حايل والدرعية ولاحقاً الرياض، كان أشراف مكة يلجأون إلى الرشاوي والإكراه في محاولتهم تهدئة القبائل.

وكان التوتر المتواصل بين القبائل وأمراء وسط تجرد يتكرر في الحجاز. فالأشراف السعوديين والأشراف الدينية ولا أصول أمراء حايل القبيلة كانت كافية لحل التوتر. وكانت الإمارة الشريفية تتأرجح مع قدرة القبائل على تعزيز استمرارية الإمارة أو تهديها. وسعت الإمارة إلى إدماج القبائل الحجازية لكن هذا لم يكن مكناً دائماً.

وعلى غرار الإمارات النجدية فإن الضعف اعترى الكيان الشريفي بسبب النزاعات المشتعلة بين عائلات شريفية مختلفة. وكان تدخل السلطة العثمانية بانتظام يزيد الصراعات الداخلية تفاقماً. ففي خمسينيات القرن التاسع عشر وجه الوالي العثماني دعاية إلى الشريف محمد بن عون لزيارة حدة حيث خطف وأرسل إلى اسطنبول. وأرسل غريبه عبد المطلب بن غالب الذي كان محتجزاً قبله في اسطنبول، ليكون شريف مكة (دي غوري 1951: 248). وعلى الرغم من أن العثمانيين كثيراً ما كان يتدخلون تدخلاً مباشرةً بأغلب عائلة ضد أخرى فإن النزاعات على وراثة السلطة كانت قائمة حتى في المناطق التي لم يكن للسلطة العثمانية وجود يذكر فيها. ولا يمكن منهما مثل هذه النزاعات إلا بالإضافة على غياب قواعد واضحة للخلافة في هذه الإمارات.

ويرجع ذلك إلى نقص الشروط والسلاسة كان النسب بصفة عامة أكآن شريفياً أو سعودياً أو شيخياً بدلًا من أن يكون مصدرهما شخص الحاكم والمتحدثون من صلب مباشرة. إذ تنامت موارد مراكز الإمارات وسمعتها وقوتها تصاعدت مع النزاعات بين المتناقضين على حكمها (الرشيد 192: 66-74).
الأحساء في القرن التاسع عشر


بالإضافة إلى العاملين في الزراعة، كان في الأحساء عدد من العائلات التجارية المعروفة التي تتعاقد التجارة بين واحات الداخل وموانئ الخليج (ممثل الكويت والبحرين وقطر وعُمان والقطيف) والعالم الخارجي (خاصاً الهند وأفريقيا). وفي حين أن بعض العائلات التجارية كانت


كان التعارض اللافت في القرن التاسع عشر بين الأحساء من جهة نجد والحجاز من الجهة الثانية. عجز الأولى عن إجابة قادة على التطور إلى إمارة إقليمية. وبعد سقوط إمارة بني خالد يبدو أن الأحساء أصبحت هدفاً لأطامع قوى إقليمية مختلفة (الكويتيين والسعوديين).
والرشديين) ودول إمبراطورية أجنبية مثل العثمانيين وبريطانيا. وكانت المنافصة من أجل السيطرة عليها مدفعية مواردها الزراعية التي كانت أوفر بكثير من موارد نجد وبالشباكات التجارية المتنوعة لسكانها، وهي ميزة قام ابن سعود بتفعيلها في القرن العشرين من أجل توطيء أركان دولته الناشئة حديثاً. ولكن غياب الإمبراطورية المحلية لا يعني أن الأحساء كانت بلا قيادة محلية. وباستثناء دراسات قليلة (الحسين 1994; فتاح 1997، أنسبسومب 1993، ستينبرغ 2002)، فإننا ما زلنا نفتقر إلى تحليل تاريخي - مايكري (جزئي) شامل يركز على الزعامة المحلية والتاريخ الاجتماعي في الأحساء. فالعمق التاريخية ما زالت مهتمة بالسياسات العثمانية والبريطانيا في إطار انسحال عام بـ "القرصنة" و"الرق" و"الصراع الدولي" في منطقة الخليج.

إن السؤال عن سبب إخفاق الأحساء في إبداء أشكال ابتدائية من الإمبراطورية لا يمكن الإجابة عنه إجابة دقيقة. ولا يساعنا سوى التكهن بأن هذه المنطقة غير المتساوية دينياً وقبلياً أصبحت منطقة عازلة بين التحالفات القبلية الجنوبية القوية في العراق ونظيراتها المجاورة والإمارات النجدية والساحلية على شواطئ الخليج. يضاف إلى هذا، الوجود العثماني والبريطاني اللذان أدى إلى تبئير مراكز مؤقتة مختلفة حول المنطقة ولكن ليس بين سكانها. والحقيقة المألوفة في أن نسبة كبيرة من هؤلاء السكان كانت من المزارعين الشيعية بين مسلمين سنة، لذا من أن تكون مارستان تأثيرها في التطور السياسي وعملت ضد انسحاب سلطة في إحدى واحات الأحساء.

**تكوين الإمارات في الجزيرة العربية**

إن الديناميك الداخلية لحركة السكان وتوطينهم (الجهني 1983)، والقوة العسكرية والغزو (روزنفيلد 1965، والمصالح الاقتصادية والتجارية (فتاح 1997)، والدافع المدني (كوك 1988)، ذكرت كله بوصفها متغيرات مؤهلة على تكوين الإمارات في الجزيرة العربية. ولكن ليس من متغير من المتغيرات أعلاه يلفت انتباهنا إلى التفاعل بين الجماعات الحضرية والبدوية في الجزيرة العربية. فإن الاتصال المتبادل بين هاتين الجماعتين المترابتين ارتبطاً لا فكاك منه، أسفر عن تكامل اقتصادي وسياحي واجتماعي في صميم المركزية السياسية. وأصبح بعض واحات الجزيرة العربية ومدنها مركزاً هاماً تجمع بين اقتصاد البدو الرعوي والنشاطات الزراعية والتجارية لسكان الحضر. وكانت الكيانات السياسية السعودية
الوهابية والإمارة الرشيديّة محاولاتٌ لتنظيم هذا التفاعل. وقد سعت هذه وتلك إلى إدماج الأطراف البدوية بقاعدتهما الحضريّة. ونَجَّحت حين كانت لديهما زعامة قوية تبنمو بفائض كافٍ للحفاظ على التوازٍ بين مصالح البدو ومصالح الجماعات الحضريّة. وكان هذا التوازن ينتمي بأهمية حاسمة لدوام هذه الإمارات. وتسببت عوامل خارجية ونضوب الموارد والصراعات بين أفراد الفئات الحاكمة في زعُّزة استقرار الإمارات مؤديًا إلى تفكيكها الكامل في خطط تاريخية.

ولكن الإمارة السعودية والإمارة الشريفيّة، على السواء، كانتا تختلفان عن الإمارة الرشيديّة بسبب زعامتهما. فالأشراف حكموا على أساس نسبهم المحدد إلى أهل البيت، الذي يعتبر في الحجاز فوق المجموعات القبليّة الأخرى. في حين لم تكن لدى السعوديين صلة واضحة بمجموعات قبليّة. وتمكن الأشراف والسعوديون، على السواء، من القيام بدور الوسيط بين قطاعات مختلفة من المجتمع (البدو والخضريّ، القبلي وغير القبلي)، وهو دور لم يتمكن الرشيديون من الامتلاع به بنجاح نظرًا إلى ارتباطهم بقبيلة شمر. فقد كان حكم آل رشيد يقوم أساسًا على هيمنة قبليّة واحدة. وكان توسع الإمارة الرشيديّة يعتبر في الجزيرة العربيّة توسيعًا لسيادة شمر على المجموعات القبليّة الأخرى والجماعات الحضريّة. وعلى النقيض من ذلك، لم يكن بالإمكان ربط توسع الإمارات السعودية والشيرونيّة بهيمنة تغلب قبليّة واحد. وفي حالة السعوديين جرى التوسّع بذراعة رسالة دينية صنعتها ودعمتها جماعات حضريّة في جنوب شمالي.

يعتبر اتباع الحكم السعودي في أوائل القرن العشرين وتطور إمارة الثالثة لتكوين دولة مكتملة النمو، إلى الحقيقة المائلة في عدم وجود صلة واضحة أو جليّة تربطه بتحالف قبلي. ولكن الإمارة في المناطق كافة بقيت موجّهًا للمركزيّة السياسيّة. وخلال العقود الثلاثة أولاً من القرن العشرين كانت الدولة السعودية في البداية إمارة، أصولها وغزواتها وتوسعها كبيرة الكثرة بسياستها.
الفصل الثاني

الدولة الناشئة: 1922 - 1932

شهدت العقود الأولى من القرن العشرين تفكك الإمارات المحلية السابقة في الجزيرة العربية وصعود عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، المعروف باسم ابن سعود. هذا الفصل يستعرض حملات ابن سعود العسكرية التي أدت إلى انهيارات السلطة السعودية كخلفية لمحاولة دور عاملي هامين هما "المطاوعة"، أو "الخليجيون"، و"الأخوان"، أو القوة العسكرية القبلية. وكان الأولون وسائط فاعلة في بناء الدولة، وكانا أيضاً قوة قايمة من قبل مهياًة للتعبئة في خدمة الدولة. وبالمقابل، كان "الأخوان" قوة عسكرية حاسمة وجدت نتيجة جهود "المطاوعة" من أجل التوسع السعودي.

تحقق هذا التوسع في وقت كانت الجزيرة العربية تدرج شيئاً فشيئاً ضمن دائرة النفوذ البريطانية بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية. وبحلول عام 1900 كان غالبية حكام الساحل في الجزيرة العربية، من الكويت إلى مسقط، وقعوا معاهدات حماية مع بريطانيا. ولكن بريطانيا رفضت مد حمايتها إلى حكام الداخل حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. وكانت الحرب ذرية أتاحت مزيداً من التدخل البريطاني في العمق، معززاً المساعي السعودية لبناء الدولة.

الاستيلاء على الرياض (1921)

كما سبقت الإشارة، كانت الرياض في عام 1900 خاضعة لسلطة الأمراء الرشيديين الذين كانت دائرة ملكهم تشمل وقتذاك غالبية المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية. وكانت تتمد من حائل في الشمال إلى القصيب في الوسط وصولاً إلى الرياض في الجنوب. وكان محمد بن رشيد (1869 - 1897) طرد آخر حاكم سعودي على الرياض، هو عبد الرحمن، إلى الكويت حيث عاش برعابية آل الصباح. وحكم عبد العزيز بن متعب بن رشيد (1897 - 1906) وربث محمد، هذه المنطقة من خلال شيوخ وممثلين محليين. وضمن أمير حايل تأييد العثمانيين لكنهم كانوا يتابعون سلطته المتنامية بعين الشك.

من الرياض بدأ ابن سعود سلسلة من الحملات في جنوب وشمال وشرقها. وسقطت بلدات العارض والوشم والسدر والخرج بقيادة وهب. وتلهفت قوات آل رشيد إلى القصيم التي باتت الآن منطقة عزلة بين عاصمتهم الشمالية والإمارة السعودية حديثة النشأة في جنوب نجد.

بعد الرياض وجنوب وجد أصبحت القصيم ساحة القتال بين السعوديين والرشديين خلال الفترة الواقعة بين 1902 و1906. ودعم العثمانيون ابن رشيد ضد ابن سعود بإرسال قوات وذخيرة. وضمن ابن سعود تحالفًا مع الكويتين وتأييد البريطانيين الذين اعترفوا بدعم العثمانيين لابن رشيد تهديدًا لمصالحهم في الكويت.

تأمن إلحاق القصيم بإمارة ابن سعود بعد معركة روضة مهنا في عام 1906 التي قطعت خلالها حاكم حائل عبد العزيز بن رشيد. وحلل عام 1906 مدع ابن سعود سلطته إلى مدينة القصيم الرئيسيتين. وعُبرت وبدأت. وانفكأ أمير حائل الجديد إلى عاصمته وعاد ما تبقى من القوات التركية إلى المدينة والبصرة. وأكد العثمانيون ابن سعود حاكماً في واقع الأمر على القصيم.

(1) التقارير التاريخية السعودية الرسمية تعتبر الاستيلاء على الرياض من حاكمها الرشيد في عام 1902، التاريخ الذي بدأت به الدولة السعودية الثالثة. ولكن هذا غير دقيق. فقد أعلن قيام المملكة العربية السعودية في عام 1932. الفصل السابع يناقش أهمية هذا الحدث في المدونات التاريخية السعودية.
وجنوب نجد. وعين ابن سعود في البداية "قائمقام" القصيم ثم "والي" نجد. ويبدو أن العثمانيين سلموا بتحسيم نجد بين ابن سعود وابن رشيد.


حتى بعد غزو الأحساء كانت بريطانيا تعتبر ابن سعود تابعاً عثمانياً ورفضت إبرام معاهدة 1918 Sluglett and Sluglett تشملها بالحماية البريطانية (سلغلت وسلغلت) ورسمت اتفاقية تموز/ يوليو 1913 الأندلوك. تركية حدود "سنجق نجد" الذي ضم ممتلكات ابن سعود الجديدة في الأحساء (لذرديل Leatherdale 1984: 139). لذا، لم تتعترض بريطانيا على غزو ابن سعود للأحساء ولا اعترفت به. وطرأ تغير درامي على هذا الوضع باندلاع الحرب العالمية الأولى.

الحرب العالمية الأولى وابن سعود

مع دنو الحرب العالمية الأولى سعى المسؤولون العثمانيون إلى عقد صلح بين حاكمي نجد؛ ابن سعود وسعود بن عبد العزيز بن رشيد، والحصول على تعهد بتعاونهما العسكري. ونصت (1) أنظر أمسكوم 1997: 17 عن شيعة الأحساء. في القرن العشرين. أنظر ستينبرغ Steinberg 2001.

48
الاتفاقية العثمانية – السعودية الموقعة في أيار/ مايو 1914 على بقاء نجد ضمن أراضي إبن سعود وأي دولتها إلى أبنائه وأحفاده بفمان إمبراطوري. كما منعت الاتفاقية ابن سعود من إقامة علاقات تعاقدية مع قوى أجنبية أو منح امتيازات إلى أجانب في أراضيه (المصدر السابق؛ 29).


في مقابل ذلك، وافق ابن سعود على عدم الدخول في أي مراحل أو اتفاقية أو معاهدة مع أي دولة أو قوة أجنبية، والامتناع عن كل عدوان، أو التدخل في أراضي الكويت والبحرين ومشابح قطر وساحل عمان، التي كانت تحت حماية الحكومة البريطانية ولها علاقات تعاقدية
مع الحكومة المذكورة (التحرير 1982 : 373) . وكان هذا إيزاناً ببدء التدخل البريطاني
المباشر في الشؤون السياسية لعمق الجزيرة العربية.

ولكن ابن رشيد ابتدأ عن بريطانيا مواصلة محاولة الهجوم مع العثمانيين . وفيت حائل ضمن
دائرة النفوذ العثماني خلال الحرب . وبعد الاعتراف بابن سعود «هادئاً» على نجد (في الاتفاقية
العثمانية ـ السعودية لعام 1914 ، المذكورة أعلاه) عين العثمانيون ابن رشيد منصب «القائد
العسكري لعموم نجد» وأرسل له 25 ضابطاً ألمانياً وتركياً مع 300 جندي مقابل ولائه (الرشيد

واصل الغربيان في وسط الجزيرة العربية؛ ابن سعود وابن رشيد. عملية التغالبة خلال
الحرب. واحتفظت المنافسة بينهما مع اتباع معالم التحالفات على نحو أسلن . وقامت بريطانيا
بدفع ابن سعود إلى الهجوم على حائل في عام 1917 خصوصاً أن حكافها اعتبروا حلفاء
للعثمانيين . وفي الوقت الذي لم تسجل فيه انتصارات كبيرة فإن ابن سعود اغتنم ظروف الحرب
لطلب مزيد من المساعدات من بريطانيا ضد ابن رشيد . وذهب ابن سعود إلى أن تضاريس
الأرض بين القسم وحائل فتاة قاحلة وأن من الممكن أن يجلب هذا صمود قواته صعباً. يضاف إلي
ذلك أن جادل بأن حائلًا محصنة خصيصاً جيداً ويسعف فتحها بما يملك من سلاح فوافقته بريطانيا
على مساعدته بالالف بندقية و 100 ألف طلقة لضم العاصمة الرشيدية (الرشيد

الاستيلاء على حائل

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في عام 1918 ولكن المعارك المحلية بين ابن سعود
وغرامه استمرت محددة، وكان ابن سعود وابن رشيد يسهران على حماية أراضيهما بأمل
توسيع سلطتهما إلى مناطق أخرى خصوصاً مع اختفاء الإمبراطورية العثمانية من الخريطة
السياسية للجزيرة العربية. وتركب الحرب ابن رشيد بنا حليف، وساهمت في إضعافه أمام
غرامه ابن سعود. وكان كل ما يقدر أن ابن رشيد أن يجلب عليه ولدنا هو البقاء في السلطة في
حائل والمناطق المحيطة بها . خلال الفترة الواقعة بين 1918 و 1921 حاول أبناء حائل.
باستمرار، أن يعرضوا خسائرهم في وسط الجزيرة العربية، فدخلوا في مفاوضات مع الاهالي من
في الحجاز، وأن الشباو أمراء الكويت الذين بدأوا بدورهم على الخط الذي يمثله ابن سعود، خاصة

50
بعد أن باط واضحاً أن دعم بريطانيا خلال الحرب عزز موقعه بدرجة كبيرة. وبرغم نجاح هذه المفاوضات في كسر عزلة آل رشيد بعد الحرب، فإنها لم تسفر عن أي نشاط عسكري مشترك ضد ابن سعود. ولم يتمكن آل رشيد من درء هجوم ابن سعود على أراضيهم في عشرينيات القرن العشرين (المصدر السابق: 223 - 224). وبدأ الهجوم على حائل بمباراة ضغط اقتصادي على قبيلة شمر، التي كانت من أنصار آل رشيد الأقوياء، وذلك عن طريق حرمهم من إمكانية الوصول إلى الأسواق في الأحساء التي كانت وقفت تحت سيطرة ابن سعود. وأعقب ذلك مناوشات وتحاوزات عسكرية على واحات جبل شمر.

وعندما اقترب ضغط العسكري بنزاعات داخلية على الخلافة في العاصمة الرشيدية، بات سقوط السلطة الرشيدية في وسط الجزيرة العربية حتمياً. وكان الضعف اعترى الإمارة أصلاً بتحالفها مع الإمبراطورية العثمانية المهزومة. وبدعم البريطانيين وتحالفهم تمكن ابن سعود من الاستيلاء على حائل في عام 1921 (الرشيد: 223 - 224). في 15 أغسطس 1921 فرض ابن سعود حصاراً على العاصمة الرشيدية بعشرة آلاف رجل. وفي 1 تشرين الثاني/ نوفمبر استسلم آل رشيد لابن سعود. وفي 4 تشرين الثاني/ نوفمبر فتحت أبواب الواجهة وابيع أهل حائل ابن سعود (1).

بسقوط حائل امتدت سلطته ابن سعود إلى المناطق الشمالية من جد. وأنهى سقوط إمارة آل رشيد أفق تطور هذه السلطة المحلية إلى قوة سياسية كبيرة في الجزيرة العربية في القرن العشرين. يضاف إلى ذلك أن احتلال حائل كان ينتمي بأهمية بالغة لأنه مد الحدود السعودية إلى مشارف أبعد شمالاً. وعلقت غير تروى بيل على أهمية الاستيلاء على حائل بقولها «إن قهر حائل ستكون له نتائج بالغة الأثر. فهو سيضع ابن سعود على مسرح السياسة في شرق الأردن» (تشرول: 1976: 169).

(1) للاطلاع على التفاصيل الكاملة للاستيلاء على حائل ومحضر أمراء آل رشيد، انظر الرشيد 1991.
الاستيلاء على الحجاز (1918)


بعد الهدنة مع حسين، اغتنم ابن سعود الفرصة للتوسع في جنوب الحجاز وتحديداً في عسير. وبدأ أن الدعم البريطاني لتنصيب عبد الله وفينسل (ابني حسين) ملكي في العراق وسوريا أكثر حفيظة ابن سعود. واستناداً إلى ترولر فقد «بدا للحاكم النجدي أن خصومه الباشاميين يقومون بحركة التفاوت عليه» (ترولر 1976: 152).

كانت لدى عسير إمارة مقرها في صبي أقامها أحد أحفاد المعلم الصوفي في القرن التاسع عشر أحمد بن إدريس. وكان الأدارة عارضوا الحكم العثماني منذ أواخر القرن التاسع عشر وحشدوا تحالفات قرية بهدف تصرف الحكم من الأرض (الزليفي 1995). وكان هذا عاملاً هاماً وراء قيام الإمارة الأدريسية في القرن العشرين (1906-1935) على يد محمد بن علي الإدريس (1872-1883). وأصبحت الإمارة الإدريسية منطقة عايدة بين قوى محلية متنازعات، فالأسرة الباشامية في مكة وأئمة اليمين كانوا يحاولون التوسع في هذه المنطقة الزراعية، وسعى
الجانبين إلى نيل المساعدة من قوى خارجية لتوسيع نفوذهم في عسير. وأحيطت الدولة الإدريسية في نهاية المطاف بالحماية البريطانية وإيطالية اللتين كانت لهما أسبابهما لمعارضة العثمانيين قبل الحرب العالمية الأولى (بانغ 1961: 141). وأعلنت إيطاليا الحرب على الإمبراطورية العثمانية في عام 1911 بعد الغزو الإيطالي لطرابلس وسريرفة. وبعد أن بسطت إيطاليا سيطرتها على أريتريا وجدت في محمد الإدريسية الذي عارض الحكم العثماني في عسير، حليفاً محتملاً في منطقة البحر الأحمر.

أقام الأدارة سيطرة رخوة على المجموعات القبلية في عسير وخاصة بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. وفي أعقاب الحرب انتقلت قبائل كانت مولالية للأدارة إلى جانب إبن سعود مؤكدة بذلك هشاشة الانتقل بعكية الأدارة ومعظم القبلي. الأدارة أنفسهم لم تكن لهم جذور قبيلة في المنطقة بل كانوا وظيلوا وافددين جدآً بين قبائل عسير غير المتاجسة (بانغ 1961: 135). وفي حين واصل الإدارة حكمهم الصعب في عسير فإن أمير أبها المحلي عرض مبايعة ابن سعود بعدما قامت القوات السعودية بقيادة IDs فيصل باحتلال أبها عاصمة عسير (1). وفي عام 1922، أصبحت أبها جزءاً من ملك ابن سعود، وهو حدث أثار غضب حسين الذي كان يعتبر المنطقة امتداداً للحكم على الحجاز (فالسيليف 1968: 262).

كانت الحملة السعودية في عسير مقدمة لتجاوز عسكري أشد شرسة على أراضي حسين في قلب الحجاز، وقوة سببان يشكلان خلفية في هذا السياق: أولاً، إن موارد ابن سعود المالية تعرضت لضربة عندما أوقفت بريطانيا مخصصه الشهري البالغ 6800 جنيه استرليني في عام 1924. فبدأ ينطلق إلى المنطقة الأكثر ازدهاراً في وسط الحجاز حيث سيفوق الدخل المحقق من ضريبة الحج والرسوم الجمركية المفروضة في جدة بكثير دخله المحدود من نجد والأحساء.


(1) ضم عسير إلى دائرة السلطة السعودية بيد في بانغ 1961؛ والزليفي 1995.
في أيلول/ سبتمبر 1924 ظهرت قوات ابن سعود في الطائف، وهي منتجع جبلى قرب مكة. ونهبت المدينة على امتداد ثلاثة أيام رضخ بعدها سكانها للحكم السعودي. وبضائع من وجهاء الحجاز تنازل حسين لصالح تجربة في 6 تشرين الأول/ أكتوبر 1924. وأرسل حسين إلى ميناء جدة حيث رتب البريطانيون أمر إحراره إلى العقبة. إذ يبدو أن البريطانيين قرؤاً أخيراً الاعتراف بالأمر الواقع الذي أوجده الغزو السعودي للحجاز (تبرى 1976: 218)، ورفضت بريطانيا، بوصفها قوة الانتداب في شرق الأردن، السماح حسين بالاستقرار مع نجله عبد الله خشية أن يستحث هذا انطلاق الغارات السعودية. وبدلاً من ذلك أمام حسين مؤقتاً في العقبة ثم انتقل لاحقاً إلى قبرص.

تنازل حسين شعب ابن سعود على الوفاء إلى مكة. ودخلت قواته المدينة المقدسة في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1924. ومن مكة أصر ابن سعود على رحيل الشريف علي وريث حسين عن الحجاز شرطاً مسبقاً للسلام. وأعلن ابن سعود أن الغرض الوحيد من غزوه الحجاز هو «تأمين حرية الحج وتقرير مصير الأرض المقدسة بما يرضي العالم الإسلامي» (المصدر السابق: 200).

ظهرت قوات ابن سعود على أبواب جدة في كانون الثاني/ يناير 1925 وفرضت حصاراً دام نحو عام. وبوساطة بريطانية غادر الشريف علي مدينة جدة لدى استسلامها في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1925. وكانت المدينة الكبيرة المتبقية في الحجاز، وهي المدينة، استسلمت لابن سعود. وإذ وقعت المدن الحجازية الرئيسية تحت سيطرة ابن سعد، أعلن نفسه «ملك الحجاز» في كانون الأول/ ديسمبر 1925 (1). وفي 8 كانون الثاني/ يناير 1926 بابيع وجهاء الحجاز ابن سعود وأعلنوه «ملك الحجاز وسلطان جدة وتوابعها». وفي غضون ثلاثة أشهر نال اعتراف القوى الأوروبية التي كانت تسيطر على اعداد كبيرة من السكان المسلمين، وهي بريطانيا والاتحاد السوفياتي وفرنسا وهولندا (تبرى 1976: 231).

ضمنت حملات ابن سعود العسكرية في الجزيرة العربية توسع سلطانه على نجد والأحساء والحجاز وعسير. وكانت هذه أول مرة تقع المناطق الأربع تحت سيطرة حاكم واحد منذ الإمارة

السعودية. الوهابية في القرن الثامن عشر. وكانت الغزوات العسكرية هي الخلفية التي قامت عليها الدولة السعودية في القرن العشرين. وحدثت غزوات ابن سعود في وقت بلغ التدخل الخارجي البريطاني مستويًا لا سابق له. وكانت هدية في الإمبراطورية العثمانية في الحرب عاملًا مساعدًا هامًا في هذا التدخل، متيًاًا بريطانيا أن تتعامل مع الأمراء المحليين بدلاً من الإمبراطورية البدائية. وقامت بريطانيا بدور حاسم في توسع ابن سعود إلى حائل والجاز. وأخل دعمها المالي وما كانت تقدمه من ذخيرة وسلاح إيران القوى بين ابن سعود وابن رشيد. يضاف إلى ذلك أن بريطانيا لم تتمكن من التدخل تدخلاً سافراً في الحرب الحجازية بين ابن سعود وحسين لأن هذا كان من شأنه أن يستعيد عليها رعاياها المسلمين. وبعد أن بريطانيا تخلت عن الشريف حسين وامتنعت عن ضبط ابن سعود بعدما كانت وعدت الشريف بالحفاظ على سلامته ملكة في الحجاز.

بعد أن أُجز غزو الحجاز، كان هم بريطانيا الرئيسي أن يحافظ على سلامة الإقليمين اللذين وقعا تحت انتدابها، وبهما العراق وشرق الأردن، حيث كان ابن سعود يمثل تهديداً حقيقياً للنظامين الملكيين الباشمييين اللذين أقيما حديثاً هناك. سعت الحكومة البريطانية إلى تنظيم الحدود بين ابن سعود وجيرانه الشماليين بتوقع اتفاقيتي «محمرة» و«هداء» في تشرين الأول/ أكتوبر 1925. ورفضت هاتان الاتفاقات الحدود بين ابن سعود وغرمانه الباشميين. يضاف إلى ذلك أنهما قيدتا حركة القبائل البدوية الرحل في الشمال. وموجب اتفاقية محمرة» بين ابن سعود والعراق. لا يجوز للقبائل المحصنة لإحداث الحكومتين (العراق و(suffix) أن تعبر الحدود إلى أراضي الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على إذن من حكومتها وموافقة الحكومة الأخرى. (ترول 1976)

وأدرجت مادة مماثلة في «اتفاقية هدا» مع شرق الأردن. وأسفرت هذه القيود على حركة القبائل بين أراضي ابن سعود وشرق الأردن والعراق. عن تحديد خطير لسلطة ابن سعود من قوة الأخوان القبائلية، سيناقش لاحقًا في هذا الفصل. ويكني هذا القول إن هذه كانت أول محاولة رسمية لفرض قيود على حركة القبائل والتحكم بها في منطقة كانت الاتفاقات الدولية وترسيم الحدود بين «الدول» مفاهيم غريبة عنها. وفي عام 1925 تعرض بدو الشمال الرحل الذين
كانتا يعتمدن في معبيشتهم اعتماداً كبيراً على التنقل والهجرة، لضرورة ثانية عندما ألغى ابن سعود تقليل "الديرة" (أرض القبلة)، وأعلن أنها تعتبر من الآن ولاحقاً أراضي مملوكة للدولة.

بعدما انتهى ابن سعود من تأمین أعقاب الحجاز وُجه اهتمامه مجددًا إلى عسير حيث وقع «معاهدة مكة» مع حسين بن علي الإدريسي في تشرين الأول/أكتوبر 1936. واعترف الإدريسي بوضعه خاضعًا لـ "سياسة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان عسير وهو وتواقبها"، ووافق على أن "لا يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة أو يمنح أي امتيازات اقتصادية لأي شخص إلا توافقة جلالته". ووافق ابن سعود على أن يتولى الإدارة أمور الإدارة الداخلية لعسير والإشراف على شؤونها القيبلة» (الذرديل 1982: 379). وأتاحت هذه المعاهدة إمارة عسير شبه المستقلة ذاتياً، أن تتعايش مع المناطق الحاضعة لسيطرة ابن سعود فترة قصيرة من الزمن، ولكن هذا الوضع انتهى في عام 1936، كما سيتضح في الفصل التالي (الفصل الثالث).

ولكن علاقة بريطانيا الحميمة مع ابن سعود ظلت علاقة مُبهمة. وحتى عام 1929، فإن الحكومة البريطانية «في الوقت الذي أخذت في اعتبارها مأثر ابن سعود وضرورة تعديل العلاقات معه»، لم تذهب مع ذلك إلى حد النظر إليه على أنه عامل حاسم في موقع بريطانيا في العالم العربي. فإن ابن سعود كان لم يزل بعد سبع أو ثماني سنوات عن تحقيق هذا النوع من المكانة المرموقة» (المصدر السابق: 89). وعندما أعلن ابن سعود دائرة سلطانه المملكة العربية السعودية في عام 1932، فإن هذه المملكة ودولًا خليجية أخرى معها لم تكن مستعمرات بل كانت قائمة بصورة مُهمة في إطار الإمبراطورية البريطانية وفق علاقات تعاونية خاصة مع بريطانيا. وربما في هذه العلاقة الخاصة مع بريطانيا من «إبهام»، فإنها بقيت علاقة مطلقة حتى وصول الأميركيين بكل اندفاعهم خلال الحرب العالمية الثانية وبدلاً (سلفت وسلمت 1982).

وفي حين أن علاقة ابن سعود الخاصة مع بريطانيا بدأت تكتسب طابعًا رسمياً بعد ضم الحجاز، فقد كانت هناك آليات محلية هامة عملت على تيسير التوسع السعودي خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين. ولن تكتمل قصة توطيد الحكم السعودي من دون تقييم فاعلين محليين قاما بدءاً لا يقل أهمية في تكوين الدولة، هما «المطابعة» و«الأخوان» في نجد.

مطاوعة، نجد

كان رجال الدين النجديون يعرفون باسم «المطابعة» في اللغة المحلية الدارية. وبرغم أن تسمية «المطابعة» تشير اليوم إلى مهنة محددة في إطار المؤسسة الدينية، فقد كان للتمييزية في بداية القرن العشرين معنى أوسمان من دلالات المعاصرة، السلبية في أحيان كثيرة. وفي عام 1900 كان «المطاوع» حضرياً نال تعليماً دينياً بعد فترة من الدراسة مع أحد العلماء المعروفين في المدن الكبيرة جنوب نجد (بالدرجة الرئيسية الرياض) والقصيم (عينة) وأصبح بعدها

(1) ثلاثة ألقاب دينية كانت متداولة في الجزيرة العربية عام 1900: «المطاوع» (الذي يراقب السلوك العام)، و«أهمام» (الذي يرمي الصلاة ولكنه يكن أن يشير أيضاً إلى قائد الأمن الإسلامي)، و«القاضي». وكان من الشائع أن يؤدي شخص واحد وظائف متعددة. انتشر الألقاب الدينية في العربية السعودية ظاهرة حديثة العهد تعود إلى زمن الملك فيصل (1914 - 1975).
متخصصاً في الفقه وأمور العبادة. وتجد تسمية "المطاوعة" الطاعة والالتزام على السواء. فلقد كان "المطاوع" مطلعاً يسهر على طاعة الإسلام وأداء شعائره.

كان "المطاوعة" ظاهرة جديدة. وكانم يتعلقون عن رجال الدين في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، الذين من الشائع أن يشار إليهم باسم "العلماء". وتاريخياً كان رجال الدين النجدين في آيام كثرية لا يدرسون ويدرسون ويطلقون إلّا الفقه الخنقي، معتبرين أن الفروع الأخرى من علوم الدين والكلام تزيفات فكرية لا حاجة لها في مجتمعهم (الجهني 1983: 252). ولأنهم كانوا خبراء في "فقه العبادة" فإن من الأدق وصفهم بالأخصائيين في شعائر الدين أو مجرد "الخصوصين طقوسيين". ويستحضر مصطلح "العلماء" صورة فكرية دينيين كثيرة ما تشمل معارفهم وعلومهم فروع أخرى من علم الدين بالإضافة إلى الفقه. وباستثناء البعض، رمياً من أحفاد محمد بن عبد الوهاب المعروفين باسم آل الشيخ. وقلة من الشخصيات النجدية التي حافظت على تقليد من التبليغ في علوم الدين منذ القرن الثامن عشر، فإن غالبية رجال الدين النجدين كانوا من "المطاوعة". وكان اهتمامهم ينصب على الإسلام الطقوسي مع معرفة محدودة في اللاهوت. وكانوا يمارسون معارفهم بالارتباط مع الزراعة والتجارة.

إن غالبية المؤرخين السعوديين لعلماء نجد لا يميزون بين "العلماء" و"المطاوعة" (البسام 1981). ويشار في تقاريرهم إلى رجال الدين النجدين جميعهم بوصفهم "علماء". ولكن إطلاق تسمية "العلماء" على الفقهاء النجدين في أوائل القرن العشرين سيكون مضلاً، إذ لم يكن في نجد مركز هام لعلوم الدين يقارن بما لدى مكة والقاهرة والنجف. وباستثناء قلة من العلماء في الرياض والقصيم فإن غالبية المختصين بشؤون الدين كانوا في الحقيقة "المطاوعة".

كانت لاضطلاع "المطاوعة" النجدين بفرض الإسلام الطقوسي أهميته في عملية تكوين الدولة. وفي الفترة الواقعة بين 1902 و1932 كان نظام "الانضباط والعقاب" الذي فرضه المطاوعة المنشغلون دائماً بالإسلام الطقوسي، ضروريًا حمل سكان الجزيرة العربية على قبول سلطة ابن سعود السياسية بعد استيلائه على الرياض في عام 1902.

كان أخصائيو الطقوس النجدين يحاجج إلى شخصية سياسية - عسكرية؛ إلى "إمام" رمزي يزكي قضيتهم. ومن سيكون أنسب لهذه المهمة من ابن سعود الذي أجب أجداده على دعمهم منذ خلاف 1744 الشهير؟ وعندما دخل ابن سعود الرياض أعلنوه "إمامهم" بأمل مواصلة
صعودهم ذاته. وقد منهجه لقب «الإمام» الرمزي شرعية كان في حاجة ماسة إليها (1)، والمقابل، ضمنت لـ «المطاوعة» قيادة سياسية وعسكرية متعاطفة. ومن الهم أن يلاحظ أن ابن سعود لم يُعتبر أميرهم أو شيخهم القيبي، ولم يكن بوسعه إلا أن يكون إمامهم، وهو لقب ينطوي على الرمية الدينية نفسها التي مُنحت لآجداده من قبل. ولم يكن «المطاوعة» معلميه خلال سنوات نفيه في الكويت فحسب، بل كانوا أيضاً أقرباءه من ناحية الأم، ولاحقاً أنسبه. ومنذ سن السابعة عهدت رعاية ابن سعود الدينية إلى عدة شخصيات دينية أشهرها عبد الله بن عبد اللطيف الشيخ، وهو من أحفاد محمد بن عبد الوهاب. وإن هذا العالم علمه التوحيد والفقه من كراس أعد خصيصاً له (الزرلكي ١٩٧٢: ١٧). وجرى تأهيل ابن سعود نفسه لذين المضاربين اللذين يعتبران الأهم بنظر (المطاوعة) (حمزة ١٩٣٣: ١٣). وأصبح معلمه، جد الملك فيصل (١٩٦٤ ـ ١٩٧٥) من أمه، حماه.

كانت غالبية «المطاوعة» من سكان الواحات النجدية الخضر. وهم لم يظهروا خلال فترة قصيرة من الزمن، ولا كان ابن سعود من أوجههم، بل كانوا فئة اجتماعية دينية قائمة أصلاً، تربت على تعاليم المصلح محمد بن عبد الوهاب منذ القرن الثامن عشر. ومثل هؤلاء الأخصائيين الذين كانوا موجودين تقريباً في كل مدينة ووادنة في نجد حتى قبل أن يتعاظم زخم الحركة الإصلاحية في القرن الثامن عشر «الجهني ١٩٨٣». وكانت لدى المستوطنات الجديدة مساجد يقوم بها العلماء بتعليم مبادئ الدين، وشعائر الإسلام. وكان طلابهم يتخرجون آمنة وخطباء جامع. وكان ذوي المعارف الدينية الأرقي يعملون قضاة يديرون أمور الشرع برعاية الأمواء المحليين.

يتنسب التحالف المقدس بين ابن سعود وأخصائي الطقوس النجديين بأهميته لفهم أصول الكيان السياسي السعودي في القرن العشرين. وكان هذا التحالف أيضاً الآلية التي ساهمت في استمراره. فإن الأخصائيين الطقوسيين اضطروا بوظائف هامة في عملية تكوين الدولة. وكانوا بحكم إعدادهم الوهابي، ميالين إلى فكرة الدولة بوصفها شراكة بين الإمام الرمزي، «قائد الأمة».

(1) ينبغي ألا يخلط بين لقب ابن سعود الجديد بوصفه "الإمام" ومن يُؤم الصلاة (انظر الباشم ٦). وعندما أصح ابن سعود "إمامًا" كان المقصود ألا يكون من يُؤم الصلاة فحسب، بل قائد الأمية الإسلامية أيضاً.
والأخذائين الدينيين، حيث الأول يسرح على تطبيق القواعد الدينية للثاني. ومن الهم أن
يلاحظ أن فكرة الشراكة هذه لم تكن نتاج النشاط الفكري الذي مارسه "المطاوعة" أنفسهم,
بل طورها رجال دين أرسلن مكانة، العديد منهم من أحفاد محمد بن عبد الوهاب، الذين كانوا
من مُثّل "العلماء".

أقر الأخائين الدينيين الوهابيون بالمبدأ القائل إن السلطة مشروعة أبًا كانت طريقة
الوصول إليها، وإن الطاعة لصاحب السلطة أبًا يكن، واجبة على رعيته بسرا (العظمة
1963 Azmeh
على تحويل ولائهم من حاكم إلى آخر دوأمًا سبوعات فقهية.

وجد ابن سعود في الفكرة الوهابية عن الدولة إطارات مفهومية حاسما لتوزيد أركان حكمه.
فهو كان يتمتع بالشرعية ما دام يختص قضية الأخائين الدينيين تحولا إلى حامي الإسلام
الطوسي. وكانت شرعته تتمتع من الاعتراف بالشرعية وتطبيقاتها قانونا إلّى كسمو عليه
ومستقالا عن إرادته (العظمة 1963: 230). وما دام يتحكم إلى هذا القانون وطريقة علماء
الرياض في تفسيره، فإنه كان قادرًا على الحكم. وكانت مثل هذه المفاهيم في المرجعية والسلطة
ذات أهمية حاسمة لتسيير قيادة طموحة.

كان "المطاوعة" كثيرا ما يصلون إلى القبائل قبل قوات ابن سعود المغيرة(1). كما كانوا بين
السكان الحضر جزءا من الجامعات بوصفهم فئة اجتماعية الدينية. وقاموا بتيسير التوسع
السعودي تتعرف السكان إلى الأفكار أفلا من الذكر. ولكن ينبغي ألا يذهب التفكير إلى أن
"المطاوعة" في الفترة الواقعة بين 1962 و1963، كانوا متمسكين في نقاشات مستفزة مع
جمهورهم حول طبيعة الدولة الإسلامية. فالناس الذين كان "المطاوعة" يثقبون بمذهبهم لم
يكونوا معتنمين بالمناظر الراهوية حول طبيعة النظرية الإسلامية في الدولة وحاكم العدل،
لأسباب منها أنهم كانوا أميين، ولكن الفهم لأن غالبية "المطاوعة" أنفسهم لم تكن لديهم معرفة
بمثل هذه الأمور النظرية. وأرجح أن "المطاوعة" اقتصر على تعليم القرآن والعبادة التي كان
لهم اختصص متميز فيها. يضاف إلى ذلك، أنهم كانوا يبشرن بأهمية الطاعة لوالي الأمر.

(1) متعلق سعودي على دور "المطاوعة" بعدهم رهطا من الجواسيس الذين أرسلهم ابن سعود تحت ستار توعية
القبائل بأمور الدين جمع معلومات عن العلاقات والتفاعلات القبلية، انظر عبد الله 1995. لعل "المطاوعة" مارسوا
أعمال "تجسسية" ولكن مساهمتهم في بناء الدولة تتعدي هذا الدور المحدود.
والطاعة ينبغي أن تتبدى في الاستعداد لدفع الزكاة إليه وتلبية دعوته إلى الجهاد. وكانت الزكاة والجهاد في صميم الفكرة الوهابية عن الدولة، وكان يعتبران من الآليات الحاسمة لتوزيعها.

يضاف إلى ذلك أن الخبراء الدینيين كانوا جماعات محلية متخصصة في أمور الفقه. وكان همهم الرئيسي ضبط الآخرين في ممارسة أركان الإسلام الخمسة ممثثة في الصلاة والمصلي والجهاد والزكاة والجهاد. وهم كانوا معلمين دینيين ذوي معرفة مقدسة. ومن بين أشخاص أخرى كانوا يتعلمون الناس طريقة الوضعية من دون ماء، والصلاة من دون علم بالقراءة، وتلاوة القرآن من دون فهم، وتطبيق الإسلام الحق من دون بذع، وذفن الموتى من دون علامات على قبورهم، وعبادته الله من دون وسطاء، كانت القائمة طويلة حقًا. وبالإضافة إلى وضع نظام «انضباط»، فإنهم إذ نصبو أنفسهم أوصياء على الإسلام الحق، كانوا معيدين أيضاً بقضية «العلاق» وأصبح هؤلاء الأخصائيين الطقوسيون نواة «هيئة العمل بالمعروف والنهي عن المنكر».

قام «المطاوعة» بتأهيل جماعات كاملة في فن الطاعة والأمتثال. وبرغم أن هذا الخضوع كان يراد له أن يكون لسلطة أعلى، هي سلطة الله، فإنها في الممارسة كانت تعني أنه من دون الامتثال لسلطة ابن سعود السياسية سيكون دين المسلمين ودنهم في خطر. وكان الأخصائيين الطقوسيون النجديين يرسلون إلى الجماعات الخضرية والقبائل على السواء. وبرغم أنهم كانوا يمارسون الفضول بما يزالون الناس سليماً إلى «العودة» إلى صراط الإسلام المستقيم. فقد تعين عليهم في أحيان كثيرة أن يستخدموا العنف ضد من كانوا يرفضون الخضوع لسلطتهم. وقد سمح لهم أنفسهم بإنشال العناصر الجسدية.

كان شكل هذا العقاب يتبدي في أحيان كثيرة بجعل المخالفين لقواعد السلوك التي وضعها «المطاوعة» في المساحات العامة. وكثيراً ما يذكر«المطاوعة» بأنهم يتجولون حاملين عصياً طويلة يستخدمونها بين حين وآخر لمعرفة كل من يبخن في أداء الطقوس الموصوفة. وبين الناس كان المطاوعة يستخدمون أساليب عقابية أثرت في ممارساتهم الخاصة التي كانوا يتعلمون فيها أبناء الوجهاء والتجار والملاك المحليين. وكان المانع وصف أساليبهم في العقاب عام 1926 عندما وصل إلى الرياض. وهو يذكر أن أحد المسؤولين الكبار في السبالات الملكي جلد عدناً لأن المطاوعة ارتباه بأنه لم يؤد صلاة الجماعة. كما عرف عن «المطاوعة» أنهم كانوا يقتلون أمام الملا، شعر الرجال وثيابهم التي تزيد على الطول «الإسلامي» المحدد لها. ولم ينتج ابن
سعود من القاص العلمي عندما انتقدته "المطاوعة" لارتداده ثوبًا طويلاً. وفي إحدى المناسبات

بقيت أساليب العقبات نفسا سارية في ما بعد. واستذكَر وجيء من وجهاء نغد تعلَم على يد
مختص طقوسي سيء الصيت من الرياض في الأربعينيات، خبرته عندما وصل إلى مدرسته
dينية ذات صباح وعلى معصمها ساعة يد كانت هدية من ابن سعود نفسه لوالده. لم يمتلك
الفي الغض نفسه من شدة الفرح بهذه الموقفية الجديدة غير المعهودة. سمحه "المطاوع" جانباً,
وبعضا طويلة هُدِمَ الساحة على معصمه. وكان بقية التلاميذ يراقبون برعبد. وقد برر
"المطاوع" هذه الظاهرة التأديبية العلمية قائلًا له إن ساعة اليد "بدعة"، من رجس الشيطان.
وقيل للنبي إنهما ما كان ينبغي أن يرتديون الساحة على معصمهم بل كان عليه أن يضعها في جيبه،
كما يفعل "المطاوع". عاد الصبي إلى والديه اللذين لم يمكنا من النفوذ بكلمة احتجاج
واحدة. وبدلاً من ذلك، جرى توجيه الفتي على تجاهل السلطة المقدسة لهذا "المطاوع" الشهير
في الرياض. وإذا كان هذا هو الأسلوب المنبع في إشاعة المعرفة والممارسة الدينية بين وجهاء
الرياض في أربعينيات القرن العشرين، فلا يسع المرء إلا أن يتخيل كيف كان هؤلاء المختصون
في الطقوس يعاملون العامة من الناس. أكانوا من الوجوه أو بين قبائل الجزيرة العربية خلال
حملات ابن سعود العسكرية.

تاريخياً، كان أصل غالبية الموصوفين هنا بأنهم أخصائيون في الطقوس من المستوطنات
الصغيرة في جنوب مجد والقصيم. وباللغة المحلية، كانوا من "الخضر" الذين لم يحتفظوا بصلات
نسبية مع التقاليد. وكان بعض الأخصائيين الطقوسيين يدعوون الحمدينهم من مجموعات حضرية
معروفة في الهرم الاجتماعي للجزيرة العربية (على سبيل المثال بنو المتميم)، بينما فقد البعض الآخر
الصلة مثيل هذا الأصل وذكراه على السواء.

وكان "المطاوعة" يجمعون بين تخصصهم الدؤوب ونشاطات دينية مثل التجارة والزراعة
(البسام 1987). وفي حين أن أقلية من الأخصائيين الطقوسيين جمعوا ثروة نتيجة اختراقهم في
الشبكة التجارية بين مجد والعراق ومنطقة الخليج والهند، فإن غالبيتهم بقوا فقراء وريفيين.
ويصفهم أحد مؤرخينهم البسام، بأنهم رجال كان "الفتوح والخلق" نسبتهم وتلوهم (المصدر
السابق).
وبرغم أن الأخصائيين الدينيين لم يتسموا بأطر القرابة والنسب التي كانت قائمة بين القبائل، فإن من الصحيح القول إنهم كانوا مجموعة متلاحمة توازنهستمهم المعرفة والتمارسة الدينية. وكانت معرفتهم مستمدة من علماء دين معروفين مثل أحساء محمد بن عبد الوهاب.

وكانت هذه المعرفة نابعة من مصدر واحد هو تعاليم المصلح الذي عاش في القرن الثامن عشر. وكان هذا يشكل العمود الفقري لوحدتهم كفيلة، وبعد إكمال تدربيهم كانوا يمارسون عملهم في مستوطنات مختلفة في شمال تج والقصيم وجنوب تج. وقد عزز مصدر معرفتهم المشترك ولاءهم لبعضهم البعض وأوجد أواصر صداقة ورفقته دائمة بينهم.

كما كان تضامنهم نابعاً من علاقات أسرية. فإن بعض العائلات النجدية أكثبت العديد ممن الأخصائيين الطقوسيين الذين كثيراً ما كانت تربط بينهم أواصر قبلي. وعلى سبيل المثال، أن عائلات الشيخ العتفي والسباعي وابن عتيق وابن بليخ والملا وسميا والسيف والعبسي كانت كلها عائلات دينية جديدة نذير الكثير من أفرادها أنفسهم لـ "الدعوة" (البسام 1978: الجزء الأول: 745; عبد الله 1995: 63). ولم يكن من النادر أن تجد عدة أخوة من أسرة واحدة متخصصين بالدراسات الدينية. وكان بعض هذه العائلات ارتبطة بالمعرفة الدينية منذ القرن الثامن عشر في حين لم يتأمل لها البعض الآخر إلا في وقت لاحق.

ويبدو أن "المطاوعة"، قبل استيلاء ابن سعود على الرياض، كانوا يفتقرن إلى السمعة والسلطة. وكان الأخصائيون الدينيون يتمتعون بين ناسهم، أي السكان الحضر، بقدر من الاحترام مقابل أدائهم وظائف عملهم مهمة مثل الوساطة وفرض النزاعات والتوجيه في مجال الأوقاف والزواج والإرث والطلاق. ولكن حين كانوا يغللون في أعمالهم، فإن مرفعية سياسية على كثيراً ما كانت قادرة على إضعاف أحكامهم. ولم يكن من الممكن دائماً تنفيذ قراراتهم من دون موافقة الأمير المحلي. وكانت قصة طرد محمد بن عبد الوهاب من العيينة في القرن الثامن عشر، حالة تقليدية لأخصائي في أمور الدين يختلف مع القيادة السياسية حول الغلو في تطبيق أحكام الشريعة.

بين القبائل. لم تكن المعرفة المقدسة ولا الورع بين الأخصائيين الطقوسيين مكانة رفيعة، بل إنهم كانوا في أحسن الأحوال موضع تسامح وفي أسوأها يصرون بسهولة. وخلال العقدين الأولين من القرن العشرين، تعايش الأخصائيون الدينيون في حائل، عاصمة الإمارة الرشيدية، مع المتوطنين من رجال شمر الذين ما كان أحد منهم يفكر في احتراف علوم الدين. فهي كانت
ببساطة مختصر قليل هو لدى عدد نادرة بديوية لهم. وكان صالح سالم النبيه، وهو "المطاوع" من حائل. وَصَفَ به رجل "نفيه الدين والأخلاق". وبعد أن درس مع في عبد الله بن عبد المطلب الشيخ عندما استدعى الأمير الرشيدي هذا العالم إلى حائل خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، وَصَفَ النبيه بأنه رجل دين متفانى. وقال حاكم حائل ذات مرة إنه "أرسل هذه العالم إلى الشيطان لنجح في هدايته إلى الإسلام. وبعد خلافات عديدة مع علماء آخرين في حائل، فقد النبيه حظوته لدى حاكمها الذي أعيد إلى واحية تيماء المجاورة (البسمة 1978) 349. كما ضاقت أمير حائل ذرعاً "المطاوع" آخر من حائل هو ابن خلف. فقد تالب ابن خلف بطرق المشاهدة، وهو جماعة من التجار الشيعية الذين عاشوا في الواحة منذ عقود، ولكنه هو الذي تراجعت نشأته إلى تيماء (المصدر السابق 373). إذ لم يكن متردداً أمير حائل أن يُبعد هذه الجماعة الهامة من دافعي الضرائب حتى وإن عدهم "المطاوعة" "خارجيين" عن الدين الإسلامي الحقيق.

بين الفروع البديوية من التحالفات قبلية، كان الأخصائيون الدينيون غير معروفين عملياً، وفي أحيان كثيرة لم تكن تُطلَب مشورتهم إذا كان هناك نظام قيم يدبير تأوي الأعراف والتقاليد والعادات قبلية. وإذا أراد بدو مثير مشورة دينية، فإن نسيز أقرب واحة إليه. وفي غالبية الحالات، كان ينتظر حتى تقتضي الحاجة زيارة الواحة لإيجاد أمور أشد إثارةً مثل شراء قطور أو بيع عرقه وأصواته.

كان "المطاوعة" يتمتعون بسلطة محدودة في الجزيرة العربية عشية عودة ابن سعود إلى الرياح، ولكنهم احتفظوا بذكرى حياة نشأتهم خلال الإمارة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر عندما أصبحوا مشاركين نشطين في القضايا السياسية والمالية والعسكرية. وكانت تلك أولى خبراتهم في العيش في حضرة الإمام (عبد الله 1985). وقد أفادوا في توسع الإمارة على نحو لا سابق له. إذ كان الاستقرار السياسي يعني اتساع المعرفة والعلوم الدينية وازدهار التجارة وتعاظم إيرادات الدولة التي كانوا يتقاسمونها مع القيادة السياسية في الإمارة. وهم كانوا يتقاسمون الخزينة مع الحكام السعوديين. وكان سعودهم في القرن الثامن عشر على نقض حاد مع أخدرهم في القرن التاسع عشر.

تعرض "المطاوعة" لكارثة كبيرة بالغزو المصري للجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر. فإن وقوع حاكم الدرعية السعودي في الأسر على يد إبراهيم باشا في عام 1818، اقترب
بإعاد وقتل الكثير من الأخصائيين الدينيين الذين كان غالبيتهم ينتمون إلى عائلة الشيخ (الباسم 1978 ). وحيث تقريراً المعارف الدينية في نجد. وبعد نهب الهرمية اعترى الضعف بعض الشيء استثمار عائلة الشيخ بهذا المجال عندما بدأ أخصائيين دينيين جديد بالظهور. وفي حين أن محمد بن إبراهيم، كبير قضاء ابن سعود. كان من أفراد عائلة الشيخ، فإن ابن سعود اعتمد في "تدجين" القبائل عموماً، على دائرة أوسن من الأخصائيين. الذين كثيراً ما كانوا ينتمون إلى عائلات جديدة دينية أقل عراقية.

تسببت تصفية الأخصائيين الدينيين، وخاصة أفراد عائلة الشيخ، على أيدي القوات المصرية عام 1918 في إضعافهم. وبدائي أن "المطاعنة" ما كانوا يبردون الوقوع مرة أخرى ضحية كارثة كهذة، وهي حملة إبادة لم يشفعهما من أثارهم تماماً حتى القرن العشرين. وبعد انهيار الإمارة السعودية - الوهابية الأولى، تلتها الناجون من هؤلاء "المطاعنة" في علوم الدين وهم يحاولون، باستماتة، أن يصبحوا تركة محمد بن عبد الوهاب. وكان الكثير من أحفاد هذا العالم عاشوا وماتوا في المفتي - في مصر - (ليغ Bligh 1985 :81). ويقى العلماء، الوهابيون المفيدون في مصر حيث قاموا بتدريس بمبادئ المدرسة الحنبيلية في الفقه الإسلامي في جامع الأزهر تاركين "المطاعنة" التجديدين بلا مصادر هامة للمرجعية الدينية طوال الشطر الأعظم من القرن التاسع عشر.

وإذ فقد "المطاعنة" ثروتهم المادية وسمعتهم ومكانتهم في القرن التاسع عشر، أخذوا يميلون إلى قبول شخصية سياسية لا تعد خلصاًهم فحسب. بل برد المصاص الذي ألم بهم أيضاً. ولا يعني هذا التنقلين من تصميمهم الحقيقي على إحياء الرسالة الدينية لجهدهم الأكبر وإصلاحاته. إذ لا يتعلق السكك إلى التزامهم بإيقاف الجزيرة العربية من حالة "الجاهليّة والهمجية" التي لم تثبت تقع فيها. وهم كانوا يتطوعون إلى حقبة تسودها أحكام الشريعة، فتعيد، من بين أشياء أخرى، مكانتهم وسلطتهم.

لا غرو من أنه خلال الفترة الواقعة بين 1902 و1930 مارس "المطاعنة" سطوتهان المكتسبة حديثاً بالعربية. وقدماً. وعندما وصل ابن سعود إلى الرياض قام بإعلان سمعتهم عن طريق ما أبداهم لهم من احترام مقابل مكافحهم في انتزاع الاعتراف بسلطتهم من الجماعات الاسمية التي لم تقبل حكمه بإرادتها. ومقابل "ضبط" و"معاقبة" أهل الجزيرة العربية. سيُكَافَأُ "المطاعنة"
مادياً ورمزيًا. وتقليديًا، كان الأخصائيون الطقوسيون لا يتسلمون رواتب من الأمراء المحليين، وكان الأوفر حظًا بينهم يكسبون رزقهم في مزاولة الزراعة وتعاطي التجارة، بينما كان الباقيون يعيشون على الصدقات وأوقاف المساجد. وكان أخرون يطلبون أجرًا ماليًا لقاء أعمالهم بما يقدمونه من خدمات وأحكام ومشورة دينية، وهي مارسة اعتبرها محمد بن عبد الوهاب نواعً من الرشوة ينقص من حيادهم (الجهني 1983: 2(2). عمد ابن سعود إلى توظيفهم في خدمة سلطته بتشغيلهم ودفع رواتب نقدية وعينية لهم. وهكذا، حولهم ابن سعود إلى أخصائيين طقوسيين دينيين متفرغين يدينون له بالولاء، ويعتمدون على موارده، والمقابل، ضمن لنفسهم سكان الجزيرة العربية سياسياً تحت ستار الخضوع له. وكان ينظر في "الطاوعة" أن "يجدوا كلًا من يضحى وهو يبدخ أو يرتدي حلة مروقة أو يتوانى عن واجباته الدينية ... وكانوا أيضاً مسؤولين عن جمع الزكاة للحكومة المركزية" (هيلمز 1981: 131). لقد كان نظام الانضباط الأخلاقي وحماية الزكاة على السواء، أثنتين هامتين وراء توطيد أركان السلطة السعودية في الجزيرة العربية.

بدأ تقاليد مقدسة جديدة بين ابن سعود والأخصائيين الدينيين بـ "بيعة" 1902. وكان ابن سعود بوعي في استيلائه على الرياض وقتل حاكمها الذي كان يمارس مهارة تبجية من أمراء آل الرشيد في حائل. وبعد صلاة الجمعة، تجمع الأخصائيون الدينيون ووجهاء الرياض وسكانها الاعتياديون ليسموا تأكيد ابن سعود بوصفه "الإمام" الجديد. بقي عبد الرحمن، والد ابن سعود، موضع احترام وتقدير. وتفبراً عن تأليبه للصيغة الجديدة قدم عبد الرحمن لجبه سيف سعود الكبير (أحد أجداد ابن سعود) بنصله المصري الحد ومقبض مرصع بالذهب وغمد من الفضة (الزركلي 1972: 22). وكان لبيعة 1902 مغزى رمزي ماثل خلفه 1744 بين أمير الدرعاية السعودي ومحمد بن عبد الوهاب.

وصرحاً ما أصبحت الرياض محط أنظار العلماء من سائر مدن مجد. ووحد أخصائيون دينيون مجددين تأهلوسوا وأخرون حديثين العهد. في الرياض ملأاً آمنًا برعااة ابن سعود، وكان غالبيه الأخصائيين الدينيين التجديدين على صلة بنظرياتهم في الرياض خلال فترة الدراسة معهم أو عن طريق الزيارات المنتظمة. ومن ذلك الوقت ولاحقاً، أخذ طلاب العلوم الدينية
يتوجهون إلى الرياض لقضاء فترات من التدرب والتحصيل. وكانوا يرسلون في ما بعد لنشر الدعوة بين القبائل والجماعات الحضرية.

وتشير حكاية من شمر (التحالف القبلي الذي قام في البداية برامج «المطاوعة» لمذهبة السكان، وواصل معارضته ضد ابن سعود حتى عام 1921) إلى التناقض بين ما كان الأخصائيون الدينوين يبشرون به وأصول القبائل الاجتماعية والثقافية. كان المشهد لقاء بين شيخين من شمر لبحث سبل مقاومة التهديد المتمثل بقوات ابن سعود التي كانت تقترب من حائل لإنهاء حكم آل رشيد وتحالفهم القبلي. اقترح ندى بن نهير، شيخ وبيبار الشمرية، أنه ينبغي، إن接受了 استقلال القبيلة، أن يرتدي رجال شمر "عمائمهم" (عجائب الأخوان)، مما يفيد أن على شمر أن تنبري رسالة الإسلام الإصلاحي وتصبح من "الأخوان" ويرتدي رجالها الشماع المتميز الذي يرتديه من أصلوه فعلاً من "الأخوان". رد الشيخ الشمري الآخر عقب بن عجل "هنا ما خذينها بما نت، حنا خذينها بالسيف" (معنى أن سبحة شمر لم تتحقى بعرفة الخروج الأبدمية بل خذت بالسيف). وبعد سقوط حائل في عام 1921 أثرت بعض العشائر الشمرية القرار إلى العراق على أن تخضع لنظام الانضباط والعقاب، وما يترتب على ذلك من خصوص سياسياً.

كان تغيير دائم طرأ على أولئك الذين أخضعوا لهذا النظام. وتشير التقارير التي تصف شخصية الشيخ مطر نتيجة تقهبه على أيدي "المطاوعة"، إلى نطاق هذه العملية. إذ كان فيصل الدويس، الشيخ مطر، بحسب أحد المصادر، بدويًا متوحشًا، متعجفًا وحبيسًا. وأصبح شيخًا بعد والده. وحين عاش في أطرافية تغير سلوكه واهتماماته نتيجة جهود العلماء والقضايا والمطاوعة (الزركلي 1972: 166). وبالرغم من برنامج "الانضباط والعقاب"، "دُعي" الدويس، مثله مثل شيوخ آخرين إلى الإقامة في الرياض كي يتقلى تعليمه الديني من أكبر علمائها الذين كان ارتقاء مكانتهم يعني أسرهم فقريين من مركز السلطة. وكان ما يُسمى "الدعوة"، آلية أخرى للسيطرة، لتأميم خضع القبائل. وإذا رفض شيخ من الشيوخ "الدعوة" فإن الضعف يمكن أن يتعثر موقعه لأن ابن سعود سيبقى على ترقية فرد آخر من تُسمى الشيخ إلى تولي المشيخة. وبين القبائل لم يكن هناك في أحيان كثيراً شح في الأنساب المؤهلة لهذا المنصب.
بعد الاستيلاء على الرياض، كان "مطاوعة" نجد الأداة الأولى التي استخدمها ابن سعود لغزو الجزيرة العربية. وتحت ستار التربية الدينية وتطبيق الشريعة وحماية الأخلاق العامة، تكفل "مطاوعة" مخزون غالبية السكان الذين وقعا تحت سلطة ابن سعود في الفترة الممتدة من 1902 إلى 1932. وكان من بين هؤلاء حضر الواحات النجدية وبدو القبائل. كما قام "مطاوعة" بدور حاسم في تشكيل قوة "الأخوان" القتالية.

الأخوان

في الفترة الواقعة بين 1902 و1911 كان جيش ابن سعود يتألف بالدرجة الرئيسية من رجال مدن جنوب جد الذين رأوا في مشاركتهم في غاراته ألية للدفاع عن مصالحهم التجارية الخاصة. وكان أشد المقاتلين ولا من العارض في جنوب جد، فهم كانوا يشكلون نواة الخرس الملكي ويستعينون من "المجاهدين". وكانوا يثبمون عن الآخرين، من القبائل مثالًا، بخدمتهم الدائمة مع ابن سعود (فاصليف 1998: 57). ولم تتبلور فكرة بناء قوة قتالية إلا في 1908، عندما كان ابن سعود مدعًا بتمرد فرع "العراوي" من أسرته (أحاديث سعود عم ابن سعود) مع البعض من أفراد قبيلة العميان. ونال تمرد "العراوي" مساعدة إحدى القبائل البدوية. وأدرك ابن سعود أن القبائل يمكن أن تهدد بسهولة غزواته في القصيم وجنوب جد ما دامت تعيش حياة البداوة وتحتفظ باستقلالها الذاتي.


كان "الأخوان" هم أولئك البدو الذين قلبو المبادئ الأساسية للإسلام السلفي للمدرسة الحنبلية كما بشر بها ابن عبد الوهاب، والتي نسبيها آباؤهم وأجدادهم أو حرفوها، والذين من...
خلال إقناع المبشرين الدينيين ومساعدة عبد العزيز المادية، هجروا حياتهم البدوية للعيش في الهجرة التي بناها لهم (حبيب ۱۹۷۸:۱۶).

بعد حضر الواحات الجدیدية، كان «الأخوان» أول قوة عسكرية منظمة أخفضت برنامج المطاوعة التنفيذية بين السكان البدو. وكان «الأخوان» يُجددون من بين قبائل الجزيرة العربية. وكانوا في البداية يستقلون المطاوعة في مخيماتهم البدوية، ولكن بعض القبائل وافقت على التوطن في الهجر، وهي القرى التي انبعثت حول الأبار حيث كان العمل الزراعي ممكناً. وتستوفي كلمة «هجر» هجرة النبي محمد الأولي من مكة إلى المدينة حيث أقام جماعته الأولى من المسلمين في القرن السابع. وكانت تعاليم المطاوعة تتطلب فقط حياة حضرياً حيث يستطيع الدعاء والقضاء أن يعملوا بحسب التقليد الأصيل للنبي محمد (ص). لذا، كان المطلوب من القبائل أن تخلى عن حياتها البدوية والتوطن في الهجر ومارس الأسلام كما يدعو إليه المطاوعة. وكان ينتظر منها أن تمارس العمل الزراعي، ويديهي أن الاستقرار في حياة حضرية كان أسباب لنشر الدعوة الدينية والتجنيد للخدمة العسكرية وأغراض السيطرة. وأصبح من وافقو على التوطن وتأييد تعاليم المطاوعة يعرفون باسم الأخوان. وقد جرى تعليمهم على طاعة الإمام الشرعي وتلبية دعوته إلى الجهاد (عبد العزيز ۱۹۹۳:۵۱).

كان لـ«الأخوان» دور حاسم في تذليل التوتر، ولو جزئياً، بين السلطة المركزية والأطراف القبلية، الذي اتت به الإمارات السعودية السابقة وأدى إلى سقوطها. فقد أدمج ابن سعود المجموعات القبلية في قوة شبه دائمة لم يكن يرآد لها أن تنفقت مثبتة بعد الغارات على مستوطنات أو قبائل أخرى. ويجادل حبيب بأن ما كان ابن سعود يتجه إليه هو قوة قتالية لديها حراك البدو وولاية أهل المدن وشجاعتهم وتفانيهم واستقرارهم (حبيب ۱۹۷۸:۱۵). ومن هذه الناحية، كانت السلطة السعودية الناشئة تختلف عن الإمارات السابقة لأنها طالبت من البداية بالتزام القبائل بحياة حضرية تحت بقع التربة الدينية.

وإذ كان المتوسط من توطن القبائل أن يؤدي إلى مزاولة الزراعة، فإن مستوطنات الهجرة المتناثرة في وسط جد كانت أرضًا صالحة للزراعة، والماء متوفّر فيها. وأنشئ الهجرة الأولى الأكثر شهرة، الأرطاوية، شمال الرياض في عام ۱۹۱۱ لتكون مستوطنة قبيلة مطيعة بزعامة فيصل الدويش. واستقبلت هذه المستوطنة عدد العشريين من ثورمة الذي أرسل للتعليم قبيلة
طهير. وفي السنة السادسة عشرة كان العقيري نال علومه الدينية في الرياض برعاية عبد الله بن عبد اللطيف الشيخ (السماح 1978: 82 ; عبد العزيز 1993: 104). وبالإضافة إلى التربوية الدينية التي مارسها بين القبائل كان العقيري قاضياً في السدير أيضاً. وبعد العقيري أرسل عالم آخر باسم عمر بن محمد بن سالم لمواصلة تثقيف قبيلة مطير. ولعل أهمية مطير العسكرية كانت السبب وراء اختيار ابن سعود علماً أكبر بدلاً من إرسال «مطاوية» اعتيادين لتعليم القبيلة وأعمالهم تذهبها.


وفي حين مارس “المطاوعة” الإكراه المعنوي بين أولئك الذين كان يفترض بهم أن يثقفوه في شعائر الإسلام، فإن “الأخوان” كانوا يمارسون الإكراه العسكري ضد سكان الجزيرة العربية. وفي الأحساء وحائل والحجاز، مارس “الأخوان” سلطاتهم بلا كابح (1). كانوا يرهبون السكان باسم تطبيق الشريعة وأسالة الجزيرة العربية وإصلاح الممارسات الدينية. وارتكبت أبعد فظائعهم في الأحساء ضد السكان الشيعة في عام 1913 وفي منتجع الطائف الحجازي في عام 1924 (2). فقد نفذ “الأخوان” إعدامات في الساحات العامة وقاموا بسلب ونهب المدن وسكنائها. وأصبحوا معروفين في الجزيرة العربية باسم “جند التوحيد”. وكانوا يتميزون بلباسهم وسلوكهم. إذ كانوا يرتديون ثياباً بيضاء اللون قصيرة وشماغاً أبيض، تعبيراً عن تفسيرهم المتزمت والكتشف للإسلام. وكانوا يرفضون خِلْية غيَر المسلمين، والمسلمين الذين يُعد إسلامهم “باطلاً” مثل الشيعة والحجازيين. وأشاع موقفهم غير المهادون وقدرتهم على العقاب الشديد، ال꿍 من الخوف والتزوج بين السكان. وذاع صيتهم بسرعة في أنحاء الجزيرة العربية حتى قبل وصولهم إلى أبواب الواحات والمدن. ورسخت صورة “الأخوان” في الذاكرة التاريخية بوصفها “جهلة وشرسة”. ويبدو أن “الأخوان” أبدوا مواقفهم الثابتة على تعاليم أساتذتهم “المطاوعة”، وعملوا موجه تفسير حريفي لهذه التعاليم.

مارس “المطاوعة” و “الأخوان” نظاماً إرهاقياً كان يصعب الإفلات منه ما دام يحظى بدعم كامل من ابن سعود وعلماء الرياض. والظاهر أن قوتهم أخذت تصبح موضع استياء في الرياض بعدما ضمها قهر الحجاز في عام 1926. وانقلب التحالف المقدس الذي بدأ مع “المطاوعة” و “الأخوان” عندما تمردوا على سلطة ابن سعود.

تحالف ليس بذلك القذر من القداسة: ابن سعود و “المطاوعة” و “الأخوان”

____________________
(1) هيلمز يذكر أن ابن سعود حاول طمغ “المطاوعة” منذ عام 1914 عندما وجه إليهم رسائل تشريع إلى أن عليهم أن يتحوا بالاعتدال بين القبائل التي كان يفترض بهم أن يعيدوها إلى طريق الإسلام الحق. نظر هيلمز القبلية التي ساعدوا في تشكيكها.
(2) انظر الحسن 1984, 132.

أظهرت قرارات العالم خلال الصراعات الداخلية بين الأخوة السعوديين في سبعينيات القرن التاسع عشر، السهولة التي كان يحاول بها ولاءه من أخرى إلى آخر (كراوفورد 1982 : 179)، إذ كان يباعب منِّ يُخضع الرياض لسيطرته أياً يكن في حينه. واستمر شيخ هذا التحول يطارد ابن سعود في العشرينات.


بعد بعيدة 1902 بدأت تُجد تشير إلى ابن سعود بوصفه «الامام»، وأخذ يُشار إلى ملكه المنتسب باسم الإمارة في اللغة المحلية الدارية. وكان السكان الخضر والقبائل على السواء يعرفون
فمن فهمي الإمامة والإمارة. وفي حين كانت الإمامة تنتمي إلى الحكاظ الدينى، فإن الإمارة كانت ترتبط بفكرة السلطة مع ما لها من خصوصية في سياق الجزيرة العربية. وبعد الاستيلاء على حائل، أصبح ابن سعود القوة الإقليمية في وسط الجزيرة العربية، وبرز بوصفه حاكم منطقة شاسعة بلا منازع. وسلمت الأحساء والقصيم وشمال جُد بزعامةه على حساب مراكز قوى محلية. واعتمد ابن سعود لقب الإمام لتمييز إمارته عن الإمارات القبلية في الجزيرة العربية وأمراء الواجهات/ البلاد المحيطين الصغر.

في صيف 1921 أعلن ابن سعود نفسه «سultan ان جُد كلها وتوابعها» (كوستاينر 1983: 196-188). ومختص الأخصائيون الذين يدعون للفهم لللقب الجديد. وبدا لقب «السultan» مقبولًا لسكان جُد وعلمائها لأنه كان يقوم على فهم مألوف، بلغ مرحلة متقدمة من التطور في الحكاظ الدينى. ولم ينظر إلى اللقب بما هو كذلك على أنه أخراف عن الإمامة. ولكن لقب السultan بقي صيغة شكلية لا تعني شيئاً لغالبية من أصبحوا رعايا ابن سعود. وفي عام 1921 كان السكان الحاضر والقبائل ما زالت يوجدون ابن سعود حاكم جُد الإقليمي الذي استطاع أن يظهر عددًا من مراكز القوى ويقبر همته على مناطق واسعة، وهو سيئارو معهد للغة عندهم. بحلول تشرين الثاني/ نوفمبر 1921 أصبح جُد وجبل شمر والأحساء جزءًا من إمارته، وكان قد تم التخلص من قادتها المحليين.

كان لقب «السultan» مُعدًا للاستهلاك الخارجي، الهدف منه نيل إعجاب قوى أجنبية، لا سيما بريطانيا، بإجازاته. واعتمد ابن سعود هذا اللقب مباشرة بعد تنويه فيصل؛ حُمل الحكاظ حسين، ملكًا على العراق. وفي الوقت الذي عرفت الجزيرة العربية العديد من الأموات كان هناك، بلا شك، سلطان واحد في وسطها عام 1921. وكان بقدر الضباط البريطانيين أن يبتعثوا في مشاركتهم حول شؤون الجزيرة العربية برسائل تشير إلى سلطان جُد بوصفه من الآن ولاحقًا شخصية يمكن تمييزها بسهولة عن مراكز القوى البدنيات المحلية الأخرى. ويقدر تعلق الأمر ببريطانيا فإن من بقي في الجزيرة العربية هم ابن سعود سلطان جُد والشريف حسين ملك الحكاظ. وفي آب/ أغسطس عام 1921 أكدت بريطانيا لقب ابن سعود.

كانت بسبب ابن سعود على الحكاظ من حكامها الشريفين في عام 1926، أدى الأخصائيون الذين يدعون للفهم لللقب جُد والشريف جُد، وكان الحكاظين على علم بفكرة الملكية لأن الشريف حسين استمع هذا اللقب في عام 1916. وأذ كان علماء الحكاظ على علم.
بالمرادين الشافية الجازية والخليفة العثمانية، فإنهم لم يواجهوا مشكلة مع مفهوم الملكية.

وبعد الاستيلاء على مكة احتك ابن سعود احتكاكاً مباشرًا بofil هؤلاء العلماء، وقام باستدعائه وجهاء الحجاز وطلب منهم أن يجدوا زمانًا يمكن أن يحضر فيه أكبر العلماء والوجوهاء والتجار وأهل الرأي ليبحث حكمهم تحت إشرافه (حمزة ١٩٣٢ :٩٨).

كان لقباً "الملك في الحجاز" و"السلطان في نجد" ينطويان على ازدواجية تعكس إجماع ابن سعود عن وضع ولاء العلماء النجديين الذين ربما لم يكونوا مستمعين لمثل هذه البدعة السياسية، على المحك النهائي في عام ١٩٣٦. وكان علماء نجد يتطلعون إلى إمام أصبح سلطاناً يرغب لواء قضيتهم. وقد وجدوا مثل هذا الشخص في ابن سعود. إذ كانت الإمامة مفهومة على درجة كبيرة من التطور في اللاحوت الحقيقي. وكان السلطنة مفهومة وثيق الارتباط بالإمامة في نصوصهم الدينية الخاصة. ولكن في عام ١٩٣٦، كان الانتقال من الإمامة إلى الملكية سيكون سابقاً لأوانه. وتشتغل الأمر جولة أخرى من الأحداث لاستمالة العلماء النجديين إلى قبول فكرة الملك في أرضهم.

في عام ١٩٣٦، كان العلماء النجديون ما زالوا في نشوة النصر بالاستيلاء على مدينة الحجاز المقدسين مبشرين بتوزيع نظامهم في العقاب والانضباط إلى أقدس الأقاليم طراً. وفي ذلك الوقت، كانوا ما زالوا مهتمين بقضايا "تنقية" الممارسات الإسلامية من كل ما علق بها من بدع. وإذا كان العلماء الوهابيون عدوا الأحساء تربة خصبة للبدع بسبب ممارسات سكانها الشيعة (الحسن ١٩٩٤)، فقد كان للحجاز وضع مميز في أذهانهم نظراً إلى ارتباطها بالإسلام العثماني. وكان العلماء النجديون سعداء برؤية تلامذتهم "المطاوعة" منخرطين بحماسة في "أسلمة" الحجازيين.

بالاستيلاء على الحجاز، بدأ العلماء النجديون على الفور مناقشة ما إذا كان من الممكن استخدام تلغرافها وغيرها من الاكتشافات التكنولوجية في الإقليم من دون البدع من مبادئ الإسلام. وفي الوقت نفسه، كان "الأخوان" وأساتذتهم "المطاوعة" منهمكين في "تنقية" المشهد من أثار ما كان ينظرهم بدعاً دينية. وتشمل هذا على تدمير الأضرحة التي تُبيّن حول قبور الرسول وأهل البيت والصحاباء. كما امتد إلى "أسلمة" الفضاء العام في الحجاز مثل حظر التدخين في الآمال العامة (وهبة ١٩٦٤ :٢٢).
لعل هذه كانت خطة ملائمة ليلعن ابن سعود نفسه ملك ت悍 بينما كان علماء الرياض
منشغلين في مناقشة شرعية التكنولوجيا التي لم تكن معروفة عندهم بعد، لكنها أرسلت لها
وجودًا ثابتاً في الحجاز. وقد أحسن ابن سعود بالنذر المبكراً لوقوع قرد وشيك وخطر.
وفي حين أن مختلف ابن سعود مع علماء الرياض كان تفاوتًا راسخ الجذور، فإن ولا
الأخوان» كان آخرًا في الاضطراب. بدأ «إخوانه» بقيادة الدوبيش، وابن بيجاد وابن
حتلهم برفض موقعيهم التابع. وخلال غزو الحجاز مارس ابن سعود سلطته للمجم «المطاوعة»
و«الأخوان» على السواء. وكان جرى تأهيل أخوان مثير وعثرة والعجمان في شعائر الإسلام
لأنهم كانوا أول من أخضع لنظام «المطاوعة» التحتيف. بدأ هذا التأهيل يتمشى عن عواقب
خطرة لم تكن متوقعة.
كشف الاستياء على الحجاز عن تصصات متتالية لتوسع ابن سعود. فإن ابن سعود نفسه
كان يعتبره مثابة «استعادة مجد أجداده» وهيمتهم على غلبية أقاليم الجزيرة العربية. وكان
مطاوعته» ينظر إلى أنه توسيع مشارف الأمية الإسلامية وفاء لأحكام الشريعة برعاية
إمام يحمي الاتصال الإسلامي وينفذ إرادتهم. ولكن «الأخوان» برغم تبعتهم للأشخاص.
الدينيين «المطاوعة». لم يتخلى عن آرائهم التبليغ بشأن الرعاعة السياسية والاستقلال الذاتي.
وكان فيصل الدوبيش، أشهر متمردي «الأخوان»، يجسد التناقض بين الأفكار الثلاث في الدولة.
وهي أفكار ابن سعود و«المطاوعة» والقبائل. وقد وصف الزركلي شخصية الدوبيش على النحو
الآتي: "عندما يأتي للرياض بصحبة ١٥٠ رجلاً مسلحاً. إذا جلس لا يجلس إلا في جوار الملك،
يترفع عن إلقاء السلام على أي مخلوق يلته القصر ما عدا العلماء" (الزركلي: ١٩٧٢، ٠. ١).
كان الدوبيش حتى ذلك الحين شيخ قبيلة. وكان الاستياء على المدينة ومكة والطائف ومدن
حتلية أخرى، فتح له وشخوش قبائل آخر أغلب الاقتراب إلى مرتبة أمير إحدى المستوطنات
المهذبة حديثًا. وكان الدوبيش عازمًا على أن يصبح أمير المدينة في حين كان ابن بيجاد يطلع
إلى الطائف (الزركلي: ١٩٧٢، ١٠. ١). وفي حين كان ابن سعود يطمتع إلى تكريس السلطة بيده،
كان شيوخ القبائل يضغطون عليه لتفقةهم. وظل قادة قرر "الأخوان" يعتبرون أنفسهم
شركاء شوقيين في السلطة الناشئة حديثًا وليس "أدوات" لتوسعهم يستخدمون ويصرعون بعد
إتجار المهمة (كوستايز: ١٨٨٥٠. ١). وكانت مطامح الدوبيش مفهومة تمامًا لدى أمير الكويت الذي
خلاف الزركلي، لم يكن معنياً بطبيعة الدوبيش «البدوية» و«الوحشية». فإن أمير الكويت أحمد وصف الدوبيش بالكلمات التالية:

الدوبيش سياسي كبير ... ولبست هناك مسألة «دين» وراء هذا التمرد. فإن ما يراه عليه الدوبيش هو سقوط آل سعود وصعوده هو الدوبيش، ليأخذ مكان ابن سعود. ومع ما حققه من نجاح اتسع أفقه وهو يأمل الآن بأن يصبح سيد نجد. وفي مجرى العملية لا يهمه إذا عادت الحجاز إلى الأسرة الشريفية أو حايل إلى ابن رشيد.

(كستاينر 1965: 139).

وفي حين أن تفاصيل تمرد


رد ابن سعود على انتقادات «الأخوان» بالدعوة إلى عقد مؤتمر في عام 1947. وكانت تلك أول مرة يناظر فيها حل مثل هذه القضايا الملحنة بعلماء الرياض. وما كان ابن سعود ليستطيع حل

هذه القضايا من دون التشاور مع العلماء، وأعطى العلماء رأيهم في كل نقطة من النقاط موضوع النقد. وقبلوا انتقادات "الإخوان" للممارسات الإسلامية في الحجاز، وأوصوا بتدبير أضرحة القبور. كما أوصوا بأن يصبح شيعة الأحساء الخاضعين لسلطة ابن سعود من عام 1913 مسلمين حقيقيين، ويتخلوا عن بدعهم. وطالب العلماء بأن يكفر الحجاج السوريين والمصريون عن "ممارساتهم الإسلامية"، وذلك في إشارة إلى استخدام الموسيقى والغناء خلال موسم الحج، وأوصوا بمنع القبائل الشيعية العراقية من رعي حيواناتها في بلاد المسلمين، وذلك في إشارة إلى أراضي ابن سعود.

وحول قضية الأداء الأكثر أهمية، أكد العلماء أن هذا يبقى من صلاحية ابن سعود؛ "إمام الأمة الإسلامية" الذي له أيضًا حرية فرض الضرائب ما دامت هذه الضرائب إسلامية. ونفى العلماء أي علم بسلوك غير إسلامي من جانبه. وكان رأي العلماء حاسمًا لابن سعود. فمن الآن ولاحقًا، كان يقدر النجاح ضد متمرد "الإخوان" بدعم كامل من علماء الرياض. وكان مؤتمر العلماء في عام 1927 لحظة حاسمة في العلاقة بين ابن سعود ورجال الدين التجدد:

رفض "الإخوان" آراء علماء الرياض واستمروا في تحدي سلطة ابن سعود، وفي عام 1928 عندما بدأ أن تمرد "الإخوان" أخذ يلفت من سيطرته، ببعث ابن سعود برسائل إلى سائر أحياء تجد يعلن فيها تنازله. وعلى الفور أصبحت الرياض "محجاً" لأشد أنصاره ولا، وبينهم شيوخ قبائل وعلماء ووجهاء مجدوي آخرون. وفي اجتماع مع مئات الخاضعين ألقى ابن سعود خطابًا شهيراً. وبعد أن استحضر مفاهيم عاطفية مثل "النعمه" و"البداوة"، ذكر مستمعيه ببنجاته في الاستيلاء على الرياض بأربعين رجلاً فقط. وتضافت في كلمته خطابية المكاسب الاقتصادية وفروسية غزوة الأولى وتسليمه للبنية والانتزاع الذي حققه في الأقاليم، إيجاد استعارة في السطوة من الصعب مقاومتها. وطلب من العلماء، "المطامعة" أن يوضحوا العلاقة بين الرعاية والانتزاعات المتغيرة بينهما، واستحضر المفهوم الوهابي المتطور الشهير في الخضوع للحاكم الذي يقود الأمة الإسلامية. وأخيرًا، طلب من العلماء، والوجهاء الخاضعين أن يختاروا حاكماً آخر من بين أسرته ليحل محله إذا لم يكونوا راضين على طريقته في الحكم (الزركي 1972: 1:12).
كان لهذا مغزى بالغ الأهمية لأن ابن سعود ما كان ليستطيع أن يتخلل أسرة أخرى تحكم الجزيرة العربية. كما كان في ذلك مؤشر إلى أن الدويعيش لا يمكن بأي حال أن يصبح حاكماً. وكان خطاب ابن سعود يعني أنه في الوقت الذي يمكن استبداله، فإن هيئة أسرته مقدسة. ومرة أخرى، كان الأخصائيون الذين تشربين بقضايا تتعلق بما إذا كان التلغراف شكلًا من أشكال السحر يجب رفضه. وصدر الحكم النهائي بأنه لا التوافق ولا السنة يشيران إلى عدم شرعية التلغراف. وحول القضية الأخرى متمثلة بتمرد الأخوان, أعلن الأخصائيون الذين أن قيادة الأخوان خرجت عن إجماع الأمة وتبني مقاطعتهم حتى يعودوا إلى جادة الصواب. والدويعيش نفسه وصم بعنوان الباجي الذي كان التخلص منه وتحجيه مشروع من الناحية الإسلامية. وآخرًا، خدعوا البيعة ابن سعود الذي منح في النهاية تفويضاً دنياً بالقضاء على ما كان من الجائز أن يتطور إلى انتكاسة حاسمة لحكمه.

أكد اجتماع الرياض عام 1928 مكاتب علماء الرياض التي بدأت تتطور منذ عام 1927.

ومن الآن لاحقاً، اقتصر عملهم على إبداء الرأي في قضايا الشعائر الإسلامية والابتكارات التكنولوجية التي لن تعرف البلاد نقصًا فيها خلال السنوات التالية. وسلم العلماء بهذا الدور المحدود في السلطة الناشئة حديثًا لأنه كان امتدادًا للخصوصهم القديم في قضايا العبادة. وكانوا في الواقع مبالين إلى القياس بهذا الدور المريح الذي ينجم من اهتماماتهم الناضجة. وكان إقحامهم في أمور السياسة اليومية يشكك خرفاً لتقييم العمل القديم بين الإمام السياسي ورجال الدين عنده. وكان هذا التقسم نشأًا مع التحالف الأول بين ابن سعود ومحمد بن عبد الوهاب في عام 1944. وفي عام 1927 لم يكن علماء الرياض مستعدين لتحقيق هذه الصيغة أو محاولة تغييرها. فهم كانوا مخلصين عام 1928 أنجروا المهمة الصعبة بعض الشيء، في تجريد عدد كبير من الدعاء المماثلة الذين أرسلوا لتطوير باقي سكان الجزيرة العربية لابن سعود. وبعد ذلك، كان دويعيش أن يصبحا مدافعين عن الدولة يستخدمون عند الحاجة والسهر على حماية الأخلاق العامة في المملكة، وأن يتخصصون بالأعلى مثقلين بإصدار الفتوى التي تضفي شرعية على ممارسات الدولة. وفي عام 1928، أصبح واضحاً للمتميدين بينهم أنهم إذا كانوا يريدون القيام بدور في البلاد فستكون عليهم القبول بإخضاع الدين للسياسة. كما أنهم فهموا أن موقفهم المحموم يتعلق على جم طلابهم السابقين: الممطورة.
تمكن ابن سعود، بموافقة العلماء، من جمّ «الأخوان» وسحق متمردهم. وأصبح إخمادهم أشد
الحاجاً بعدما أعد قادة «الأخوان» خططاً لتقسيم دائرة سلطان ابن سعود في ما بينهم. وقول
فاسيلييف إن الدوينج وابن بيجاد وابن حشنين كانوا يطمّعون إلى أن يصبحوا حكام نجد
والحجاز والأحساء على التوالي (فاسيلييف 1968: 277)

انهيار تمرد «الأخوان»

بحلول آذار/ مارس 1929، حشد ابن سعود قوة مقاتلة قوامها بالدرجة الرئيسية رجال من
الواحات النجدية لإنهاء تمرد «الأخوان». وبدأت الحرب ضد المتمردين «الأخوان» بحركة
السيلة تلتها عدة هجمات عسكرية على هجره وخاصة في الأرضاوية والغطفة (كوستاينير
1963: 136). وقد وجدت بريطانيا نفسها تساعد ابن سعود في جمّ «الأخوان» الذين بدأ
السلاح الجوي الملكي يطاردهم (سلتلت وسلتلت 1982: 45). وكان هذا انتصارًا حاسمًا في
إخماد «الأخوان» الذين هرب غالبهم عبر الحدود الكويتية. ويفيد لذرديل أن التقارير
تحدثت عن أئمة مذعرين يندفعون مرغوبين توافراً من السلاح الجوي الملكي وابن سعود...
وكان البريطانيون يخضون أن يطلب «الأخوان» اللجوء لدى قبائل الكويتية ويئدون بها في

لابد من أن هذا كان عاملاً هاماً وراء إقدام البريطانيين على استخدام القوة الجوية الملكية.
فإن آخر ما كانت تريد بريطانيا أن تراه هو متعاطمون مع «الأخوان» بين القبائل الكويتية التي
كانت لبعض منها أصول مشتركة مع نظيراتها السعودية. ولكن قادة «الأخوان» لم يستسلموا
للمتمردين في الكويت إلا في كانون الثاني/ يناير عام 1930. وأبدت بريطانيا مانعة في
تسلمهم بلا شروط «خوفاً من إعداد أعداد كبيرة بالجملة، ربما بينهم نساء وأطفال، أو خلافة
إصدار عفو شامل يمكنهم من معاداة الإغارة في المستقبل» (لذرديل 1983: 119). في النهاية،
وافقت بريطانيا على إعادة قادة «الأخوان» إلى الرياض بعدما وعد ابن سعود بالإبقاء على
حياتهم وتعهد بالالتزام بحقوقهم بحثاً تكرار غارات أخرى داخل أراضي الكويت والعراق (المصدر السابق:
120). أعيد «الأخوان» المتمردون إلى ابن سعود الذي أودعوا السجن في الأحساء أولًا ثم في
الرياض. وتوفي أبرز «الأخوان» المتمردين؛ فيصل الدوينج، بعد عام. وكانت هزيمة «الأخوان»
إيذاناً بنهاية فترة مضطربة في التاريخ السعودي، إذ أثبتت "الأخوان" أنهم قوة قتالية فاعلة لتOUSUS MALK ABN SAUD، ولكن أوضح أنهم كانوا إشكالية في توطيد سلطته.

أقام ABN SAUD و"المطاوعة" و"الأخوان" تحالفًا لم يفسخ إلا بالانتهاء، من غزو الجزيرة العربية. وبعد الاستيلاء على الحجاز في عام 1926، لم يتمكن ABN SAUD من مواصلة التوسع في الشمال والشرق لأن هذا كان سيثير حفيظة بريطانيا؛ القوة الاستودادية في شرق الأردان والعراق، وحامية حكام الخليج من الكويت إلى مسقط. وقبلت هناك فرصه ضئيلة على الحدود السعودية لليمنية. وفي عام 1930، ضم ABN SAUD عسيرة وأعلن أن حاكما الإدريسي لا يجوز له إلا البقاء حاكماً ساسياً على الإقليم. وكان إلحاق عسيرة رسمياً بعدم كانت عاصمتها أنها جزءاً من ملك ABN SAUD منذ حوالي ثماني سنوات، آخر التوسعات الإقليمية (نذر الدين 1983: 136). ولم يستمر ضم عسيرة عن وقوع اشتباكات كبيرة بالقوى المحلية أو الأجنبية مثل بريطانيا أو إيطاليا اللتين كانا نفوذهما يتعزز في البحر الأحمر إبان الثلاثينيات. ولكن كاد يدفع ABN SAUD وإمام اليمن إلى مواجهة عسكرية خطيرة في عام 1934.

بلغ التوسع العسكري حدوده في الشمال والشرق والجنوب الغربي، وكانت دائرة السلطة السعودية تتراوح أراضي تكفلت بريطانيا فيها بضمان سلامة المملكتين الإسلاميتين حديثتي النشأة؛ مملكة عبد الله في شرق الأردان ومملكة فيصل في العراق. وارتقب "الأخوان" المتمردون خطأً فادحاً في عدم اعترازهم بالحقائق السياسية للوضع الجديد. وبدافع من الطموح السياسي والحماسة الدينية، وواصلوا الإغارة على المجموعات القبلية والمدن شمالاً في مناطق لم تكن لابن سعود فيها سلطة أو دعوة تعترف بها بريطانيا. وتعاون ابن سعود وبريطانيا في تفكيك قوة "الأخوان" بعدما أخروا المهمة الشاقة بعض الشيء، متصلة بتوسع سلطة ابن سعود في الحدود التي كانت ممكناً. وانهار التحالف المركزي بين ابن سعود و"المطاوعة" و"الأخوان" تحت ضغوط جديدة كانت تتطلب وقف التوسع العسكري. ودعي علماء الرياض، معلم "المطاوعة" في البداية، لتبشير قمع "الأخوان" الذين خلقت أفولهم باستسلام قادتهم.

---

1) تناقش الحرب السعودية اليمنية الأولى في الفصل الثالث.
لم يكن تمرد "الإخوان" احتجاجاً دينياً على ابن سعود فحسب، بل كان أيضاً تمرداً قليلاً كشف عن استياء بعض المجموعات القبلية من سلطات المنطقة. ورفض "الإخوان" المتمردون أن يبقوا أدوات توسع ابن سعود متوهجان مشتركة حقيقية بصفة حكام وزم荑و محلين في الأراضي المبهورة. وقد رفض ابن سعود أن يتقاسم معهم المكاسب السياسية التي حققتها غزواتهم. وأهم من ذلك، أن تمرد "الإخوان" أظهر أن الدولة الناشئة كانت من البداية كياناً غير قبلي لا يمكن أن يتوسع وتنطوي أركانه إلا على حساب العنصر القبلي. وإزاء الاهتمام البحتى بتوثيق تمرد "الإخوان" وتفسيره، يكون من المستحيل أن بعض الباحثين ما زالوا يعتبرون خطأً أن الدولة السعودية تعيش للدولة القبلية (1). وما زال هذا التصور الإدريسي يروح برغم الأدلة التي تثبت العكس. وفي حين أن قطاعات واسعة من السكان كانت قبليات بشكل تأكيد في الثلاثينيات، فإن الدولة كانت قطعاً كياناً غير قبلي عمل تدريجيًا على تدميرها قبائل القبلة المختلفة وتحقيق تلائمها.

بعد إخماد "الإخوان" وحماية المطاوعة، وأعلن ابن سعود ملكه (الذي كان حتى ذلك الوقت يدعى مملكة الحجاز وجم وتوابعها) "المملكة العربية السعودية" في 22 أيلول/ سبتمبر 1932. وأكد الاسم الجديد إدماج المناطق الليبية على الحجاز وجم، والأهم من ذلك أنه "حفظ ذكرى دور ابن سعود في إقامة دولة موحدة تحت سلطته" (لذردين 1983 / 1401).

(1) يستلزم الأساس غير القبلي للدولة السعودية في القرن العشرين في الفهود 2001، حيث يجادل ضد تفسير كونستانت (1964) للدولة السعودية بوصفها مشيخة قبلي.

(2) حسب لذردين: "نورج جوند ريدل George Rendel رئيس الشعبة الشرقية في وزارة الخارجية، بأن اسم الجديدة أمر يستطيع شخصياً أن ينسب إلى نفسه قدرًا من الفضل فيه. فقد أبلغ رندل أن ابن سعود يريد أن يرسم دولة باسم "سعودية". وأشار رندل إلى أن المجتمع الدولي لن يفهم تمامًا هذا الاسم وطبع باسم "العربية السعودية"، وهو مفترض أخذ به" (لذردين 1983 / 1477).

81
الفصل الثالث

السيطرة والولاء: 1932 - 1952

لأول مرة، أُعلن التحكم الملكي لتسليط استمرارية على مستوى الدولة. وحقق ترسيخ نسب ملكي نتيجة عمليتين متوازيتين. أولًا، عبد ابن سعود إلى تهميش أبناء جيله ذاته (أخوهه وأبناء أخوهه)، وثانياً، عزز سلسلة المتحدرين من صلبهم (أبنائه)، التي تطورت في النهاية إلى فئة ملكية متميزة. هذا الفصل يعالج عمليات السيطرة ويستطلع الأليابات الكامنة في أساس الولاء للدولة في الحقيقة ما قبل النفطية، ثم يمضي إلى تقديم حدث كان يشكل، بأهميته، علامة بارزة في تاريخ السعودية في القرن العشرين، وهو الامتناع النفطي عام 1933 الذي تُغفظ عن اكتشاف النفط بكميات تجارية.

تهميش الفروع السعودية الجانبية

اشتملت استراتيجية التهميش على احتواء الدعاوي المحتملة بالحق في العرش من داخل آل سعود. وبعد الاستيلاء على الرياض مباشرة سعى ابن سعود إلى درء تهديد أعمامه وأبنائه. في فترة المراحل الأولى من التوسع في الجزيرة العربية، واجه ابن سعود تهديداً من يسمون العرائف، أو أبناء عمومته بقيادة عبد العزيز داري سعد بن سعود بن فيصل بن تركي (الدخيل 1982؛ 3-1-1948؛ 182)؛ وكان أبناء العمومة هؤلاء يتحدثون عن سعود الذي تُحيى سلطان الحاكم السعودي عبد الله في سبعينيات القرن التاسع عشر. وبعد انهيار القيادة السعودية في تسعينيات القرن التاسع عشر، كان أبناء عمومته ابن سعود رهائن في بلاد ابن...

82
رشيد في حائل. وخلال إحدى المعارك مع ابن رشيد، ضمن ابن سعود إطلاق سراحهم في عام 1984 ولكن لم ينتم دونهم (سامور 1983: 82). 


أن أصبحت أصغر أعضاء سعود في الحركة السياسية عندما أُجريت حكمًا مستقلين
تقريبًا في أهم مكتسبات الأقليمية وهي التهديده وحائط الأحشاء (1).

بقي تطبيق مصطلح سعود أخوته غير الأشقاء. وعندما حزمت سبعة منهم: سعود وعبيد الله
وحميد وسعود وأحمد ومساعد وعبد المحسن (حزمة 1936-1937). وخلال ثلاثين عاماً من
الحملات العسكرية (1932-1970) أسهم العديد من أخوين سعود في توسعة العسكرية في
الجزيرة العربية. وكان أخوه الوحيد الشقيق، سعود، مفيداً بصورة خاصة في سلسلة من الحملات
في القصيم. وقد وقع في أسر قوات الشريف حسين خلال المناوشات العسكرية الأولى في
الحجاز. وضمن ابن سعود إطلاق سراحه بعد قبول شروط مهينة فرده الشريف (2). وقتل سعود
في ساحة المعركة. وبالتالي لم يشكل مصيره تهديدًا لزعامة ابن سعود. ومعروف أن موت سعد
قبل الأواخر كان ضربة لأبناء سعود لأنه كان أخاه الوحيد الشقيق، وحليفاً ضد أخوته غير
الشقاء. وتزوج ابن سعود من أرملة الفتيل جهوزة بنت السديري.

وفي حين أن أخوه ابن سعود الباقين كانوا ما زالوا من أفراد الأسرة الثانوية، فقد بقيت عبد
الله وحميد من منافسيه الرئيسيين بين أخوته. إذ كان أخوه ابن سعود غير الشقيق عبد الله قائد
الجيش السعودي الذي قهر الحجاز في 1924. وأحمد «الأخوان» خلال تمردهم عام
1927. وعندما انتهت الحملة العسكرية أصبح عبد الله شخصية مراقبة يستقبل الزوار في
منزله في الرياض، أُشبه محكم العائلة الموطن (عذراً لرائي) في عام 1967 Yizraeli
벽 في الله في عام 1967، وكان طوال حياته مهتمًا في الناحية السياسية، ولكنه بقي شخصية مزدقة
محترمة، من مهاجرين ابن سعود نفسه.

كان أخوه ابن سعود الثالث: محمد، نشيطًا في الحملات العسكرية ضد إمارة آل رشيد في
عام 1914. وكان محمد الأكثر ارتباكًا إلى تعيين سعود جل ابن سعود وليًا للعهد في 1927/5
مايو (حزمة 1936: 51). وفي الفترة الواقعة بين 1932 و1943 كان محمد
يشكل تحديًا خطيئاً لاستثمار ابن سعود بالسلطة، وحاول تسويق نجله خالد بوصفه منافساً

________________________________________________________________________

1 Peterson: 1993

2 Kostiner: 1993

(1) من فروع آل سعود الأخرى الأقل أهمية، آل ثنيان وأل فرحان. انظر بيرتسن
(2) لمزيد من التفاصيل، انظر كونستاينر
محتملاً لسعود... ويذهب بليغ إلى أن محمدًا كان متحالفاً مع سلطان بن بيجاد، المتمرد الأخواني الشهير الذي كان أيضاً حماه. وقد وصف محمد بأنه من المتعاطفين مع «الأخوان» ولقب في ما بعد بـ «المطاوع» وشعر بخيبة أمل لإخراجه الأخوان الذي أدى إلى موت حميدة.


تكريس ذريعة ابن سعود

اقترن تهميش مجايله ابن سعود؛ أي أبناء عمومته وأخوته غير الأشقاء، بتمييز ذريته هو من خلال استراتيجية نشطة في تعديد الزوجات واختيار المحليات. وهل تقع عام 1953 أسفرت هذه الاستراتيجية عن مولد 3 ولداً وأكثر من 5 بنتاً لهم أهميتيهم في إيجاد نسب ملكي. وكان ابن سعود يريد أن يضمن بقاء الملكية محصورة بأبنائه. وبعد جلوس سعود على العرش كان يريد لتلكي أكبر أبنائه فيصل أن يصبح ملكاً. كان يُراد للملكية أن تبقى مكافئة لأبنائه، وخاصة الأوائل منهم الذين شاركوا في قهره القسم الأعظم من الجزيرة العربية، وتحديدًا سعوداً وفياً.

(1) ليس لدى المؤلفة (مضاوي الرشيد) تأكيد لهذه المعلومات.
أثارت زيجات ابن سعود المتعددة عدد أطفاله دهشة المراقبين الأجانب والمحليين. وقام فيليب وريجاني وحمزة والزرزلكي، من بين آخرين، بتوثيق زيجات ابن سعود بإشارات مبكرة إلى كونها مفرطة فعلياً، حتى في مجتمع يقر بتعدد الزوجات مثل الجزيرة العربية. ووصف فيليب لقاء غير رسمي مع الملك:

ثم أقر الملك بالزواج مما لا يقل عن 16% عدا عن "العمر_xlim" أفراداً في حياته

ب الرغم أنه أخذ قراراً بقصر نفسه في المستقبل على زوجتين جديدتين سنوياً، الأمر الذي يعني،

بالطبع، التخلي عن أناث من فريقه الموجود في أي وقت للافساح في المجال لهما.

(فيليب 1952 : 111)

من المثير للإعجاب أن يصف فيليب كلمات الملك بـ "الاعتراف" وليس مجرد أقوال للعلم

حوالشروع الزوجية. وجب "اعتراف" ابن سعود في سياق مجلس خاص مع صحبه الأشرج

بالثقة في مقر إقامته الصرف في الطائف. ويبقى أن الملك كرر مثل هذه "الاعترافات" أثناء

خلواته الأكثر استراحته في أشهر الصيف.

وعلق أيضاً شيوخ قبائل عاصرة ابن سعود على تعدد زوجاته. وبرغم أن هؤلاء الشيوخ

كانوا أنفسهم يمارسون تعدد الزوجات، فإن غالبيتهم اعتبروا ابن سعود مغالياً في ممارساته.

ويشير أحد الروابط عن حديث شفهي بين الملك وأحد شيوخ القبائل كـ كانت ممارسات ابن

سعود الزوجية خارجة عن المعتاد عليه في مجتمع الجزيرة العربية، حتى بين الشيوخ والأمراء.

ففي مجلس خاص يبدو أن ابن سعود "اعتبر" بأنه زوج من أكثر من منحة إمرأة، فسأل شيخ

كان حاضراً ابن سعود "وكهنن بليلة واحدة يا محفوظاً" (تقليد شفهي). ويتكرر سرد هذه

الحكاية لتسليط الضوء على عدة أشياء ؛ جهل شيخ القبيلة لحياة البلاد وأفته المحدود وافظرته

إلى الملكة. ولكن لم تكن الحكاية ما زالت تذكر لأنها تعكس كيف كانت زيجات ابن سعود تعد

استثنائية حتى في مجتمع يعيش مزيجاً من تعدد الزوجات وأخذ المحظيات. فإن ابن سعود مد

هذه الممارسة إلى حدودها القصوى.

كيف يمكن أن نفسر العدد "الاستثنائي" لزيجات الملك؟ فإن عدد زيجات ابن سعود

ومحظياته وأطفاله فائق عددهم عند معاصره في الجزيرة العربية وغيرها. فلا ملك الحجاز حسين

ولا إمام اليمن يجري ولا سلطان عمان، كانوا يضافونه في ذلك. وفعل جله سعوداً وحده الذي
تفوق عليه في عدد زواجه وأطفاله. إذ كان لدى سعود 53 ابناً و 54 بنتاً (شمائية 1986: 42).


تفسير آخر يبرز في الأعمال التي تتناول نشوء الدولة السعودية الحديثة. يقبل زواجه الملك الأثرياء/ المتعددة على مشارك الاستراتيجياً. إذ تعتبر زوجاته آلية لتعزيز تحالفات مع قطاعات مختلفة من السكان وخاصة المجموعات القبلية المعروفة والخشبة الدينية والثوب من الخضر (2). ولكن الزواج بوصفه آلية للحلفاء، لا يفسر بوضوح الجد البشري للتحليل. لا يفسر عدداً الحد الكبيرة من المحاربي اللواتي أخذهن الملك، وكثيراً ما كانت المحاربي إمات أجنبية من أفريقيا، وشركسيات أو شيمات في

---

1) هذه المقالة رائجة في أدبيات المعارضة السعودية. انظر السعيد 1981.
2) يعيد كتاب عدة تأكيد المقالة القائلة إن زوجات ابن سعود كانت استراتيجيات سياسية تعزز حلفائه مع عائلات كبيرة في الجزيرة العربية. انظر الزركلي 1972؛ وفيليبي 1954 Philby "علانات كبيرة في الجزيرة العربية." انظر الزركلي 1972؛ وفيليبي 1954 Philby
أصولين. وبالتالي فإن نظرية التحالف لا يمكن أن تفسر أهمية مثل هذه الروابط. ومع ذلك، نظرلإلى زيجات الملك الأبدادية الكثيرة على أنها انعكاس لتفكيك الاستراتيجي حيث أضحى الزواج وسيلة لتحقيق غاية سياسية هي إقامة أواصر قرب تربط السكان بالفئة الحاكمة. وأصبح الزواج استراتيجيا سياسية لبناء الدولة وتوطيد أركانها.

من الصعب إعداد قائمة شاملة بالزيجات التي عقدها الملك على امتداد ما يقرب من نصف قرن. وكان بعض الزيجات قصيرة العمر، حتى أنها تلاشت من الذاكرة والسجلات التاريخية على السواء. ولكن بعض الزيجات لما زالت تذكر لغزها الاجتماعي والسياسي. ويفيد أحد المصادر Holden and Johns بأنه كان لدى ابن سعود 22 زوجة (ليزر 1985؛ هولدن وجيونز بأنه كان لدى ابن سعود 14 زوجة (ليزر 1985). وكان بعض زيجات ابن سعود من بنات قبائل عربية معروفة (بني خالد وشمر وعبيزة والعمجمان) وبنات القبائل (الشعالي وأي رديد) وعائلات حضرية من علماء الدين (الشيخ) وعائلات جديدة حضرية (السديري) وفروع من آل سعود (آل ثنيان، آل جلوي).

وتؤخذ هذه الزيجات بوصفها دليلًا لأساس المباحة القائلة إن التحالفات مع مراكز قوى كبيرة مختلفة كانت مبرر الكامن وراءها. وينبغي أن يلاحظ أن العديد من أبناء ابن سعود وُلدو لمحظيات عُتقن من وضع عبوديتهم بعد إنجاب ولد.

لكي تعزز الزيجات تحالفات قائمة أو تقيم تحالفات جديدة، لا بد من توافر شروط مسبقة هامة. أولًا يتعين أن يتشم الزوج والزوجة إلى جماعتين متساويتين في القوة والقدرة على أقل تقدير.

ثانياً، يتعين أن تكون الزيجات أحادية لبناء تحالفات سياسية طويلة الأمد. وحتى تكون للزواج أي قيمة سياسية فإنه لا يمكن أن يجمع مع عدة زيجات أخرى يراد بها كلها أن تخدم غرضًا واحدًا. ومن الناحية النظرية، يمكن لتعدد الزوجات أن يوسع شبكة التحالفات، ولكنه في الواقع يثير تواصلًا ومنافسة بين الجماعات ذات العلاقة. وتعدد الزوجات يقلل من أهمية السياسية لأي زجاجة متفردة (سامور 1983: 5)، وليس من شأنه إلا أن يزيد من إمكانية قيام متلقى

(1) من بين أبناء ابن سعود الآخرين، اشتهر طلال بن عبدالله تمثيلة مجموعة «الأمراء الأخرون» المعترضة في السنوات، وهو قد وُلد لمحافظة أرميتة اسمها منير. انظر سامور 1983. معاملة في السنوات، وهو قد وُلد لمحافظة أرميتة اسمها منير. انظر سامور 1983:

88
الزوجات باستغلال واهي الزوجات. وإذا حدد أن كان متلقو الزوجات مهنيين سياسياً، فالأرجح أن تعبئة لا تختلف ستترتب على ذلك.

ثالثاً، تعمل سهولة الطلاق ضد توظيف الزوجات وسيلة لأجندات سياسية طويلة الأمد.

فالزواج قصير العمر لا يمكن أن يشكل ركناً ينبغي عليه وراء متلقى الزوجات وواهي الزوجات.

رابعاً، لكي يعمل الزوج على تشجيع التحالف سيئون على متلقى الزوجان أن يردو بالمثل ويصبحا هم أنفسهم واهي زوجات إلى الجماعات التي تقدم بالزواجات. والواقع الذي يتلقي فيها جماعة مهينة زوجات من جماعات أخرى لكنها تخطف بنواتها للتداول الداخلي، لا يمكن أن يتوقع وراء سياسياً ثانياً من واهي الزوجات.

غالبية زيجات ابن سعود لم تستوف هذه الشروط اللازمة. وفي حين أنه صاهر نبلاً الجزيرة العربية، فإن غالبية هذه الجماعات كانت جردت من قوتها وأخضعت سياسياً. وكان الملك يتزوج من نساء مثل هذه الجماعات في تلك اللحظة على وجه التحديد التي تكون غزواته العسكرية قد أضعفت قوة هذه الجماعات وثورتها وسمعتها.

والأمثلة كثيرة لتبيان هذه النقطة. فإن إحدى زيجات ابن سعود الأولى حين كان لم يزل في الكويت، كانت من إحدى نساء قبيلة بني خالد هي وضحى بنت عريعر التي أصبحت أم الملك سعود لاحقاً. وكانت سطوة بني خالد في أحسار منذ القرن الثامن عشر، وكان من المستبعد أن تشمل مثل هذه الزوجة على بناء تحالف هام لأن بني خالد أصبحوا أصلاً لاعبين سياسيين هامشيين.

بعد الاستياء على الرياض في عام 1962 مباشرة، تزوج ابن سعود بتصرف؛ ابنته عبد الله بن عبد اللطيف الشيخ. وأصبحت أم فيصل، الملك الثالث. واعتبر هذا الزواج استراتيجية هامة ترسخ ولاء أسرة الشيخ الدينية للقيادة السعودية. ولكن هذا الولاء كان متوافراً قبل زمن طويل من مصاهرة ابن سعود لهذه العائلة. وكما ورد في الفصل السابق لم يكن من الممكن الرهان على ولاء آل الشيخ بوصفه أمراً مفروغاً منه.

89
يضاف إلى ذلك أن زيجات ابن سعود المتاليلة من نساء شمر، وخاصة مصاهرة فتنتها الرشيدية الحاكمة، حدثت على الوجه التحديد في اللحظة التي بدأت فيها اخسار سطوة شمر.

وقد تزوج الملك من فهدة بنت عاصي الشريم، وهي من أفراد شمر، بعد تخطيطه هيمنة القبيلة.

وعلى الغرار نفسه، حدثت زيجاته من نساء آل رشيد بعدما قهر حكامها على الانتقال إلى الرياض في عام 1921. وعندما تزوج ابن سعود من جوهرة بنت محمد بن رشيد وتزوج جلده مساعد من أختها وطفاء، كان آل رشيد أسرى في بلاط ابن سعود (الرشيد) 1921.

وفي حين أن غالبية زيجات ابن سعود كانت من عائلات نبيلة ذات سمعة رفيعة في الجزيرة العربية، في معظم الحالات كانت هذه المجموعات قدست سلوتونها قبل المصالحة. وغبني عن القول أن الشروط اللازم الأخرى للتحالف لم تكن مستوفاة. وقد اتفق ابن سعود بالالتزيد الإسلامي الذي يبيح للرجال أربع زوجات في وقت واحد وعدها غير محدود من الاحتفالات. وكثيراً ما كان ابن سعود يطلق إحدى زوجاته الأربع لعقد رابطة زوجية جديدة. وكما سبقت الإشارة، فإن فيليبي قال إن الملك اتخذ قراراً بقصر نفسه في المستقبل على زوجتين جديدتين سنوياً. الأمر الذي يعني بالطبع نبذ الاثنين من رفيق زوجاته المتاح في أي وقت للافساح في المجال للزوجتين الجديدةتين (فيليبي 1952: 111). وأسقطت بنات العديد من العائلات النبيلة الهمة من القائمة لتمكينهما من استقبال زوجة جديدة. ولكن، كانت هناك إمكانية تطبيق امرأة والزواج منها ثانية، وتطبيقها مرة ثانية أو ثالثة. وبعد المرة الثالثة كان على المرأة نفسها أن تتزوج من رجل آخر ثم تطلق لتمكين الزوج الأول من الزواج منها للمرة الرابعة. وبرغم أن هذا قد يبدع وعمقًا، فقد كانت ممارسته سهلة. وكان الملك يطلق امرأة ليفصح في المجال لزوجة رابعة جديدة تكون أحيانًا أخت المطلقة. وكان يعيد الزوجات من المرأة المطلقة في وقت لاحق إن شاء ذلك. وبرغم أن الطلاق كان ممارسة طبيعية فإن جوانب الاجتماعية السلبية لا يمكن أن تخدم بناء تعاونات سلبية طويلة الأمد؛ أن «ثني» بنت مجموعات حضرية أو قبائل نبيلة فإن هذا ما كان له أن يديم التحالف الطويل الأمد المشروذ وان يجري الاستنكار بأمل أن تعود البنت إلى بيت الزوجية مع ابن سعود أو أحد أخواته (مثل هذه الممارسات أيضاً كانت شائعة) فإن هذا ما كان ليخدم غايات سياسية، ولا شيء يمكن أن يكون أبعد عن إيجاد ولايات أو المحافظة عليها من تطبيق
امرأة للزواج من أختها. وكانت خيارات الملك الزوجية من مصادف يشك في إمكانية استحضار مفهوم التحالف هنا، عدا عن تطبيقه على البعض من مصارفه.

يفضّل إلى ذلك أنه في الوقت الذي كان الملك يمارس الزواج النظري والأبادي، فإن تداول بناته بقي محدوداً في إطار شبكة قريبة من أبناء العمومة وأسر متفرعة من آل سعود. وتزوجت عدة بنات من أبناء عمومتهن الذين كان بعضهم منافسين محتملين لأبن سعود. وكان يراد لزيجات بناته أن يخفف ضغط الصراعات الداخلية على السلطة. ومن المشكوك فيه أن هذه الاستراتيجيا كانت ناجحة. ولكن ما لصلة بالموضوع هنا هو حقيقة أن آل سعود برزوا مع توتفد أركان المملكة بوصفهم متلقي زوجات من دون أن يسمحوا لنسبائهم بأن ينجزوا من شبكة أباعدهم، محددين بذلك نطاق التحالفات السياسية الحقيقة التي كان يراد إقامتها.

كانت زيجات ابن سعود آلية تقسيمية فاعلة تتيح على ترابيات اجتماعية قادرةً وتكرسها. كما أنها أوجدت ترابيات جديدة. وما كان بقدر زيجات ابن سعود أن تقيم شبكة من التحالفات السياسية مع مراكز قوى هامة لأن هذه الزيجات لم تستفوف أيها من الشروط المسبقة التي كانت ستؤهلهما لهذا الدور. ولا يمكن النظر إلى زيجات الملك إلا بفرادات سياسة عامة لإخضاع سكان الجزيرة العربية من خلال الاستحوار المتىقي على أعر أفرادهم وأمثالهم؛ النساء. وكانت الزيجات جزءاً من استراتيجية سياسية للهيمنة والسيطرة في بلد كانت الموارد لم تزال شحيحة فيها لتحقيق هذا الهدف.

وفي غالبية الحالات، تزوج ابن سعود من مطلقات أو بنات منافسيه وغريمائه السابقين. وما كان من الممكن لمثل هذه الزيجات أن تحولها بسهولة إلى حلفاء، بل كانت هذه الزيجات إضداداً للهيمنة السياسية على جماعات بعد هزيمتها عسكرياً. وفي مثل هذه السياقات، لم يكن بسع العروض ولا ذووها أن يبدوا رأياً أو يفرضوا زواجاً. وكانت غالبية النساء مؤهلات لوضع السياسياً. وقد وصف متعلق على مصادرات الملك مع أعداه المحدرين هذه الزيجات بأنها «إشارة مؤكدة للعالم إلى أن الملك كان القاهر» (ماكلوغلن 1993: 123).

أصبح بقاء واهية الزوجات يعتمد على كونهم جزءاً من شبكة مصااري الملك. وهذه المكانة لم تكون مضمونة لأن الطلاق الذي يحدث في أحيان كثيرة كان يحدد أمدها. ولدي الزوج يمكن للجماعة صاحبة العلاقة أن تصبح متناقية هدباً وعطاياً مختلفة، ولكن هذه المناطق يمكن أن
الساحة وال кафе في الحقبة ما قبل النفطية: المجلس

بعد العديد من المفاوضات مع نبالة الجزيرة العربية وإجابة عدد كبير من الأسئلة، منح ابن سعود ذريته مكانة ملكية بسلسلة من الأعمال والممارسات الرمزية. وقد ثبت أصحاب النسب الملكي عن رغبتهم بفضل موارده التي كانت شحينيحة في الحقيقة ما قبل النفطية ولكنها كانت مع ذلك مؤثرة في مجتمع عرف شفاف العيش. وتعين تمثيل السلطة وتجسيدها لكل يختارها السكان ويجتمرونها. وأصبح هذا قضية ملحة لا سيما بعد توقف حملات ابن سعود العسكرية التي أثارت إعجاب حلفائه وأرحب اعترافهم. وبات استعراض القوة مهماً في وقت لم تكن الدولة قادرة على نيل الإعجاب بأنشغال عامة أو بإدارة أو جهاز بيدوالي. وفي مجتمع لم يكن لتكنولوجيا الاتصالات وجود عملي فيه، تعين استعراض سطوة الملكية أمام الرعية مباشرة.

كانت الساحة الملكية تُعتبر في المجلس؛ ذلك الاجتماعي التقليدي المعروف في الجزيرة العربية منذ قرون. إذ كان أمراء الواحات وشيوخ القبائل وأصحاب السلطة يبقون تقليدياً اجتماعات عامة يستقبلون فيها رعاياهم والزوار من الخارج على سواء. وكان المجلس حلبية للوساطة وفض النزاعات وتجميد القيمة، ولكن الأمور أنه كأمثلة للسلطة (الوشيمة: 1999؛ 152 - 155). وكان حضور مجلس الأمير المحلي يتيح للرعية فرصة تقييم جمه سلطته. وكان الأمراء يستعرضون تروتهم بولائهم م 통해서 كبيراً ما يجذب الجماهير من السكان. وكان عدد العبيد والخدم مؤشرًا إلى قوة الحاكم العسكرية. وكثيرًا ما كان المحيط المادي، بغزارة فضيحة في تنقطع. والأخير من ذلك، أن النظام كان يشجع المجموعات المختلفة على التنافس مع بعضها بعضاً على الموقع المتمثل في نسبة الملك. وكان التنافس بين المجموعات داخلها على توفير الزوجات ناجمًا عن تعدد الزوجات الذي يمارسه، محتملاً، أعلاه سلطة في المملكة. فإن الزواج حسب إخضاع نبالة الجزيرة العربية لآل سعود. وعلى حد تعبير فإن دير مولن van der Meulen «المملك أوجد طبقات ممتازة» (إن دير مولن 157). وفي حين أن غالبية هذه «الطبقات» كانت في ما مضى ذات سطوة سياسية واقتصادية مستقلة، فإنها أصبحت تعتمد اعتمادًا مطلقًا على المكارم الملكية السعودية مع توطيد أركان الدولة السعودية. وإن مصادر نبالة الجزيرة العربية مكتنّة من أن يكونوا جزءًا من شبكات المحوسوبية التي نسبت حول الملك وأبنائه. ومن منظور سياسي، عملت مصادر النسب الملكي على توسعة هيمنة الفئة الحاكمة. وكانت استراتيجيات المصارحة تعتمدًا لما كان تحقيق سياسياً وعسكرياً.

الملخص

الساحة وال кафе في الحقبة ما قبل النفطية: المجلس

بعد العديد من المفاوضات مع نبالة الجزيرة العربية وإجابة عدد كبير من الأسئلة، منح ابن سعود ذريته مكانة ملكية بسلسلة من الأعمال والممارسات الرمزية. وقد ثبت أصحاب النسب الملكي عن رغبتهم بفضل موارده التي كانت شحينيحة في الحقيقة ما قبل النفطية ولكنها كانت مع ذلك مؤثرة في مجتمع عرف شفاف العيش. وتعين تمثيل السلطة وتجسيدها لكل يختارها السكان ويجتمرونها. وأصبح هذا قضية ملحة لا سيما بعد توقف حملات ابن سعود العسكرية التي أثارت إعجاب حلفائه وأرحب اعترافهم. وبات استعراض القوة مهماً في وقت لم تكن الدولة قادرة على نيل الإعجاب بأنشغال عامة أو بإدارة أو جهاز بيدوالي. وفي مجتمع لم يكن لتكنولوجيا الاتصالات وجود عملي فيه، تعين استعراض سطوة الملكية أمام الرعية مباشرة.

كانت الساحة الملكية تُعتبر في المجلس؛ ذلك الاجتماعي التقليدي المعروف في الجزيرة العربية منذ قرون. إذ كان أمراء الواحات وشيوخ القبائل وأصحاب السلطة يبقون تقليدياً اجتماعات عامة يستقبلون فيها رعاياهم والزوار من الخارج على سواء. وكان المجلس حلبية للوساطة وفض النزاعات وتجميد القيمة، ولكن الأمور أنه كأمثلة للسلطة (الوشيمة: 1999؛ 152 - 155). وكان حضور مجلس الأمير المحلي يتيح للرعية فرصة تقييم جمه سلطته. وكان الأمراء يستعرضون تروتهم بولائهم م 통해서 كبيراً ما يجذب الجماهير من السكان. وكان عدد العبيد والخدم مؤشرًا إلى قوة الحاكم العسكرية. وكثيرًا ما كان المحيط المادي، بغزارة فضيحة في تنقطع. والأخير من ذلك، أن النظام كان يشجع المجموعات المختلفة على التنافس مع بعضها بعضاً على الموقع المتمثل في نسبة الملك. وكان التنافس بين المجموعات داخلها على توفير الزوجات ناجمًا عن تعدد الزوجات الذي يمارسه، محتملاً، أعلاه سلطة في المملكة. فإن الزواج حسب إخضاع نبالة الجزيرة العربية لآل سعود. وعلى حد تعبير فإن دير مولن van der Meulen «المملك أوجد طبقات ممتازة» (إن دير مولن 157). وفي حين أن غالبية هذه «الطبقات» كانت في ما مضى ذات سطوة سياسية واقتصادية مستقلة، فإنها أصبحت تعتمد اعتمادًا مطلقًا على المكارم الملكية السعودية مع توطيد أركان الدولة السعودية. وإن مصادر نبالة الجزيرة العربية مكتنّة من أن يكونوا جزءًا من شبكات المحوسوبية التي نسبت حول الملك وأبنائه. ومن منظور سياسي، عملت مصادر النسب الملكي على توسعة هيمنة الفئة الحاكمة. وكانت استراتيجيات المصارحة تعتمدًا لما كان تحقيق سياسياً وعسكرياً.

الملخص

الساحة وال кафе في الحقبة ما قبل النفطية: المجلس

بعد العديد من المفاوضات مع نبالة الجزيرة العربية وإجابة عدد كبير من الأسئلة، منح ابن سعود ذريته مكانة ملكية بسلسلة من الأعمال والممارسات الرمزية. وقد ثبت أصحاب النسب الملكي عن رغبتهم بفضل موارده التي كانت شحينيحة في الحقيقة ما قبل النفطية ولكنها كانت مع ذلك مؤثرة في مجتمع عرف شفاف العيش. وتعين تمثيل السلطة وتجسيدها لكل يختارها السكان ويجتمرونها. وأصبح هذا قضية ملحة لا سيما بعد توقف حملات ابن سعود العسكرية التي أثارت إعجاب حلفائه وأرحب اعترافهم. وبات استعراض القوة مهماً في وقت لم تكن الدولة قادرة على نيل الإعجاب بأنشغال عامة أو بإدارة أو جهاز بيدوالي. وفي مجتمع لم يكن لتكنولوجيا الاتصالات وجود عملي فيه، تعين استعراض سطوة الملكية أمام الرعية مباشرة.
مقر إقامة الأمير مفروضة بسجاد مستورد ووسادات وثيرة، يثير إعجاب سكان الجزيرة العربية
من الخضر والبدو على السواء (1). واستمرت تركة المجلس مع توسع أركان الدولة السعودية،
ولكن حجمه ووظائفه ابتدأت عن الأغاط التي أرتبطت بالأمراء السابقين.

كان الملك يرأس العديد من الاجتماعات اليومية المنتظمة حيث يستعرض سلطته المحتوطة.
وفي عام ١٩٣٢ كان ابن سعود ملك الجزيرة العربية، ومجلسه يعكس هذا الموقع. وكان أحد
اجتماعاته المعروفة باسم "المجلس العام". يُعقد في الصباح. وكان هذا المجلس من الناحية
النظرية مفتوحاً للجميع، ولكن في الممارسة العملية كان لا يُنظر أن يحضره إلا من لديهم قضية
يريدون مناقشتها أو التماساً يريدون تقديمها.

كان هناك فهم واضح بين رعايا الملك أن الرجل لا يذهب إلى القصر إلا إذا كانت لديه قضية
محترمة مع الملك، أو تكون الزيارة حقاً تقليدياً مثل الزيارة السنوية التي يقوم بها البدو. وعلى
سبب المثال أن أهل مدينة الرياض لم يحضروا قط إلى القصر إلا إذا كان لديهم سبب خاص
للقيام بذلك.

(المائه ١٩٨٠: ١٧٨)

كان الملك يجلس في وسط المجلس يحيط به أخوته وأقرباؤيه وأطفاله حسب تقدم مراتبهم.
وبالإضافة إلى شيوخ القبائل الزائرين، كان يحضر المجلس المهزومون حديثاً من غراماته الذين
كان مطلوباً منهم أن يقيموا في الرياض تحت رقابة صارمة. كانوا يحضرون مجلس الملك المنتظم
لا سيما المجلس الذي يُعقد بعد صلاة العصر. وكانت هذه المجموعة كثيراً ما تضم بينها عدداً
من نبلاء الجزيرة العربية. وقال الملك لفيليب ذات يوم مبتسماً: "لدي ضيوف كيروان من سائر
 أنحاء البلاد. آل رشيد مشاه، والأشراف وبنو عائض وأخرون" (فيليب ١٩٥٢: ٧٠). وكان
حضور مثل هؤلاء النبلاء في مجلس ابن سعود مهمًا. فهو دليل على هزيمتهم، وكذلك علامة كرم
الملك ومغفرته. وإذا كان أعدادهم السابقون يجلسون معه ويتمتعون بسخائه، كانت حكنته
السياسية تستعرض أمام الملا.

(1) يمكن العثور على وصف "المجلس" في إمارات الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر في أدب الرحلات
الأوروبي، مثل بلانت Blunt ١٩٧٨ ودوتني Doughty ١٩٦٨.


كان الملك دائماً المبادر إلى الحديث في المجلس. ولاحظ فيليبي "أن الحديث كان عمومًا يتحول إلى مونولوج ملكي تتخلله تمتاوات المواقف من سائر الضيوف. وكانت الجلسة تنتهي نهاية سريعة أو أقل من سريعة حسب اهتمام الملك نفسه بالموضوع المطروح على بساط البحث" (فيليبي 1956 : 10). وأضاف: "في المجلس العامة وخاصة كان دائماً هو الذي يتولى كل الحديث لجمهور صامت كثيراً ما لا يستمع إلى كلماته الحكيمة أو يسمعها لكنه دائماً مستعد للتنوء بعبارات المواقف إذا ما تفضل جلالته تطلب رأي ما عن ملاحظاته" (المصدر السابق : 25).

في الجلسات العام كانت سطوة الملك تتبدي بصمت الضيوف. وكان هؤلاء يبقون ساكنين حتى يُطلب منهم تقديم قضاياهم. كان البعض يقدم للملك عرائض طويلة يشرحون فيها التماساتهم أو تظلماتهم. وكان البعض الآخر يخاطب الملك مباشرة. وفي الحالتين كثيرة ما يتخذ قرار في اللحظة إلا إذا كانت هناك حاجة إلى مزيد من المشاورات لتسوية القضايا. وفي مثل هذه الاجتماعات كان الملك هو الوسيط وأحمرٌ، وكانت كلمته نهائية وغير قابلة للاستئناف. مرتين في اليوم كان الملك يعقد مجلساً خاصاً، مرةً قبل صلاة الظهر، مرةً بعد صلاة العصر. وكان أخوه عبد الله وولي العهد سعود يحضران هذا المجلس بالإضافة إلى مستشارين آخرين (الزركي 1970 : 167).
كان يُعقد إجتماع آخر يُسمى "مجلس الدروس"، بعد صلاة المغرب(1). وكان هذا الاجتماع يكرس لقراءة القرآن قبلها تعليقاً وتفحیسات. وقد وصف الزركلي هذا الاجتماع مثيراً إلى وجود مجلس بين الأحاديث والعلم. وهو يبدأ بعد صلاة المغرب ونادرًا ما يظهر الأمور السعودية في هذا المجلس. ويحضره عدد من موظفي الملك وبعض الضيوف المحليين. والغرض منه هو دراسة القرآن والشريعة. ويقوم قارئ من بين العلماء بتلاوة مقطع من القرآن أمام مصاحبة لمدة نصف ساعة，则 يقدم بعض التفسيرات والتعليقات. ويذكر الزركلي أنه سأل أخا الملك عبد الله عن أصول هذا المجلس فأوضح أنه تقليد في أسرته (الزركل 1956: 19).

وفي حين أن بعض الاجتماعات العامة تستعرض سطوة الملك، فإن "مجلس الدروس" كان يُسري درسًا في الدين. وكان هذا المجلس يشكل في نفسه بالشريعة ومفسريها. مرة أخرى، كانت السلطة في هذا العالم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالملك والمقدس. وكان الالتزام بالمقدس يعزز أيضاً من خلال الصلاة العامة بانتظام حيث يظهر الملك في حال من الخشوع راكعاً خالقاً.

كانت تسلية الملك الخاصة تدور حول "مجلس الربع" الذي يحضر عدد محدود من الشخصيات الأكثر ثقة. كانوا يجلسون على الأرض متربيين وتبادلوا الحديث حتى يغادر الملك إلى مجهزه الخاص (الزركل 1982: 27). وكان بين من يحضر هذا المجلس فيليب وغيره من المستشارين والموظفين القريبين. وفي هذة الأجزاء، حيث يتحدث الملك عن النساء والزواج والملذات الدينية والسياسة؛ "طلبت (موضوعًا) النساء والسياسة العالمية تتفاهمان التشریفات بوصفهما المواضيع الرئيسية للحديث في مجالات الملك الخاصة" (فيليبي 1952: 11).

وفي وقت كانت الدولة السعودية، خلاف ذلك، دولة غير مرتبة، فإنها كانت مخصصة في سياق مجالات عامة وخاصة عادة. وكانت هذه طواعوناً متكربة لها أهميتها. تولدت السلطة الناشئة للتسلب الملكي. وعندما توقفت الحملات العسكرية أصبح المجلس هو المسرح الذي يُمثل عليه دراما السلطة ليشاهدها السكان. والذين كانوا يأتون إلى الرياض في عمل كانوا يطلعون عليها، ولكن دراما السلطة الملكية كانت دراما متقلة أيضاً.

(1) كان "مجلس الدروس" يختلف عن الاجتماع الأسبوعي الرسمي الذي يعقده ابن سعود مع العلماء.
الرحلات الصحراوية بين حين وآخر جزءًا من الروتين الملكي. وكان الملك وأبناؤه وأفراد حاشيته يغادرون القصر الملكي ويتوجهون إلى كتبان النمل القريبة حول الرياض. وقبل أن تظهر السيارة في البلاد كان الملك يستخدم عربية من طراز "فكتوري" ذات حدان واحد وحيدة في الرياض. كانت تصرف وتتهادي بكل رشاقة (ريحاني 1928: 175).

وعندما توقفت السيارات أخيرًا في العاصمة في أواخر العشرينيات، كان الملك يستخدم واحدة منها لرحلاته ال劐وية في الصحراوة. وكانت تثير إعجاب البدو وتزيد من الهالة المحيطة به. وقد شهد ريحاني وصول السيارة ودمعه الملك إلى الانضمام إليه خلال إحدى رحلاته في الصحراوة: "أدريكت أنا كنا خارجين في رحلة، لأن السلطان يصطحب الأطفال في مثل هذه المناسبات. أطفالنا وأطفال آل رشيد،، حوالي مئة شخص في ذلك اليوم، بمن فيهم "الرجاجيل" رافقون راكبي الخيل، وكان بعضهم يتسابق معنا، عندما كان مقياس السرعة يسجل ميلين.

ثلاثية، أربعة فوق الأربعين ميلاً" (ريحاني 1928: 182).

مثل هذه الرحلات كثيرًا ما كانت تشمل على سباقات الخيل. وكان الأمراء السعوديون ووجهاء الجزيرة العربية يتسابقون بينما كان الملك يراقب من خلال المنظر مستمتعاً (ريحاني 1928: 176). وكان أبناء الملك يشاركون في هذه السباقات مع أبناء الوجهاء، الذين كان جيش ابن سعود هزم غالبيتهم. وكان الفائزون يكافأون بجوائز مسؤولة مالية الملك ذهبًا إنكليزياً في الموقع (المصدر السابق).

أتاح توسع السلطة السعودية، وخاصة بعد غزو الحجاز، للملك أن يسافر إلى هذه المنطقة الكوزموبوليتية، وتعين في البداية نقل البلاط الملكي بترمه على الجمال ثم بالسيارات. وكان الملك يقيم في قصور الأشراف ويفضل رفعت كبيرة لتاجر نجد الذين كانوا أحيانًا يضعونها تحت تصرفه (1). وخلال هذه الزيارات لم يكن الملك وحاشيته وحدهم الذين يقومون بالرحلة إلى الحجاز ببل ومعهم رسائله محفوظة في صندوق خشبي. ففي الثلاثينيات والأربعينيات لم يكن لدى الدولة أرشيفات أو وثائق. ولم تبذل محاولة حفظ هذه الرسائل ببناء

---

(1) على سبيل المثال، كان الملك يستخدم في جدة منزل عائلة السفاح التجارية.

96
أرشيفات حديثة إلا بعد الحرب العالمية الثانية (فيتاليسيس 1999: 159) وقد وصف المانع مترجم الملك، الموكب الملكي عندما كان يسافر خارج الرياض:

عندما يسافر الملك، كان يأخذ معه غالبية الموظفين في البلاط الداخلي والخارجي، الذين يُدعون إجمالاً بحولى إثني عشر كابيتًا وستة خدم. وكنا لا نأخذ معنا التموينات والأسلحة المعهودة فحسب، بل أيضاً كل سجلات البلاط والملفات والمراسلات. وكانت تُحفظ في صناديق خشبية ضخمة وتحمل في البداية على ظهور الجمال ثم بالسيارة عبر ألافاء لا تُخشى من الأميال الصحراء. تابعة القافلة الملكية أينما ذهبت.

(المانع 189: 181).


و سواء في الرياض أو غيرها، كان الضيوف الزوارون يتضمنون إلى وليمة اللحم والرز تليها القهوة. وكان الضيوف الكبار يغادرون بعد تغذيرهم بالجُنْح شكارين الله على الأمن والنعمه. وستبقى ذكرى الحديث حية في أذهان من كانوا حاضرين. وكانت أبناء بلاد الملك يسافر أبعد من هؤلاء الحاضرين.

كان تنظيم الضيافة أحد الإجراءات الهامة المبكرة التي أُضيفت عليها طابع رسمي في المملكة.

و كانت إحدى وظائف البلاط الملكي التعامل مع متطلبات إطعام الأعداد الغفيرة من الضيوف الملكيين وأفراد الخاشبة وشيوخ القبائل. وقد أُعدت ميزانية خاصة للطعام في القصر الملكي. وكان نظام الحياة في القصر يتطلب عدم الخلط بين الضيوف فأقيمت ثلاثة أقسام من "المضايف" مضيف لإطعام الوفود الأجنبية، مضيف للبدو، وثالث لأهل المدن (الزركلي...
1970 (354). وخلال تفقد الملك للمنشآت النفطية في الأحساء أقيم حفل ملكي في مقر إقامة الحاكم المحلي ابن جلوي.

واجه الضيف الأمريكيون جمالًا مظهراً كاملاً، سيقاته ورؤسه، كل ما فيه، و 280 خروفاً مطهوً على تلال الرز المعهودة وألفي دجاجة وستة آلاف بضعة وحو عشرة آلاف طبق جاني من الفواكه والخضار والحلوى. وعندما أكملت الدفعة الأولى المؤلفة من 5000 ضيف ما بوسعاً أن تأكله، أكمل الحدود واجنود حتى الشبع، 500 كل مرة. وفيما، رأى النبيرونة من صباح اليوم التالي، سماح للمواطنين بالدخول لأكمل ما تبقى، ولم يستطعوا أكمله في ثيابهم وأخذه معهم.

(هاوارث 1964: 222).

وفي حين أن أرقام هاوارث مشكوك في دقتها، فإن الولائم الملكية كانت محط إعجاب ضيوف الملك، وكانت تجذب أفراداً من البدو. وفي الثلاثينيات والأربعينيات، لم يكن من غير الملوك أن ينصب بدو جماعه تغطتهم حول العاصمة خلال أشهر الصيف حيث سيضمنون وجبة في مضيف خريمس قسم الضيافة المسؤول عن إطعام البدو. سُمي كتابة بالعبد خريس الذي أُنيِّبته هذه المهمة (تقليد شفهي). وعين حي خاص في الرياض هو حي بطاح لتقديم الطعام لأن البدو البسطان لم يكونوا موضع ترحيب في القصر الملكي الذي كانت رحابه محجوزة للكبار من شيوخ القبائل والضيف الأجانب.

تلك هي الأليات التي استُعرضت الدولة السعودية الناشئة نفسها بواسطة أفراد الملك في وقت كان جهازها لم يزال بدائيًا. وكان توطيد الدولة شديدًا الاعتماد على سلسلة من الأعمال الطقوسية التي تؤدي في المجلس العام. إذ لم يكن لسلطة الأسرة الحاكمة من منذ تنجلي به سوى تلك المؤسسة التقليدية، التي كانت من الناحية النظرية مفتوحة لقطاع واسع من السكان، وإن ترتيب أماكن الجلوس وسمت الحاضرين تنمية إحساس بالملكية بين الفئة الحاكمة، حطمته أسطورة المجلس بوصفه النموذج الذي يجسد «الديمقراطية القبلية العربية»، لأن القدرة على التعبير عن الآراء لصانع القرار لا تعادل المشاركة في تحديد القرارات التي تُتخذ.

(نبيلوك 1982: 89). ويمكن أن يضاف أن مجموعة مختارة فقط كانت لديها إمكانية الدخول إلى المجلس الملكي بصورة منتظمة. وفي هذه السياقات، لم يكن مثة شك في أن نظامًا
ملكيَاً هرمياً ومطلقاً كان قيد التوطل. وفي حين أن المجلس كان يوحي بسهولة دخول رعية الملك إليه، فإن واقع المجلس كان بعيداً عن ذلك.

كانت الملكية تتبدد من خلال ولائم باذخة تطعم السكان وتتسع بينهم إحساساً بالسلطة السياسية التي كانت قيد البناء. وكانت الضيافة الملكية تتتكفل بضمان ولاء السكان في وقت لم تكن هناك مبادئيات وطنية أو إحساس عام بالتاريخ والعصر أو برنامج متقدم للرعاية الاجتماعية يربط المحكومين بالحكام. وباستثناء بعض الجماعات الحضرية النجدية التي دعت ابن سعود بإرادتها، فإن غالبية الرعايا في المناطق الأخرى من تجد والحجاز والأحساء وعسير أصبحت جزءاً من المملكة نتيجة الغزو. وفي حين كان المجلس حلبة تتبدد فيها السلطة السعودية التي لا تتجاوز، فإن المصادر والولائم أسفرت عن إقامة آسرة بين العائلة الملكية السعودية وسكان الجزيرة العربية. فقد عملت الزيجات والولائم على إقامة علاقات تبادلية وامتناع. وكانت علاقة الدولة - المجتمع تدور حول اتصالات مشتركة مع الملك وغيره من كبار أفراد الأسرة الملكية. ولقد بدأت عادات النفط تتفرّق على الحزينة الملكية جرى الحفاظ على المبادئ نفسها، ولكن حجم العملية فاق الأفاظ السابقة.

شؤون الدولة

ما عدا فيلي، كان هؤلاء الأشخاص عرباً لهم مكانتهم. وكانوا قد اكتسبوا مهارات إدارية في بلدانهم ووضعوها في خدمة الملك، في وقت كانت الخبرة المحلية محدودة. وكان بعضهم أعدوا من أوائلهم بضعف من القوى الاستعمارية ووفقاً ملذاً لهام في العربية السعودية بعداً عن الحكم الأجنبي المباشر، وااجتر بالملاحظة، أنه في العشرينيات والثلاثينيات لم يكن موظفو الملك في البداية يتلقىون رواتب متناسبة بل كانوا يكافأون ببعض رسوم سنوية، وكان بعضهم يقيم في أقسام خاصة من القصور الملكية ويعيش بين حاشية الملك. وقد شهد هذا الترتيب غير الرسمي إلى الملك الذي أصبحوا يعتمدون عليه اعتياداً كاملاً.

كان اجتماع يومي منتظم يُعقد مع الملك، عادة بعد صلاة الظهر، لبحث قضايا مختلفة مثل الاتصالات مع القوى الخارجية وشؤون الخجج، إذ كانت الشعبة تتعامل مع شؤون محلية وخارجية على السواء. وكان دورها استشارياً بلا سلطة تنفيذية.

كان الملك يثير موضوعاً يريد مشورة فيه. وكان يアクセب ذلك نقاش عام لكل عضو من أعضاء الشعبة مطلق الخريطة فيه لإدراك ما الحقيقي وتقدير أي اقتراح يريد تقديمه. وكان الملك يتيح النقاش حيث يعتقد أنه قبل ما يكيث ثم يتخذ قراره الخاص بشأن ما ينبغي عمله. وما كان عضو من أعضاء الشعبة ليفكر ذات يوم في اقتراح موضوع للنقاش مبادرة منه، فقد كان هذا امتناع الملك وحده.

(المانع 1980:179).


كأن هناك أيضاً التقليد المتمثل في أنه كان ينتظر من التجار أن "يتبرعوا" بالمال والتموينات لأغراض محددة وتوفير إمدادات مستمرة للعائلة الملكية (نيبليوك 1982: 93).

وقد ظلت محاولات ابن سليمان مع الملك خاصة تماماً، بعيدة عن السكان والشغب السياسي، ولكنها كانت أيضاً بعيدة عن أبناء ابن سعود الذين تزايدت مطالبهم بالمال من مسؤول مالية والدهم. وتمت إهتماماتهم الخاصة (1)، "لكن شؤون الدولة الحقيقية كانت تدار في برد الصباح الباقر عندما كان ابن سليمان يأتي مع دفاته، يمده بعيداً عن الأنظار، إلى غرفة الملك الخاصة بعد صلاة الصباح مباشرة" (المانع 1980: 197).

في العشرينيات والثلاثينيات كانت الزكاة مصدر القسم الأعظم من عائدات الدولة. وفي عام 1925، أصدر ابن سعود مرسوماً بتنظيم جدية هذه الضريبة الإسلامية. وقضى مرسومه بأن الزكاة التي تدفع عبده ينبغي أن تؤخذ من حيوات مستواه المتوسطة النوعية. والزكاة التي تدفع نقداً ينبغي أن تستند إلى متوسط سعر الحيوانات وفرضت ضرائب أخرى على المحصول الزراعي محتمسة بنسبة 5 في المئة من المحاصيل المزروعة في أرض مربوعة و10 في المئة من المحاصيل المزروعة في أرض غير مربوعة. وكانت الضريبة المفروضة على الفضة والذهب تبلغ 2 في المئة من سعرهما (فاسيلييف 1988: 304-305).

وبين البدو. كان واجب الشيوخ المحليين وأمراء المناطق أن يتوقعوا من دفع هذه الضرائب.
وفي الهجر التي ورد ذكرها في الفصل السابق، كانت جابة الضرائب من واجب "المطاوية". وكان جابة الضرائب يتقاضون راتباً ثابتاً أو عمولات محسوبة كنسبة مئوية مما ينترزعونه من السكان.
بالإضافة إلى هذه الضرائب، فرض ابن سعود رسمياً جمركياً بنسبة 8 في المئة في الأحساء والاحجاز. كما فرض دفع "الجزية" (التي تؤخذ من غير المسلمين). وقد شمل بهذه الضريبة شيعة الأحساء وأهل اللمة، ولا سيما التجار المسيحيون والهندوس.
وبوجود خريزة الدولة أمنية في يد عبد الله بن سلمان، تعين إضافية طابع رسمي على وظائف الدولة الأخرى. وبعد قهر الحجاز في عام 1926، استحدثت مديرية للشؤون الخارجية. وفي عام 1930 أعيد تسميتها لتكون "وزارة الشؤون الخارجية". وكانت وظائفها منفصلة عن وظائف الشعبة السياسية. وتولى إدارتها فيصل بحل الملك. وكان عدة نواب عرب يديرون شؤونها اليومية، بينهم يوسف ياسين وفؤاد حمزة وحافظ وهبة. وقامت الوزارة بتوظيف مترجم هو المذاع لتولى المراسلات الخارجية (حمزة 1936:118-117).
في الثلاثينيات، اعتمدت وزارة الشؤون الخارجية في البداية على تجار سعوديين لتمثيل البلاد في الخارج. وكان أفراد عائلات التجارية نجدة وتجارية معروفة بما أقامهم من بيوتات تجارية وشركات في موانئ ومدن كبيرة في الخارج. يخدمون الملك بوصفهم ممثلين فضلاً عن ممارسة نشاطاتهم التجارية الخاصة. وكان هناك تجار كبار من عائلات منديل والنفيسي وفوزان.

كان من وظائف الوزارة العملية تنظيم دخول الأجانب إلى العربية السعودية بإصدار تأشيرة خاصة. وكانت لهذا أهميته في تنظيم حج مكة سنوياً وجبابة الضريرية المفروضة على الحاج.

ورصف النظر تدريجيًا عن هذه الضريرية عندما بدأت الخزينة تتلقى عائداتها من النفط.

كان معظم البعثات الأجنبية يقيمون في جدة. وكان الاتحاد السوفيتي من أول الدول التي اعترفت بابن سعود ملكًا على الحجاز في عام 1961(1)، تلتها بريطانيا وهولندا وفرنسا. وفي الثلاثينيات لم يكن عدد السفارات الأجنبية يزيد على اثنتي عشرة سفارة. وكانت وزارة الشؤون الخارجية تتولى كل الاتصالات مع مثل هذه البعثات وترفع تقارير عن القضايا العاجلة إلى الملك (حمزة 1936: 111-166).

بالإضافة إلى الشعبة السياسية ووزارة المال وتوبة الشؤون الخارجية، يعتبر إضفاء طابع رسمي على الترتيبات العسكرية أمرًا ضرورياً فور إعلان المملكة في عام 1932. وكانت القوات السعودية تتضمن أفراد الجيش الحجازي والشرطة الحجازية اللذين أصبحا نواة الجيش السعودي بعد الاستيلاء على الحجاز في عام 1925. وأقيمت «وكالة» في أوائل الثلاثينيات ترأسها وزير المال عبد الله بن سليمان (المصدر السابق: 257)، وفي عام 1944 أصبحت هذه وزارة الدفاع.

في الثلاثينيات وحتى في الأربعينيات، لم يوجد جيش سعودي نظامي. وكما ذُكر في الفصل السابق، فإن توسعتين ابن سعود بين 1923 و1932 كانت أشبه بالغزو الذي تعرضت قوة أساسية دائمة قوامها في العارض (أو وادي حنينة، المنطقة المحيطة بالعاصمة الرياض) وواحات CONDITIONAL(

(1) لمزيد من التفاصيل عن تنظيم الضريرات خلال السنوات الأولى من الدولة السعودية انظر تشودري Chaudhry 1997: 58-65. ولكن يتعين الاحتراس من المبالغة في "السياسات المالية السعودية" إبان الثلاثينيات والأربعينيات.

أخرى في نجد، وتسكثلها قوة "الأخوان" القبلية. وقوة "الأخوان" القبلية لم تُحسَب قط جراء
من الجيش السعودي، وما تبقى من قوة "الأخوان" أصبح نواة الحرس الوطني، وهو قوة شبه
عسكرية منفصلة كثيراً ما تستخدم للأمن الداخلي.

وحين لم يكن الجيش السعودي والحرس الوطني منظمين تنظیماً كاملاً بعد في أوائل
الثلاثينيات، كانت القوة العسكرية للأم تتألف من "المجاهدين" والحرس الملكي، وهم حشد
من المجندین من واحات نجد والجماعات الحضرية في العاذر: كان صنف "المجاهدين" يشكل
الجناحین في المعركة بينما كان الحرس الملكي يقاتل في الوسط (الدخیل 1982: 123).

واحتفظ ابن سعود بعدد كبير من العبيد لأمنه الخاص، ولكن هؤلاء العبيد كانوا يشاركون في
المعارك أيضاً. وكان عبد الأشاد إخلاصاً، الذي يقف وراءه في المجلس وبراقبه حين يصل في
المسدج، يتكفل بضمان أمنه الشخصی (فاسيلييف 1988: 28). 

وفي حين لم تُستحدث وزارة للشؤون الدينية بالمعنى المُتعارف عليه إبان الثلاثينيات، فإن
الملك كان يعقد اجتماعاً أسبوعياً رسمياً مع علماء الدين. وكان هذا حديثاً متزامناً الغرض منه
إطلاق العلماء على الأحداث الراهنة وطلب نصيحتهم في ما يتعلق بالابتكارات في المملكة. وكان
هذا الاجتماع مهمة متلازمة مثله مثل "مجلس الدروس" اليومي غير الرسمي، لأنه يبين أن الملك ملتزم
برأي العلماء، رغم أن هؤلاء كانوا قد أحقوا في خدمة الدولة. وبعد عام 1932 لم يُبلغ عن
وقوع صدامات جدية مع العلماء. وكان إدخال السيارة والطائرة والتلفیزور وحتى وصول أول
بعثة أمريكیة للتنقيب عن النفط في عام 1932 (بناقات أدنوي)، مر من دون تحولات جدية.

ويبدو أن العلماء سلموا بسلطة ابن سعود وتبريراته للابتكارات الكبيرة. وظلوا اجتماعهم مع
الملك ممارسة شكلية بقیة الملوك السعوديين اللاحقون أمناً عليها.

الامتياز النفطي (1932)

كان اليوم يوم جمعة. وقت صلاة الظهر في مسجد الرياض الكبير. الشيخ ابن غرير، إمام
المسجد في الرياض، كان يلقي خطبته على عدد كبير من الحضور. وكان ابن سعود يستمع
وقرأ الشيخ عدة آيات قرآنية بما فيها (ولا تختصرون) "سورة هود" (١٣). واستناداً ابن سعود غضباً، وطلب
من الشيخ ابن غرير أن ينزل. وبدأ ابن سعود يقرأ "سورة الكافرون": (قل يا أيها الكافرون: لا
أعيد ما تعيدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما أعبدكم. ولا أنتم عابدون ما أعبدكم.
(سورة الكافرون: 1-6).

(من المرويات الشفهية).

بعد عدة أشهر على ذلك اليوم من أيام الجمعية في عام 1933، وقع عبد الله بن سليمان
وزير مالية بن سعود اتفاقية مع الشركة الأمريكية "ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا" (SOAL)
(سوكال) للبدء بالتنقيب عن النفط (١). كان إخماد "الأخوان" والأبوة الملكية أورثا بن سعود دينماً يزيد على ١٠٠ ألف جنيه استرليني، فوافق على مبادرة
أمريكية للتنقيب عن النفط في أراضيه. وكان اثنان سعود استحوذان على الآية القرآنية الشهيرة أمام
الملا وخلال الصلاة الجماعية. ويوجد المفاوضات النفطية في الخلفية جداً أن آية قرآنية تحدد
العلاقات بين المسلمين و"الكافرين" (سورة الكافرون) التي قرأها بن سعود مناسبة أكثر من
الآية التي قرأها ابن مر. فالآية الأولى تتبنى إمكانية الفصل/ التعاون بين المسلمين وغير المسلمين
ما دام لكل دينه. لقد كان من الهم إيجاد تبادل للتفاوض مع "الكافرين".

قبل عام من توقيع الاتفاقية النفطية، كان في العربية السعودية أقل من خمسين مقيماً من
غير المسلمين. وبعد الاتفاقية النفطية ارتفع عددهم إلى ١٣٤ بينهم ٥٠ أميريكي و ١١ هولنديًّا
ونحو ٤٤ إيطالياً و ٥٩ روس و ٥٥ فرنسيًّا. وكان غير المسلمين يعملون في قنصلات
ومحطات لتعبئة البنزين ومراكز لبيع قطع الغيار والأدوية (حزمة ١٣٦٦). وفي حين أن
غالبية "الكافرين" الأوائل كانوا يقيمون في الحجاز الكوزموبوليتية، فإن فريق الاستكشاف
الأميريكي غامر بدخول مناطق لم يرها "الكافرين" من قبل مثل واحات الصحراء الممتدة بين
واحاتها الرئيسية وواحات المنطقة الشرقية (٢). وكانت هذه بداية عملية تيسير تبادل
عدد متزايد من "الكافرين" إلى البلاد فحسب، بل أرست كذلك الأساس لتحول مادى كبير.

Major Frank
(١) في عام ١٩٣٣، تفاوض ابن سعود بشأن الامتياز النفطي مع ميجير فرانك هولمز
الذي كان رجل أعمال من نيوزيلندا. وسافر الأميريكي ذو الأصل اللبناني أمين ريجنلدا إلى الجزيرة
العربية وسطاً وترجمياً. وفي عام ١٩٤٨، تعرض مشروع الامتياز لانتكاسة لأن هولمز لم يتمكن من العثور على

(٢) للاطلاع على التفاصيل الكاملة بشأن الامتياز النفطي، انظر الشيخ ١٩٨٨.
عرضت الشركة الأميركية «سوكال» على ابن سعود ما رفضت أن تعرضه شركة النفط الإسرائيلية أخيرًا بإشراف The Anglo – Persian Oil Company – إيرانية. فان الشركة الأنغلو - إيرانية بإشراف ستيفن لونغريغ رفضت مطالب ابن سعود بربع سنو سنوي قدره 500 جنيه اسرائيلي ذهباً، وقرض فوري بقيمة 100 ألف جنيه اسرائيلي. وافقت دفع الربع بروبيتي هندية بدلاً من الذهب.(1)


1999 Brown كان فئي الشخصية الأساسية وراء الاتفاقية من الجانب السعودي (براون 45) ونقولن مونرو، كاتبة سيرة فيليمي، إن «سوكال» كانت تدفع له 1000 دولار.


____________________________
(١) شركة فيليبي الـ «شرقية» كانت شركة تجارية قامت بدور الوكيل لشركة فورد و «ماركوني» في العربية السعودية. ووفق أحد المصادر أن فيليبي باع ١٤٥٠ سيارة إلى ابن سعود في أواخر الثلاثينيات، الأمر الذي زاد ديمون ابن سعود إلى ١٤٠ ألف جنيه استرليني. انظر براون ١٩٩٩: ٥٥.
(٢) انظر الفصل الرابع للاطلاع على تفاصيل الانقسام الذي حدث في العلاقات السعودية – البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية.
نفط بكميات تجارية


أندلعت الحرب العالمية الثانية في وقت سبئ لشركة «أرامكو» ولل أمريكا السعودية على السواء. وفي حين أن إنتاج النفط لم يتوقف تماماً، فقد كان من الصعب بلغو مستوى عال من الاستخراج نظرًا إلى التحديات التي كانت تتضمن التوسع في أعمال التنقيب وفي الموارد البشرية والخفر والشحن. وفي عام 1938 بدأ استخراج النفط بـ 500 ألف برميل. وبحلول عام 1945 ارتفع إلى 2.1 مليون برميل (فاسيليفيف، 1988: 93).


وكان الضيوف الأجانب من القنصلات الموجودة في جدة وكبار شيوخ القبائل يستضافون في قصر آخر، في «البديعة»، وهو منتجع للملك وأفراد أسرته. وأسكن أخوه ابن سعود الكبار وأبناءه في مبان ومحلقات جديدة تشكل جزءًا من المجمع الملكي. وأصبحت الرياض ورشة بناء.

van der De Gaury وفان دير مولن Meulen

في عام 1982، قدرت عائدات الدولة بمليون وثلاثة ألاف جنيه استرليني ذهباً غالبيتها من جمالي الحجاج وحجابها (صلعت وسلعت 1982: 64). واستمرت عائدات الدولة في الارتفاع بطرد بعد الحرب العالمية الثانية (انظر الجدول رقم 1).

تعتبر انتظام حركة الإعمار في الرياض باندلاع الحرب العالمية الثانية. خفضت الحرب عدد الحجاج الذين كانوا ماليوناً للدولة ما زالت تعتبر جزءاً منهم. وقامت المستلزمات المادية والأيدي العاملة الماهرة التي كانت مطلوبة لمواصلة التنقيب عن النفط وانتهافة. وشهدت العربية السعودية أزمات غذائية، ووجهت مداراة "آرامكو" في الضغط على واسطن تأملت البلاد لشملها ببرنامج الإعارة والتأجير عندما أعلن فرانكلين روزفلت أن المملكة ذات "أهمية حيوية للدفاع عن الولايات المتحدة الأميركية" في عام 1943 (هولدن وجونز 1981: 128). وبعد

(1) خلال الحرب العالمية الثانية، عانت شركة "آرامكو" نقصاً في الأيدي العاملة، واستخدمت الشركة أسرى حرب إيطاليين أسروا في شرق أفريقيا لتدريب العمال السعوديين والعرب. انظر براون Johns and Holden 1981.
اتخذ موقف الحيادية رسمياً خلال السنوات الأولى من الحرب، أعلنت العربية السعودية الحرب على ألمانيا، وعملت المعونات الأمريكية مع دعم مالي بريطاني قدره مليون جنيه استرليني سنوياً، على مساعدة العربية السعودية في تجاوز سنوات الحرب الأخيرة. وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، كانت مساهمة النفط بلغت 10 ملايين دولار من إجمالي عائدات الدولة البالغة 13,2 مليون جنيه استرليني (فيليبي 1955: 1988؛ الشيخ 1946 : 120).


شهد الملك خلال سنواته الأخيرة توسع الرياض وتشييد قصور ملكية وظهور مضخات الماء والكهرباء والسيارات والطائرات وإدخال القطار من جديد بعد تجربة قصيرة العمر معه خلال الحرب العالمية الأولى وانخرط العربية السعودية في السياسة الدولية والعربي. وبالإضافة إلى اجتماعه مع العاهل المصري الملك فاروق، التقى ابن سعود الرئيس الأمريكي فرانكلين د. روزفلت.

__________________________

(1) إبان الحرب العالمية الثانية حافظ ابن سعود على حياده، ولكنه أرسل مبعوثين إلى ألمانيا. وكان أحد هؤلاء المبعوثين ليبيًا هرب من بلاده ووضع نفسه في خدمة الملك السعودي. انظر هولدن وجونز 1981: 128.

(2) في الأربعينيات، عانى ابن سعود معاناة حادة بسبب سلوك البعض من أبنائه. فإن حفارات تعاطي الكحول في القصور الملكية أصبحت مصدر إحراج، وكان عليه أن يستجيب لانتقادات العلماء، لمزيد من التفاصل انظر ماكولف 1988 McLaughlin.

(3) تعطى خط الحجاز الشهير للسكة الحديد بين دمشق والمدينة خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان الخط أول تجربة عاشته الجزيرة العربية مع السكك الحديد. انظر العصر 1974. 110.
روزفت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرتشيل في عام 1945: الأول قدم له طائرة مدنية من طراز "دودجاس دي سي-3" أُعطيها اتفاقية مع شركة "ترانس وورلد إيرلاينز" (تي دبليو أي) لِتُوفر طيارين وخدمات جوية مساعدة. وبعد أشهر أرسل تشرتشيل سيارة رولز رويس (1).

وكانت العربية السعودية أخذت وقتاً تفلت من قضاء بريطانيا.


النفط والمجتمع في الأربعينيات والخمسينيات

برغم النمو التدريجي في جهاز الدولة الإداري، بقي ابن سعود ملكاً مطلقاً. وكان يعهد ببعض مسؤولياته إلى ولديه سعود وفيصل، واحفظت بعدم الموظفين. وكانت "آرامكو" تساهم في غالبية الأعمال العامة التي نُفذت خلال العقد الأخير من حياته. ومن الخلف تصور وجود جهاز دولة "بيروقراطي" أو "إدارة" خلال هذه الفترة رغم استحداث الوزارات آنفة (1).

(1) يُبِدِ أَن هَذِهِ تِشْرِتشِيل لَمْ يَكِن لِهَا وَقِع حَسَن لَدِي اِبْن سُوْدُود الَّذِي قَدَم سِيَارَة الرُولِز روِيس إِلَى أَخِه

عبد الله.
الذكر. وامتد دور «أرامكو» في تشيد البنية التحتية للبلاد من أجل تيسير استخراج النفط وشحنه إلى الأسواق الخارجية. وأبعد من بناء الطرق والأنابيب والموانئ والمطارات في المناطق النفطية وغيرها ليشمل توفير المدارس والمستشفيات وإدارة شبه رسمية، فإن «أرامكو» كانت تسد ثغرة ناجمة عن قصور خدمات العامة والتعليم والمرافق الصحية، وانعدامها عملياً في بعض مناطق البلاد. وفي غياب جهاز الدولة كانت «أرامكو» مقاتلة الدولة الثانوي، إذ كانت توفر خدمات حيوية (الماء والعناية الصحية) للأسرة الملكية، بالإضافة إلى مشاريع عامة ظاهرة للغاية تعزز السلطة الملكية. وكان مشروع السكة الحديد واحداً من بين مبادرات عديدة تُنذّت بين 1945 و1954. وبعد الدور الذي قامت به الشركة خلال المراحل البدائية في تشيد البنية التحتية المادية تمثلت المفارقة في أنه لا مساهمتها الأولى ولا «سعودتها» اللاحقة يرد لها ذكر في المرويات التاريخية الرسمية (فيتاليس 1997 : 17 و1998 : 30-25)، وهي موضوعة

ستعالج لاحقاً في هذا الكتاب.


وبغضون هذا الفصل كان جزءًا من روح «أرامكو»، فإن السعوديين لم يكن لديهم المزاج ولا القدرة على تحديه. وبقيت «سورة الكافرون» التي قرأها ابن سعود خلال صلاة الجمعة

112
الخليفة التي كان السعوديون ينظرون منها إلى تواجد "الكافرين" إلى "أرض الإسلام". وهو فيهم مستمر حتى يومنا هذا. في غضون ذلك، بدأ الظاهران تكتسب مظهر وأجواء مدينة صناعية في Amirkhan. وقيل إنها تشبه بيكزفيلد على حافة صحراوي Mojave في كاليفورنيا. كما كانت في الخمسينيات عامةً صغرىً من اليوت الواطبة ضواحيه أكواخ كثيرة ذات أسطح من الصفيح، وحارات من الكتل الإستمنية. وملاحظات التعبد (براون 1996: 139: 140).


طوال سنوات (المصدر السابق: 15). وفي حين أن بدوً من مناطق مختلفة من البلاد كانوا يأتون ويزهبون، فإن الفلاحين الشيعة الحساسين أثبتوا كونهم الفئة الأقل تقلبًا في هذا الكيان غير المتجانس حيث النشأة الذي يسمى "عمال أرامكو". وقول براون إن هؤلاء كانوا يأتون للعمل موسمًا واحدًا: "كان التالي يصل إلى سكان الصحراء والمدن بأنه مقابل بعض الجهود الجسدية سيمضي الأجانب دوو العيون الزرق كل رجل حفنة من الفضة" (المصدر السابق: 147).

ولكن "أوكاواخ" (أرامكو) تبتدي مالية في الذكرى الشعبية للعمال السعودي الأولئ. وقد وصف عامل سعودي سابق من عمل "أرامكو" خبرته على النحو الآتي:

خلال الحرب الثانوية كنا نتضرر جوعًا في القصيم. أفراد عائلتي كانوا فلاحين فقراء يعتمدون ببساتين النخيل التي يملكها تري من المنطقة. وكنا سمعنا من آخرين أن بعض النصاري يعرضون فرص عمل في الأحساء مقابل نقود. والذي قرر أن أذهب وأجرب احظي. سافرت مع قافلة بدوية إلى "الكامل الأميركي" وعرض علي عمل يرتبط بحمل بضائع ومواد. كنت أودي أعمالًا شتى. ولأول مرة في حياتي وجدت نفسي مع رجال قبائل آخرين من عربية وشهر وقحطان، لكل منهم حكايته ولهجته. كنت نعمًا. التقيت أشخاصًا من عسير ومناطق أخرى من نجد. كان الأمر عجيبًا. كان لدينا طبق جماعي، كان "مطعناً". كنا نسميه "مطعم أبو ربع" لأن سعر الوجبة كان ربع ريال. كان الطعام فطعًا. ولكن التجنيدون كانوا لا يذهبون بأي شيء. كانوا يستحسنون، ولم يكونوا يشتككون. كانوا لا يطلبون أجورًا أعلى أو طعامًا أكثر. كانوا يتركون الهنود يأكلون هناك لاحقًا، في الخميسيات، بدأوا يطلبون بأشياء من "أرامكو". وعندما أخبرتنا "اللجنة العمالية" أن نطلب أجورًا أعلى وطعامًا أفضل، لم نستجيب لها. فالناس لم يكونوا شحاذين. ولكن عندما قالوا أن نطلب حقوقًا سياسية استجبنا جميعنا وشاركنا في إضرابات 1953. كنت أرسل المال إلى أهالي. كل ما أردت شراءه لنفسي هو جهاز راديو. كنت أريد أن أسمع ما يجري في فلسطين ومصر. كان العمال الفلسطينيون يتحدثون عن مشاكلهم، وكنا نستمع إلى الأخبار معاً.

( مقابلة، آذار/ مارس 1969).
كان للراديو تأثيره حقاً في تغيير وعي البعض من أولئك العمال السعوديين الأوائل إلى جانب تغيير الأجور التي كانوا يتقاضونها. وعندما اختلط السعوديون بالعمال الفلسطينيين والسوريين والمصريين واللبنانيين، فإنهم واجهوا مباشرة اللحظة التاريخية المضطربة في العالم العربي بعد حرب فلسطين عام 1948. وكان العمال السعوديون يستمعون إلى الأخبار مع نظرائهم العملاً العرب ويتناقشون حول الأحداث في مهاجر مخصصة للرجال. ولم يعد بالإمكان في أواخر الأربعينيات الاستمرار في سياسة ابن سعود الحكيمة إزا فلسطين، التي دأب عليها في الثلاثينيات.

بدأ غض جديد من الوعي يتطور بين عمالة «أرامكو» السعودية، وهو كان وعيًا يختلف عن الوعي المتبلكل نتيجة احتكاكات سابقة بين بدو الجزيرة العربية وتجار عابر برود البلاد الشمالية مثلًا إلى مناطق أصبحت أراضي محددة تأديًا أوضح ضمن «الدول القومية» حديثة النشأة. وفي حين أن الدول الناشئة شملًا ضمت تدريجياً عبور الحدود، فإن توافد العمال المهاجرين إلى العربية السعودية بدأ يكتسب شكلًا متكاملًا. وكان هذا التدفق يستقبل الموظفين العرب الموجودين أصلًا الذين بدأ تتشابههم في البلاد منذ العشرينات. وباستثناء الحجاج العابرين، أصبحت العربية السعودية بلداً يستضيف عملاء مهاجرين لأول مرة.

في أوائل الخامسينيات بدأ عدد محدود من السعوديين في الأحساء يفيد من عمل الصحة العامة والمستشفيات والمدارس. وكان مدراء «أرامكو» يختارون خارج محيط الكامب للإشراف على أعمال الخنجر يجب أن يحتوي عليهم أشياء أخرى، في الرياض وغيرها. وكثيرًا ما يذكرون بكونهم ضخماً ذوي جوه حرماً، يعتمدون طاقات كبيرة. وكان الناس يقولون إنهم يريدون لأنهم لا يريدون أن يروا ذوي المسلمين» (تقليد شفهي). كان العمال السعوديون يرسلون أجورهم بعيدًا إلى عائلات في نجد وعسير والحجاز. وفي حين كانت المساهمات والتحويلات الفردية من صناعة «أرامكو» المقيمة في الأحساء تسافر إلى مناطق أخرى من البلاد، فإن البنية التحتية في هذه المناطق ظلت عمليًا على حالها. وفي عسير، أبعد المناطق الداخلية في العربية السعودية، لم بدأ التطور الاقتصادي الحقيقي إلا بعد عقود عديدة.

قلة فقط من العمالة السعودية انتقلت من درجات العمل اليدوي وغير الماهر حين بدأت تثبت قدرات إدارية. وقامت «أرامكو» بتنفيذ مشاريع تدريب إبداعية. وبدأت دورات لمكافحة...
الأمية تجذب العمال. والسعوديون الذي يتميزون خلال عملهم مع "آرامكو" كانوا يُرسلون لاحقًا إلى الخارج؛ في البداية إلى مصر ثم إلى أوروبا والولايات المتحدة لمتابعة تحصيلهم في معاهد التعليم العالي.


أوجدت الصناعة النفطية أشكالاً من المعارضة لم تكن معروفة من قبل في العربية السعودية، كما أنها وفرت الشيء الكثير من الخلفية للأعمال التي كتبها عن المعارضة السعودية في أوائل الخمسينيات. وعلى سبيل المثال، أن الروائي السعودي عبد الرحمن منيف، في ثلاثيته مدن الملح، انتقى روح تلك الخبرة التاريخية الفريدة. وكانت روائاته تمثل أول محاولة جادة لكشف تأثير النفط والأميركيين في العربية السعودية، وتجري أحداثها في موران، وهي مدينة وهمية معزولة في الصحراوات لكنها تحولت بحيث لم يعد من الممكن التعريف إليها.

١١٦
يكتب منيف في الأخدود:

لم تمض سنوات حتى أصبحت موران مدينة غريبة. فمن الأسفار التي قام بها الكخيرون إلى بلدان عديدة، ومن المجلات التي حملوها معهم، أو من الرسوم البدائية التي خططوها ليروت رأوها في هذه الأسفار، إضافة إلى وجود شركة الغزل لبناء الفيلات والقصور، بدأت تنبت القصور كما يبتن المداد، أو كما تتشكل الحدائق اليابانية: مجموعة من الألوان والأشكال والحجوم لا تختملها عن: بيوت فسيحة إلى درجة لا يعرف لأي شيء تستعمل أو من سمك النافورة فيها... ومثلما وصلت السيارات ومكابس الهواء، والواحير، ومثلما وصلها أعداد تزيد كل يوم من الغرباء...

(منيف، الأخدود، الطبعة السابعة، 1999، ص 519).

لم تعمل «أرامكو» على تيسير ظهور الموجة الأولى من الإداريين والتكنوقرات والموظفين والموظفين النفطيين فحسب، بل ظهور أول السجناء السياسيين والمنشقين والمنفيين والأدباء المعترضين أيضًا. وما كان يُوصف بأنه مؤامرات قبلية أو معارضة دينية في عهد ابن سعود، حل محله خطاب جديد يستند إلى الإتجاهات السياسية العربية التي كانت رائجة في السنوات 1953، كان للعربية السعودية ناصريتها وقوميتها العرب وشيوعها المتوجسون، الذين ابتكروا كلهم قريحتوات النفط وداخل الكابس السعودي. وفي حين أن ابن سعود لم يستطع تمرة فيما كانت كلمة ليبئر تظهر قوى جديدة في المجتمع السعودي، فإن جلبه سعودًا طارده تطورات سياسية جديدة نبتت أصولها قرب حقول النفط، كما سيجري بحثه في الفصل التالي.

العربية السعودية وبريطانيا

كان الامتياز النفطي لشركة «أرامكو» إیذاناً بأکسارة النفوذ البريطاني في العربية السعودية، الذي بلغ مرحلته الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية، ففي أوائل الثلاثينيات، دأب ابن سعود على التوجه إلى بريطانيا طلباً للمساعدة، ولكن لم يعتمد إلى دعم مالي مباشر. وبدلاً من ذلك، قررت الحكومة البريطانية إرسال أسلحة بشرى سهلة جداً وطائرات للسلاح الجوي السعودي (سلفته وسلفته 1982: 47). غير أن بريطانيا كانت قلقة من أن صعوبات ابن
سعود المالية قد تتشجع الإيطاليين الذين أقاموا قاعدة على الشاطئ الأفريقي من البحر الأحمر، لإنقاذهم من صعوباتهم (المصدر السابق: 48).

في تشرين الثاني/نوفمبر 1932، أعلن ابن سعود ضم عسير ساحماً للإدريسي (الذي ورد ذكره في الفصل السابق) بالاستمرار اسميًا في إدارة الإقليم. وكان لهذا وقع حسن في لندن (الذريه 1982، ص 146). ولكن ضم عسير قرب ابن سعود من أراضي إمام اليمن يُحيي الذي كانت له أيضاً مطامحه القوية في عسير.

في عام 1432 هـ، اكتشفت مؤامرة لشن هجمات متزامنة على الحجاز من الجنوب ومن الشمال. وكانت المؤامرة من تدبير ابن رفاعة، الشيخ إحدى القبائل الحجازية، مع وجهاء حجازيين من عائلة الدباغ والحطيب كانوا فروا إلى اليمن وشرق الأردن بعد الاستيلاء على الحجاز في عام 1425 هـ. ولفتت هذه المؤامرة انتباه ابن سعود إلى الحظر الذي يمكن أن تشكله عسير على أمن سلطته. وفي وقت لاحق تمرت الإدريسي، بدعم مبني، على حاكم عسير السعودي وأحمد التمرد في عام 1432 هـ. بعدها هرب الإدريسي نفسه إلى اليمن (المصدر السابق: 15). وتحركت القوات اليمنية على الفور لدخول مدينة عسير في العميق ومناطق أخرى من عسير مطالبة بعودة كل الأراضي التي كانت خاضعة لسيطرة الأدريسة.


في الثلاثينيات، لم تكن المسألة الفلسطينية أصبحت قضية بين ابن سعود وبريطانيا. وقبل أحداث 1936 في فلسطين، يبدو أن ابن سعود لم يولي اهتماماً يذكر بالأحداث في هذا الجزء من العالم العربي الذي كان يعد بعيداً جغرافياً. وغيريً ثقافياً عن ملكه؛ «كان ابن سعود يرفض على نحو لافت أن يسمح للمحرضين الفلسطينيين أو蝼ويين باستخدامه بدون أن يصرح شيكا لابن سعود من سياسة بريطانيا الصهيونية التي صورت بأنها سياسة محسوبة لتدمر الأمة العربية» (لذرديل 1983: 268).

رأت بريطانيا من الواضح أن "الملك السعودي لن يخدم صداقته معه أو يعزز سمعته في العالم العربي بصفة عامة إذا أقفح نفسه في مشكلة بريطانية محسدة في فلسطين» (لذرديل 1983: 198). وفي عام 1937 وقبلية أن الانتداب البريطاني في فلسطين يدخل مرحلته النهائية. وأن أرض فلسطين مقبلة على تقسيمها إلى دولة عربية وأخرى يهودية. وقامت بريطانيا بإبلاغ ابن سعود بالقرار. لكن لم يلاحظ رد فعل سعودي مالام لردود أفعال بلدان عربية أخرى. وفي الحقيقة. أن رد ابن سعود على تقسيم فلسطين كان الصمت في البداية (المصدر السابق؛ 274). ويبدو أن ابن سعود كان أكثر اهتماماً بتوفيق عبد الله الهاشمي الذي كان يكيد بنشاط مع العرب الفلسطينيين، ويدعم من العراق، لم يخف التحويل على ضم فلسطين إلى أردن أكبر» (المصدر السابق؛ 274).

كانت سياسة ابن سعود تجاه فلسطين في الثلاثينيات سياسة حذرة. وكان الملك مصمماً على ألا يفتح ملكيته لعقد مؤتمرات عربية على أرضها. كما أنه لم يرسل وفداً إلى المؤتمر العربي في بلادنا في سوريا عام 1937. وكان دعم ابن سعود الظهاري لحركات التضامن بين المسلمين
شيئاً، وتشجيعه كراهية الغربيين، ذات الشعبية الواسعة، واللادورية الفكرية والمثل الإصلاحية، التي يمكن أن تنتشر في مملكته، شيئاً آخر تماماً (الذرديل 1942: 382).

استمر عدد أكثراً ابن سعود بالقضية الفلسطينية حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.


في أواخر الأربعينيات، كان الهم الرئيسي لابن سعود يتمحور حول الممتلكين الهاشميون في العراق وشرق الأردن. اللتين لديهما أعداد كبيرة من السكان البيزنيا ذوي الأصول السعودية. كما كانت لدى القوات، على السواء، دعاية مشروعة بالحق في الرعاية على أساس تسيدهما «المقدس». وقد وقفت العربية السعودية ضد طموح الملك عبد الله في ضم شرق فلسطين (الضفة الغربية) واستخدمت الجامعة العربية التي انضمت إليها عام 1945 للحد من النفوذ الهاشمي في العالم العربي.

في النهاية، العربية السعودية مقتنعة بأن السياسة البريطانية في الشرق الأوسط تقوي مواقع غرمانها الهاشميين، وهذ الانتظار كانت وراء رغبة ابن سعود في إقامة علاقة أوثق مع الولايات المتحدة. وفي عام 1942، عينت الولايات المتحدة قائمة بالعمال في جدة. وفي الفترة الواقعة بين 1944 و1946، كانت البعثة الدبلوماسية الأميركية برئاسة دبليو. إي. إيدي W. A. Eddy.
وهو ضابط استخبارات متمرس ومستعرب، ولاحقاً مستشار لدى «أرامكو» (فاسيليف
1988 : 245). وظل مسؤول «أرامكو» القوة المحركة الرئيسية وراء العلاقات السعودية -
الأمريكية خلال السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية. وفي عام 1942، قام مسؤولو
«أرامكو» بتيسير زيارات الأميريين السعوديين سعود وفيلي إلى واشنطن. وكان مسؤولو
«أرامكو» أقنعوا واشنطن بأن احتياجات العروبة السعودية من النفط تبلغ 20 مليارات
تعادل كل المكاسب النفطية المكتشفة في الولايات المتحدة (المصدر السابق).

تقللت جهود «أرامكو» للفت انتباه واشنطن إلى العروبة السعودية بثناء بين سعود
والرئيس الأمريكي روغلت في عام 1945. ونقل بين سعود من حدة إلى قناة السويس حيث
وأسفر اللقاء عن إقامة علاقات أمتن مع الولايات المتحدة على حساب بريطانيا. ووافق
ابن سعود على السماح للسفن الأمريكية باستخدام الموانئ السعودية وبناء قاعدة جوية
السعودية مع كل ما بني فيها من منشآت (فاسيليف 1988 : 276). وأكد ابن سعود أن
الاستهلاك النفطي المعتاد عام 1933 مع «أرامكو» ما زال ساريًا، ومنح مواقفه على مد أنبوب
النفط العابر للجزيرة العربية بين الأحساء والبحر الأبيض المتوسط (المصدر السابق). وأرسلت
واشنطن بعثة عسكرية لدراسة بناء مطارات عسكرية في الظهران. وكان اللقاء أكبر أهمية عند
ابن سعود لأنه مضى أبعد من حدوده بحثاً عن حليف يضمن استقلال دولته حديثة النشأة
بينما كانت الولايات المتحدة تبحث عن مكاسب نفطية وقواعده جوية عسكرية.

كان العامل الرئيسي وراء العلاقات السعودية - الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية يتمثل
في النفط والمصالح التجارية لشركات النفط الأمريكية. وبعد امتناع 1933 النفطي، أصبحت
النفط فيوناً واستراتيجيًّا وراء العلاقات السعودية وثيقة حصل فيهما
العربية السعودية أول دولة عربية مستقلة تقيم علاقات هامة مع الولايات المتحدة (الدزديل
1983 : 211). كما كانت العربية السعودية أول منطقة خارج نصف الكرسي العربي حل فيها
النفط السياسي والاستراتيجي الأمريكي محل النفوذ البريطاني (المصدر السابق : 212). وكان
الاستهلاك النفطي أخذانًا بدءًا، علاقة لم تتوقف إلا بعد الحرب العالمية الثانية، فخلال الحرب،
حتفظت بريطانيا بالعربية السعودية ضمن دائرة نفوذها، وهو وضع لم تساع الولايات المتحدة

121
فطم إلى تخديه إلا بعد انتهاء الحرب (المصدر السابق). ولكن العربية السعودية كانت تتلقى أسلحة ومعدات عسكرية من الولايات المتحدة في إطار برنامج "الإعارة والتأجير" الذي ترك انطباعات إيجابية في العربية السعودية. ومهد الطريق لإقامة علاقة حامية عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أورارها.

في الوقت الذي كانت الاعتراضات على الظروف في كاب "أرامكو" تتحدى على بعد مئات الأميال من الرياض، كان ابن سعود يقضي سنوات عمره الأخيرة في هدوء وسكونة بسبب الشيخوخة والمرض، يжив به أبناؤه الأخ الأكبر إليه. وفي حين كان ولداه الأكبر سعود (ولي العهد) وفيصل يشارك في تصريف شؤون المناطق الأكثر أهمية من الناحية السياسية (جدة والحجاز)، وإمبراطورية "أرامكو" تنامي (بطراد وفي أن واحد في الأحاساء)، فإن هذا الهدوء تحقق تدريجياً ليحل محله اعتزال الحياة العامة. واعترف ابن سعود بن أهل الأقربين مهتماً ببنائه أبناؤه الأصغر سنًا الذين أُجبرهم في الثلاثينيات والأربعينيات من محظيات سابقات أقام معهم أواصر حميمة. وكان الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود وحياته السياسية اللاحقة نتاج تلك العلاقة الحميمة بين الوالد الشيخ/ الملك وابن لم يكن ولاو ملتوياً مخولة من نبالة الجزيرة العربية. ووجه ابن سعود إلى رعاية طلال وأشقائه، وهو عمل تسبب لاحقاً في إذاعة صراعات داخلية بين أبنائه وتهديد بقاء المملكة. وكان فان دير مولن زار الرياض قبل وفاة الملك في تشرين الثاني/ نوفمبر 1963، ووصف المجلس الشهير على النحو الآتي:

الربيع الأول قد أفل. لم أسمع شيئاً جديداً؛ لا تعليقات متأثرة، ولا أراوا قوية عن السياسة العربية - الإسلامية أو شؤون العالم الخارجي. لم تعد غرفة الحضور مكان إلقاء لشهب. فالصوت الذي كان يتصرف هناك لم يعد يثير صدى في قلوب الرجال. ولن يمضى وقت طويل قبل أن يسكت. كانت الرياض تنتظر تلك اللحظة، ومن باب الاحترام للشيخ الكبير كانت تنتظر بصمت.

فان دير مولن 1963: 229-30.)

(1) كان معرفاً للجميع أن ابن سعود كان يفضل الأبناء المولودين لزوجات غير سعوديات. وكانت هذه النساء وأطفالهم يسكنون معاهلا خاصة ومهماً باذخة. في ذكرى الملك كتب طلال بن عبد العزيز كتاباً لتكريم والده. انظر السعودية 1998.

122
الفصل الرابع

سياسة المعارضات: 1952 - 1972

نشب صراع عنيف على السلطة بين وليد ابن سعود الكبيرين سعود وفيصل فور وفاته. وطالع عند الخمسينيات اقتربت الدولة السعودية من الانهيار في مناسبات عدة، وبدأ مستقبل البلاد غامضاً نتيجة الصراع السياسي الداخلي المتنج بين الأخوين السعوديين.

وعلي امتداد هذه الفترة، كان للغيلان السياسي في العالم العربي (أزمة السويس عام 1956 والخرب العربية- الإسرائيلية عام 1967) تأثيره في الأحداث السياسية والاجتماعية في العربية السعودية. وهدفت أيديولوجيات خارجية مختلفة مثل القومية العربية الاشتراكية الناصرية ثم البعد العراقي/ السوري، الحكم السعودي من أساسه، وأصبحت القوة الدافعة لتطوير سياسة فيصل الإسلامية في أوائل الستينيات. وقد أبرز فيصل الهوية الإسلامية للدولة السعودية، وأصبحت هذه استراتيجية مضادة كانت العربية السعودية تهدف بها إلى النيل من الدعاوى الأولى لل القومية العربية وتبني نفسها لاحقاً فهماً في السياسة الإقليمية العربية بعد عقود من البقاء على هامش عالم عربي تنسيةه مصر.

هذا الفصل تقرير تاريخي للصراع السياسي الداخلي في إطار الأسرة الملكية السعودية على خلفية السياق الإقليمي العربي. وفي الوقت الذي كانت للمنافسة الداخلية بين سعود وفيصل أسبابها المحلية الخاصة، فإن الصراع السياسي لا يمكن أن يفهم فهماً كاملاً عن دون استطلاع علاقة العربية السعودية بالعالم العربي في الخمسينيات والستينيات.

عمد أمثل سعود

أعلن ولي العهد سعود (ولد عام 1902) ملكاً بعد فترة قصيرة على وفاة والده، وأصبح أخوه فيصل تلقائياً ولي العهد. ولم يكن سعود مؤهلاً لخلافة والده، وأثبت كونه على قدر بالغ من عدم الكفاءة عندما دفعت الساعة.

خلال العام الأول على العرش ارتفعت عائدات سعود النفطية إلى 368 مليون دولار، وبلغت 240 مليون دولار في عام 1954 ثم انخفضت إلى 190 مليون دولار في عام 1956. وبقيت 123

هذة كانت خلفية الأزمة السياسية التي جعلت عهد سعود يرتبط بأحداث الفترات اضطراباً في تاريخ الدولة السعودية الفتية. وأصبحت مالية الحكومة، أو بالأحرى نهراها، المظلة التي تجري تحتها الصراع العنيف على السلطة بين سعود وأخيه الطموح فيصل. وخلص كل من سعود وفيصل معركة داخليه على تحديد المسؤوليات السياسية وتوزيع وظائف الحكومة.


1) كان ابن سليمان وزير مالية ابن سعود يتأخر أحياناً في الدفع للأمراء حتى بعد موافقة الملك على الصرف. وكثيراً ما كان ابن سليمان يختص مع سعود حين يطلب الأخير بصرف مزيد من أموال الخزينة.
السنوات المضطربة ينبغي أن يضفي أبعد من الديون السعودية وينظر في الصراعات الداخلية بين
أبناء ابن سعود التي أندلعت فور وفاته.

تلت وفاة ابن سعود أزمة سياسية على مستوى القيادة. وأصبحت طريقة تقسيم ميراث ابن
سعود بين أبنائه قضية ملحة بين ذريته. وتبعين مأسسه تقاسم السلطة بين الامراء الكبار الذين
كان لهم دور مباشر في إقامة الدولة. وكان توزيع الأدوار قد تحققت بين سعود وفيصل، ولكن
تشكيل مجلس الوزراء قبل شهر من وفاة ابن سعود في عام 1953 لم يحل مشكلة تقاسم
السلطة بين الملك وولي العهد. وكان يراد المجلس الوزراء أن يكون هيئة تنفيذية للحكم، وكانت
له سلطة إصدار القرارات الوزارية، ولكن لم تكن له سلطة مستقلة عن الملك الذي يجب أن يوافق
على كل قرارات المجلس.

اعتمد ابن سعود في حياته اعتماداً شديداً على مستشاريه العرب وأفضل في تعيين مجايلين
له حكاماً في أقاليم نائية عاملاً في الوقت نفسه على تنمية حلقة محدودة من أبنائه. وبعد
تشكيل المجلس اندلعت صراعات داخلية على عضويته ودوره. ولم يكن ابن سعود خلف وراءه
سابقة تاريخية يهدي بها ورثته. فعلى الرغم من أن أئتم بعض المسؤوليات بولديه الكبارين، لم
يكن ثمة شك في أن الكلمة الأخيرة كانت له. وقد أنهت وفاته التفاهم الضمني بين ورثته على أن
المملكة السعودية حاكم مطلق.

جرت المعركة بين الأخرين على الدور الذي ينبغي أن يتناوب مجلس الوزراء. وقد ألغى سعود
منصب رئيس الوزراء مرسوم ملكي مؤزراً بذلك موقعه ملكاً ورئيس وزراء في واقع الأمر. وكان
سعود يعتبر نفسه ملكاً ورئيس حكومة بينما كان في تصور فيصل وضع مزيد من السلطات في
يده هو بصفته ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء. ولن يحل الصراع على السلطة بين
سعود وفيصل لكان بالإمكان إدماج الأمراء في الحكم متساءلاً. وقد انتهت وزراء عديدة في
غضب أقل من عقد: المواصلات (1954)، الزراعة والثروة (1953)، المعارف (1953)، البتول
والثروات المدنية (1960)، اخтар ونواب الأوقاف (1960)، العمل والشؤون الاجتماعية (1962)
والأعلام (1963). ولكن توسع الجهاز الحكومي البيروقراطي كشف التوتر الكامن بين ورثة ابن
سعود.

بدأ سعود يزعم مواقع أبنائه كما فعل والده على حساب أخواته (شامية 1986 و1987). وفي
الفترة الواقعة بين 1953 و1964 كان الهدف من الوزارات الثنائية يتحمل، إلى حد ما، في
احتواء المطالب المختصرة بالمشاركة السياسية بين أفراد الأسرة الملكية. ولكن في عام
1958

126
وضع سعود نجله فهدًا في وزارة الدفاع، ونجله مساعدًا في الخرس الملكي، ونجله خالدًا في الخرس الوطني، ونجله سعدًا في الخرس الخاص (المصدر السابق: 45) . وبعد تأمين السيطرة على الدفاع في أخاء طلالًا (ورد ذكره في الفصل السابق: الثالث) في وزارة النقل. كما رقي سعود طبيب والده السوري رشوان لتوتي وزارة الصحة، وعين حجازياً من عائلة تجار عريقة هو محمد علي رضا لتوتي وزارة التجارة وعبد الله بالخير لتوتي وزارة المواصلات. وبهذا الاصطلاح لم تأخذ تركيبة الحكومة في الاعتبار دعاوى أخوة سعود، والآخرون دعاوى فيصل الأكبر بينهم.


كان عدة موظفين حجازيين وتحديداً وراء المقترح، مثل محمد علي رضا وعبد العزيز معمر. لمحمد عبد الله الطليفي. وكان طلال يتوقع أن يكون المجلس الوطني الخطوة الأولى نحو قيام ملكية
دستورية. وعندما لم يلق المطلب استجابة أصبح طالٍ أكثر راديكالية بعد إبعاده من الحكومة في عام 1961. وانتقل إلى القاهرة وبيروت حيث أعلن تشكيك مجموعة ملكية معارضة باسم "الأمراء والأحرار". وكانت المجموعة تضم طالً أو أشقاءه مع نفي من السعوديين المطليين، الذين تأثروا بالإتجاهات السياسية الرائحة وقتذاك في العالم العربي، وخاصة الناصري. وكان مطلب "الأمراء الأحرار" الرئيسي يدور حول إقامة ملكية دستورية في العربية السعودية، وتابعت الصحافة المصرية واللبنانية باهتمام نشاطاتهم التي كانت تتعلق من فنادق "سانت جورج" في بيروت وهو معلم سياحي دولي كوزمولوجي وارتباط منذ زمن طويل ببعض العرب معارضين من كل الاتجاهات، وكان فنادق "سانت جورج" بعيداً عن حياة غالبية السعوديين في أوائل الستينيات حين لم يكن قد بدأ تعليم الإناث.

وفي حين كان الأمراء يعوضون معركة ضارية من أجل تقسم السلطة وما أثبتها، فإن قطاعاً ضيقاً فقط من المجتمع السعودي بدأ يعيش تحولاً اجتماعياً يرتبط بالصناعة النفطية في المنطقة الشرقية وما حقيقته من شروة جديدة. وفي الفترة الواقعة بين 1950 و1960 بدأ تظهر فئة صغيرة من التكنوثراف المجهلين ذوي المؤهلات، وتبلورت مجموعة متعلمة حول المملك وولي العهد وغيرهما من الأمراء الكبار. وعاد الرغبة الأولى من السعوديين ذوي التعليم النظامي من الجامعات التي درسوا فيها خارج البلاد، وعينوا في الوزارات المختلفة التي استحدث خلال ذلك العقد. كما رفعت بعض السعوديين إلى رتب عسكرية في الجيش بعد سنوات من التدريب في مصر. وأتاحت الثروة النفطية، مقررتة بتوسع جهاز الدولة الإداري، توظيف مثل هؤلاء الأفراد في الخدمة المدينة لجذبها جزءاً محتوى العرب من موظفي أب سعود. وتأثر البعض من هؤلاء الموظفين المحليين بالأيديولوجيات السياسية الرائحة وقتذاك في العالم العربي، ارتباطاً بنسخة جمال عبد الناصر من القومية العربية.


شارك الطرقي في مؤتمر البتروال العربي الأول الذي انعقد في القاهرة عام 1959 (داغويد 1970: 207)، واقترح في هذا الملتقي أن يعاد التفاوض دورياً بشأن جميع الاتفاقيات النفطية عندما لا تعود هذه مناسبة لأحد الطرفين. وجادل الطرقي بأن التفاوض حول جميع الامتيازات النفطية مع البلدان العربية جرى في وقت كانت هذه البلدان تحت الاحتلال الأجنبي أو أشد تخلفًا في هذه القضايا من أن تدرك بالكامل أهمية الاتفاقيات وتعقيداتها (المصدر السابق: 26).


فحسب، بل في العربية السعودية أيضا. ففي عام 1955، اكتشف مخطط أعده ضباط سعوديون تدربوا في مصر لإسقاط سعود قبل أيام من موعد الانقلاب، الأمر الذي اهتزت له الأسرة الملكية السعودية محملة سعودياً، شخصياً، المسؤولية عن المحاولة الانقلابية الفاشلة.

يضاف إلى ذلك أن "الأمراء الأحرار" الشباب بقيادة طلال حين كانوا ينضمون من أجل السلطة من داخل حكومة ما بعد ابن سعود. خلوا على هذا النضال خطابية القومية العربية والاشتراكية والملكية الدستورية، التي كانت خطابية رائعة وقائدة. وبقيت القومية العربية

الناصرية مصدر إلهامهم. وفي أواخر الخمسينيات وأوائل السبعينيات، أعطت مؤرخات سياسية جديدة تظهر في العربية السعودية، هي لغة «الانقلابات» و«الثورات»، التي كانت بعيدة كلها عن السياق الاجتماعي للجزيرة العربية حينذاك. وإذ كان الجيش السعودي لم يزل فتياً غير قادر بعد على تدريب ضباطه، عدا عن إجابة «ضباط أحرار» فقد كان للعربية السعودية «أمراء أحرار» من صنع محلي. وفي أوائل السبعينيات لم يكن هناك شخ في هؤلاء الأمراء.

بين أحد المرويات الشفهية عن المجاهيل التي كانت تخف بعهد الملك سعود، هجس الملك يمثل هذه اللغة السياسية الجديدة. وطبقاً لهذا المروي:

كان الملك سعود في مجلسه ذات عصر، عكر الهدوء صوت شاهنات تعمل في موقع بناء قريب. سأل الملك خادمه عن الضوضاء. قال الخادم للملك إنه صوت «قلايري» (شاحنة تقلب آلية محتوياتها). سمع الملك كلمة «قلايري» خطأ وخلط بينها وبين كلمة «انقلاب». وفجأة وثب الملك مذعوراً وغادر إلى مقره الخاص. وعاد عندما زال ذره.

(من المرويات الشفهية).

ولكن في سنوات عهد سعود المضطربة، كان من الصعب تخيل معارضة منظمة. وبرغم أن خطاب الانقلابات والثورة كان يطارد السعودية، فإن هذا الخطاب كان متداولاً بين أفراد يعبرون عن آراء «معارضة»، يحكم تعارضهم لتأثيرات السياسة العربية وتعليمهم. وبقى الأمير طلال وعبد الله الطريفي وناصر السعدي (الذي ذكر في الفصل السابق)، من بين آخرين أصولاً مشتتة. ولكنها مع ذلك جعلت عهد سعود الفترة الأشد قلقاً في التاريخ السعودي الحديث. ولم يكن المعارضون الاشتراكيون يمثلون مناطقهم الخاصة، عدا عن تثبيت المجتمع السعودي بصفة عامة. ففي الخمسينيات وأوائل السبعينيات، لم يكن بالإمكان تثبيت المسائل الحجازية والنجدية، على سبيل المثال، من دون رعاية ملكية. وأصبح حجازيون ونجديون أفراداً محسبين على كل من فيصل وسعود على التوالي، ولكن سيكون من غير المعقول التصور أن الناس في هذه المناطق كانوا ينظرون إلى الناشطين السياسيين على أنهم مماثلين.

وغالبية أولئك الذين يمكن أن يسموا «ناشطين سياسيين» لم يكونوا ينتمون إلى مجموعات قبلية كبيرة. وفي الحقيقة أن نشاطاتهم كانت مدفوعة برغبة في تجاوز هامشتهم في مجتمع كان لم يزل يحدد مكانه الأفراد ومنجزاتهم من مناطق قبلي قديمة. فلا تدريب ضباط الجيش
السعودي (في الغالب من منطقة الحجاز الأدنى وعسير) في الأكاديميات العسكرية المصرية، ولا
الشهادات العليا من جامعات عربية وغربية شهيرة، كانت ترتقي بالأفراد إلى مرانج اجتماعية
عليا. ومن كانوا يُوظفون في الوزارات السعودية المختلفة بقوا خدماً مدنيين (مع التشديد على
كلمة خدم)، وعلى حدد تنوير أحد المراقبين، فقد كان بين موظفي الخدمة المدنية أفراد يلقوون
رجالاً جديداً في العربية السعودية (داغويد 1970)؛ شخصياً عصاماً متعلماً ليس لديه
الامتياز الذي يأتي مع التسب، ولكنه على قدر من التعليم الذي توجد حاجة ماسة إليه في
مجتمع تعوزه الكوارد ذات التعليم النظامي والإعداد التقني.

وفي الوقت الذي كانت توجد فيه فوارق ثقافية واجتماعية واقتصادية بين المناطق، فإن هذه
الفوارق لم يكن لها أي معنى سياسي. وباستناد الأمير طلال وحاشيته الملكية، فإن الأصوات
المعارضة كانت تنطوي من السعوديين حديثي التعليم في مجتمع لبزاغ يعتذر بالنسبة والأصل
القبلية. وكان من الأدلة على ذلك حياة ناصر السعد السياسي. فبسبب أن هذا المعارض كان
ينتمي إلى بني تيمم في حائل، وهي واحة ترتبط بالإمارة الرشيدية المنافسة (ضمت إلى دائرة
السلطة السعودية في عام 1921) فإنه خطابه السياسي أخذت في إلحاق قبيلة شمر المعروفة
معارضتها للهيمنة السعودية منذ القرن الثامن عشر. وقد أنساب شمر مثلها مثل
مجموعات قبلية أخرى، وجدت موقعاً مريحاً لها في الحرس الوطني السعودي، وهو قوة شبه
عسكرية ظلت قائمة بعد تمرد «الأخوان» في عام 1927. وكان الحرس الوطني السعودي، من
حيث الأساس، قوة قبلية استوعبت قطاعاً كبيراً من المجتمع السعودي، لا سيما أولئك المرتبطين
تاريخياً بالبداوة(1).

خلا العهد السعودي، غالبية السعوديين لا يزالون بعيدين كله بعد عن خطابية المعارضة
السياسية التي أصبحت رائجة في العالم العربي. ولا يبقى محروض من عمال «أرامكو» صعوبة في
كسب أتباع بين الأيدي العاملة، عدا عن كسبهم من قاعدة واسعة خارج مسکرات الشركة.
ويستلم تفاعلاً أحد هؤلاء العمال الأولئ على ما كانوا يشعرون به من «خجل من طلب أجور او
على أو طعام أفضل في مطاعمهم المحلية» على الصعوبات التي كان يواجهها بعض أعضاء

(1) التطور اللاحق للحرس الوطني وتحديته بتناقضات في كوردسمان 1979 Cordesman

١٣١
القيادة» الميسية. وفي الوقت الذي اكتشفت فيه محاولات انقلابية عام 1955 وحدثت
إضرابات في عام 1956، لم يكن هناك تأييد ملموس على مستوى القاعدة بين السكان
السعوديين. وقد أسفرت الإضرابات بالفعل عن تحسين ظروف العمل في "أرامكو" واعتماد
مشاريع تدريب أجدى، ولكن هذه بقيت محصورة داخل حدود المعسكرات.

وقد وجد "الأمراء الأحمر" في الخلفية، أصل سعود وفويصر عهما على السلطة حتى
عام 1962 عندما شكّل فيصل حكومة في غياب الملك الذي سافر إلى الخارج للعلاج. (1) وعين
فيصل في الحكومة أخوته غير الشقيقين فهداً وسلطان اللذين كانا من حلفائه الوثيقين
واستبددت حكومة فيصل أبناء سعود. ووعد فيصل بخطى إصلاحية من عشر نقاط تضمنت
إعداد قانون أساسي وإلغاء الرق وإقامة مجلس قضائي (غزور 1964، 61؛ أبّر 1988، 94).

لدى عودة سعود من الخارج رفض صيغة فيصل الجديدة وهدد باستغنار الحرس الملكي ضد
أخيه، وأمر فيصل باستغنار الحرس الوطني ضد الملك. وتحديد العلماء، وضفت أفراد كبار من
الأسرة الملكية رفض سعود ووافق على التنزّل في 28 آذار/مارس 1964، وغادر العربية
السعودية إلى القاهرة وتوفي في اليونان عام 1969. وبتزانله عن العرش، انتهت سنوات
الاضطراب بين 1953 و1964. كما أنه تنازل سعود معارضة طلال و"الأمراء الأحمر" التي
كانت معارضة قصيرة العمر.

العربية السعودية والعالم العربي في الخمسينيات

في أوائل الخمسينيات، شهد العالم العربي سقوط الملكية في مصر التي أقام ابن سعود في
الأربعينيات علاقات ودية معها لمواجهة نفوذ الهاشميين. أعداء السعوديين التاريخيين، في
العراق والأردن، وأعلن "الضغوط الأحمر" المصريون بقيادة جمال عبد الناصر، مصر جمهورية
في عام 1952. وأثر سعود الإبقاء على مظاهرة الصداقة فوق معاهدة دفاع مشتركة مع عبد
الناصر في عام 1955. وكانت هذه المبادرة موجهة بالدرجة الرئيسية ضد العراق الهاشمي الذي
انضم إلى "حلف بغداد" في ائتلاف مع بريطانيا وإيران وباكستان كان الغرض منه توفير

(1) في الخمسينيات وأوائل السبعينيات، سافر فيصل وسعود إلى الخارج للعلاج الطبي. وترامن غيبهما مع
الأجواء السياسية المضطربة التي عمت البلاد.

فوجئ غالبية السعوديين عندما دعم سعود إعلان عبد الناصر تأسيم قناة السويس الذي أدى إلى أزمة السويس في عام 1956، حين كانت «أرامكو» لم تزل تسيطر سيطرة كاملة على النفق السعودي. وضمت بريطانيا وفرنسا قواهما العسكرية ضد مصر عندما أغلقت القناة وأعلنت ملكيتها لهذا الممر المائي الحيوي. وقطعت العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا في أعقاب الأزمة. وكان نفوذ بريطانيا في العربية السعودية أخذ إلى أدنى مستوياتها.

كانت العلاقات البريطانية - السعودية متوترة بسبب النزاع الحدودي على البريمي مع أبو ظبي وعمان قبل وفاة ابن سعود في عام 1953 (بيترسن 1976). دعمت بريطانيا، التي كانت القوة الخارجية الرئيسية في أبو ظبي وعمان وقتذاك، دعاوهما في الخلافة ضد دعاوى العربية السعودية. ووقفت سعود إلى جانب الإمام غالب في الداخل العماني ضد سلطان مسقط؛ سعيد بن تيمور. في وقت كانت عمان لم تزل تحكم بوصفها بلدين مفصليين. وحقق تمجر الإمام في عام 1959 على أيدي قوات السلطان المدعومة من بريطانيا. وسمح سعود للإمام غالب وأفراد حاشيته بالإقامة في الظهران منتظراً اللحظة المناسبة لقلب تسلسل الأحداث.
فاسيليف 1987: 345-348 ولكن عقد الخمسينيات، واصل سعود دعم التمرد البحري في عمان ضد السلطان سعيد بن تيمور المدعوم من بريطانيا.

وفي محاولة للحول دون دخول الملكيتين الهاشمية في تحالف يهدد الأسرة الملكية السعودية، دعم سعود، مع عبد الناصر، الانتفاضة في الأردن عام 1956 ضد "حلف بغداد". ففي الملك حسن خارج الخلف.

تكتل تنازل سعود المبكر مع عبد الناصر بدعم بعثة عسكرية مصرية للتدريب السعودي.

وقد كان هذا خطأ لأن سعوداً علم في ما بعد أن التحالف المصري أسفر عن محاولة انقلابية في عام 1955 بقيادة سعودي اسمه عبد الرحمن الشمراوي و10 ضابطاً أرسلوا إلى مصر للتدريب (سفران 1985: 88).

قام سعود بزيارة بغداد في عام 1957، وكانت تلك أول زيارة يقوم بها عاهل سعود للعراق الهاشمي. ورحب فيصل الثاني ملك العراق بالملك السعودي، وتطلع الاثنين إلى علاقة جديدة تتجاوز عادات الماضي. وبدأ سعود ينظر إلى المملكة الهاشمية في العراق على أنها قوة مضادة في مواجهة عبد الناصر. ولم تدم الصداقة مع العراق طويلاً نظرًا إلى سقوط الهاشميين في تمرد 1958 على أيدى العقيد الزعيم عبد السلام عامر والزعيم الركن عبد الكريم قاسم، الذين كانا لم يزالاً شخصيتين مجهولتين على الأقل في نظر سعود (ترريب 2000: 149). واتضح لاحقًا أن الانقلاب نال في البداية دعم مجموعات مختلفة من "الضباط الأحرار" والبعثيين والشيوعيين.

انتقل النزاع والتنافس بين سعود وعبد الناصر إلى اليمن عندما أطلت ضباط مدعوم من مصر هو عبد الله السلال بالإمام بدر في أيلول/ سبتمبر 1962 (شامية 1986: 273)، وأصبحت الجمهورية العربية اليمنية أول نظام حكم غير ملكي في الجزيرة العربية (غوز 1990: 57)، وشكلت بصفتها هذه تهديداً أمنياً كبيرًا لل.ARABIC TEXT


135
العربية السعودية والولايات المتحدة في الخمسينيات وأوائل الستينيات

برغم توقيع العربية السعودية على الامتياز النفطي مع شركة أميركية في عام 1963 لم تتطور العلاقات السعودية-الأميركية إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وأبان الحرب، كانت "أرامكو" هي "الولايات المتحدة" من وجهة نظر العربية السعودية. وكما ورد ذكره في الفصل السابق (الثالث)، فإن "أرامكو" كانت مسؤولة عن تيسير الاتصال بين الولايات المتحدة والعربية السعودية.


بالإضافة إلى الاعد الأوروبى، بدأت الولايات المتحدة تبدأ قلقها من خطر الشيوعية.

وكانت واشنطن على اقتناع بأن "الاتحاد السوفيتي يبدو مصمماً على تهديم البناء الذي أقامته بريطانيا العظمى لتنمك القوة والنفوذ الروسيا من اجتياح تركيا بلآ معارفات والعصول عبر الدردنيل إلى البحر المتوسط، وعبر إيران والخليج الفارسي إلى المحيط الهندي" (المصدر السابق: 1986).

(1) دور "أرامكو" في لفت انتباه واشنطن إلى العربية السعودية، يناظرى في أندرسن، 1981.

(2) حصار برلين في 1949 وتفجير السوفياتات للقنبلة الذرية في عام 1949 وسقوط الصين في يد الشيوعية في العام نفسه. كانت وراء مشاوف واشنطن انظر أندرسن، 1981.
تلك كانت خلفية العلاقات السعودية-الأميركية في الخمسينيات. وكان «مبدأ أيزنهاور»
يقوم على الافتراض القائل بنشوء نزاع في الشرق الأوسط بعد هزيمة فرنسا وبريطانيا في حرب
السوسيس عام 1956. ووعود المبدأ بنشر قوات أمريكية لحماية الدول المهددة بالشيوعية
(فاستليف 1988 : 251). وفي عام 1957، طلب أيزنهاور من الكونغرس الموافقة على
استخدام القوات العسكرية الأمريكية "لمساعدة أي دولة في الشرق الأوسط تطلب مثل هذه
المساعدة لمواجهة عدوان أي دولة واقعة تحت هيمنة الشيوعية الدولية" (غرايسون
1982 : 89).

وفي محاولة لمواجهة تهديد عبد الناصر والشيوعية، زار سعود واشنطن في عام 1957 بعد
التوقيف في القاهرة حيث اجتمع مع عبد الناصر وعدة زعماء عرب أخرين معارضين لـ "مبدأ
إيزنهاور". وفي واشنطن تلقى سعود وعداً بمساعدات عسكرية ودعم اقتصادي بقيمة
180 مليون دولار. وحصل على التزام من الأميركيين بتزويد君ية العربية السعودية بعدد أرضية للسلاج
الجوي وأخرى بحرية وتدريب الطيارين السعوديين ورسائل خبراء تقنيين (فاستليف
1988 : 252). وبالمقابل، وعد سعود الأميركيين بتعليق كل المساعدات إلى مصر، ووقع اتفاقيتين خلال
زيارته لممئذ الولادات المتحدة حي استخدام قاعدة اللد بحري 3 سنوات إضافية وتقيضين
بأن تقدم أميركا مساعدات عسكرية إضافية لتعزيز القوات المسلحة السعودية (غرايسون

كان على سعود أن يخفف من شدة تحسسه لـ "مبدأ أيزنهاور" بعدما جعل عبد الناصر
اعترضاته واضحة. وفي طريق عودته من الولايات المتحدة توقف سعود في القاهرة لإطلاق عبد
الناصر وتبني اعتراضاته على "مبدأ أيزنهاور". ولكن سعوداً فشل في مهنته هذه (المصدر
السابق : 90).

عندما عاد سعود إلى الرياض أعلن ولي العهد فضل "أن آراء العربية السعودية متفقة اتفاقاً
تاماً مع آراء مصر حول جميع القضايا" (فاستليف 1988 : 252). ولكن الإعلان لم يخف
الخلاف المتفاقم بين مصر وال العربية السعودية. وخاصة بعد أن ازداد تقارب الأخيرة مع الولايات
المتحدة والنظام الملكي الهاشمي في العراق.

أخذ فيصل يقوم بدور هام في كسب الدعم الأميركي حتى قبل أن يصبح ملكاً في عام
1964. وفي عام 1962، بدأت الطائرات المصرية سلسلة من الغارات اليومية على الحدود
السعودية مع اليمن. قامت الطائرات الأميركية المرابطة في الظهران بطلعات استعراضية
137


ولكن فيصل كان يدرك أن بناء علاقة وثيقة بالولايات المتحدة سيوفر حماية ضد الشيوعية والنقاط الدورية العربية في السينينات. وتخضع مناورات فيصل الدبلوماسية عن رادع أمريكي فاعل ضد غزو مصري مباشر للعربية السعودية أو غارات تستخدم المنشآت النفطية، ولكنها لم تلهم الهجمات المصرية في المناطق الحدودية والجهود النشطة بهدف التخريب، ولا منعت الولايات المتحدة من الاعتراف بالنظام الجمهوري في اليمن (سنارين 1985: 111). وكانت العلاقات السعودية - الأمريكية اعترافاً التوثر في أوائل السينينات عندما رفض فيصل مقترح كينيدي بإنهاء الدعم للملكيين اليمنيين. وأصر فيصل على انسحاب القوات المصرية شرطاً مسبقاً لتعليق الدعم الذي يقدمه إلى الملكيين اليمنيين. وبقيت العلاقة مع الولايات المتحدة م تتوقفة في 1962 - 1963. رغم أن فيصل ازداد قرباً فيما بعد من الولايات المتحدة في محاولة لتنقية بلده ضد أخطار القومية العربية والاشتراكية. كما أن فيصل، بوصفه
ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، رأى في الولايات المتحدة القوة العظمى الرئاسية القادرة على ضمان أمن المملكة ضد النفوذ السوفييتي المتنامي في الشرق الأوسط.

عمد الملك فیصل (1924 - 1975)

ارتبط عهد الملك فيصل (ولد عام 1906) بزيادة مطردة في عائدات النفط (انظر الجدول رقم 2). وأتاح هذا إحالة الأزمة المالية السابقة التي شهدتها الحكومة السعودية على رفوف التاريخ. ففي الفترة الواقعة بين 1965 و1975 ازداد إجمالي الناتج المحلي السعودي من 10.4 بلايين ريال فقّد إلى 53.4 بن ليون ريال. وخلال عام 1974، بلغت عائدات الحكومة من صادرات النفط مستوى لا سابق له قدر بـ 112 بلايين ريال.

جدول رقم 2

<table>
<thead>
<tr>
<th>السنة</th>
<th>حجم الصادرات النفطية (بليون ريال سعودي)</th>
<th>إجمالي الناتج المحلي</th>
<th>حجم الصادرات النفطية (بليون ريال سعودي)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1965</td>
<td>22.2</td>
<td>10.4</td>
<td>22.2</td>
</tr>
<tr>
<td>1966</td>
<td>26.5</td>
<td>11.4</td>
<td>26.5</td>
</tr>
<tr>
<td>1967</td>
<td>28.4</td>
<td>13.14</td>
<td>28.4</td>
</tr>
<tr>
<td>1968</td>
<td>31.5</td>
<td>14.6</td>
<td>31.5</td>
</tr>
<tr>
<td>1969</td>
<td>44.1</td>
<td>15.9</td>
<td>44.1</td>
</tr>
<tr>
<td>1970</td>
<td>49.7</td>
<td>17.4</td>
<td>49.7</td>
</tr>
<tr>
<td>1971</td>
<td>146.5</td>
<td>28.2</td>
<td>146.5</td>
</tr>
</tbody>
</table>
ورث فيصل من أخيه بلداً ذا بنية تخطيطية مادية ناقصة التطور على نحو لافت. وفي حين أن الوزارات تكاثرت في عهد سعود، فإن عملها كان يعاق بيئة مالية متقلبة ومحدودة تمنح اعتماداتها كstialياً ملكية. وخلال الشهر الأول من عهد فيصل، اختار أخاه غير الشقيق خالدًا لأنه يكون ولي العهد، وعين سلطاً وزيراً للدفاع والطيران، وهو منصب ما زال يتجهده. وأكد فيصل تعيين محمد زكى يفاني محل القيادة في وزارة النفط (الشيخ 1988: 796 ـ 7984). وقرر فيصل عزل الديكراي بسبب «آرائه الرازيكالية» حول قضايا تتعلق بشركة «أرامكو» والنفط السعودي. إذ كان الديكراي يطالب بزيادة السيطرة السعودية على هذا المورد الحيوي، وراودته لاحقًا فكرة تأميم «أرامكو».

وبرغم تأسيس هيئة تخطيط في عهد سعود، لم تنفذ مشاريع جديدة. وفي عام 1966 أكتسب التخطيط صفة رسمية باستحداث هيئة التخطيط الرئيسي التي أصبحت وزارة التخطيط في عام 1975. وبدأ عمر الخمسة الخمسة بالمبادرة الأولى في هذا المضمار للفترة من 1970 إلى 1975 أز وكتبت الخطة الأولى تقليص إجمالي الناتج المحلي بنسبة 8.8% في المئة سنويًا. وكانت اعتمادات الميزانية المقررة للسهات الخمسة بلايين دولار، 42 في المئة منها تُفق على مشاريع استثمارية. وتركز الإنفاق المخطط على الدفاع والتعليم ونقل الخدما. ومع تراجع عائدات النفط ازدادت اعتمادات الميزانية إلى نحو 37 مليار دولار لفترة السنوات الخمسة في حين بلغت المصروفات الفعلية من الميزانية 21 مليار دولار.

كان يرد الخمسة الخمسية الأولى أن تسفر عن تشبيه وتطوير بنية تخطيطية مادية بضمنها شق الطرق وبناء المطارات والموانئ وتوزيع شبكات الكهرباء وال الهاتف والاتصالات بصفة عامة.
وتضاعفت الخدمات الاجتماعية والمستشفيات والمراكز الطبية عدة مرات وبدأت تصل إلى قضاة أوسط من السكان.

كان التعليم الابتدائي غابياً من الناحية العملية في بعض المناطق، وكان سعوديون عديدون من عائلات معروفة في مجد والأحساء والجازير برسلون أبناءهم إلى مدارس داخلية في مصر ولبنان. وبقي التعليم البنات غير معروف في وسط العربية السعودية وعسير. وإذا تسلح فيصل بتصورات نفخية متزايدة باطراد، جعل التعليم البنات أولوية.


إن تشجيع فيصل للتعليم بصفة عامية، وتعليم الإناث على الأخص، جعل اسمه مرادفاً للتحديث. ويببرز فيصل بوصفه "تحديداً" تمسك إصلاحاته في الكتابات التاريخية السعودية بالارتباط مع "النهضة". وتدعمت رغبته في تطوير القاعدة الاقتصادية بأكبر زيادة على الإطلاق في أسعار النفط نتيجة المقاطعة النفطية في عام 1973. وفي عام 1975، ساهمت عائدات النفط بأكثر من 75 في المئة من إيرادات الحكومة. وأثنت الزيادة المفاجئة في عائدات النفط وسع جهاز الدولة وبيروقراطيتها. وليس من المبالغة وصف السبعينيات بأنها كانت حقبة توطيد أركان الدولة التي قامت في عام 1932. وفي حين أن الأزمة الملكية جزءاً من المشهد السياسي
في الجزيرة العربية منذ الثلاثينيات، فإن «الدولة» بشكلها الحديث كانت تطورًا لاحقًا ارتبط بالفُورة النفطية إبان السبعينيات.


بعد إبعاد أبناء سعود عن الخدمة في الدولة، قام فيصل أيضاً بتعزيز نظرة والده الضبابية إلى قضية الولاثة في إطار الأسرة. وقد اختار أخاه خالداً ولياً للعهد. وعلى الرغم من عدم احترام القدام حسب العمر، لم يكن هناك شك في أن الخليفة يجب أن تبقى محصورة بأبناء ابن سعود بدلاً من أحفاده، الذين كان بعضهم يعمر أعمامهم (إن لم يكونوا أكثر سناً). وفي حين وصل سعود المخلوع تهديد هذه الصيغة من منفاه في مصر بتشجيع من عبد الناصر، فإن هذا التهديد لم يعد واقعياً بعد وفاته في عام 1969. وبدأ أن أبناء سعود سلموا بهمهمهم سياسياً. كما أن المجموعة المرتبطة بطلال بن عبد العزيز فشلت في تحدي صيغة فيصل الجديدة نظراً إلى بقاء طلال في المنفى. ولم يكن لـ«الأمراء الأحمر» ورؤيتهم في إقامة ملكية دستورية، حظ من النجاح بين الأمراء الكبار الآخرين. عملياً، لم يكونوا يتمتعون بأي تأييد على مستوى القواعد. وأثبت خطأهم في «الملكية الدستورية» و«القومية العربية» و«الاشتراكية» كونه غريباً عن الغالبية من الأسرة الملكية وعامة الشعب على السواء.

اقترنت نزعة فيصل السياسية المحافظة بروية تذهب إلى أن العربية السعودية يمكن أن تستورد المعرفة التكنولوجية وتحقيق التحديث الاقتصادي مع البناء أمينة على الإسلام الحق.
وفي الوقت الذي تلقى فيصل تربية إسلامية في سن مبكرة بتأثير "آل الشيخ"؛ أقربائه من ناحية أمه، فإن خطاباته الإسلامية تقدمت إلى موقع الصدارة بوصفها من حيث الأساس خطابًا مضادًا للاتجاهات السياسية العربية التي كانت رائحة وقتئذن ارتباطًا بالقومية العربية في نسختها الناصرية والبعثية. وكان ينظر إلى القومية العربية بزعامة جمال عبد الناصر على أنها تهديد مباشر لبقاء الفئة الحاكمة السعودية. وكانت الخلفية تدخل عبد الناصر في اليمن.

يضاف إلى ذلك أن خطابية يديولوجيا البحث، مثل ميشيل عفلق، إبان الستينيات، في "الوحدة والحرية والاشتراكية" والدعوة إلى "أمة عربية واحدة ذات رسالة واحدة"، أصبحت شديدة الخطر بعد إقامة أزمة حكم اليمن في العراق (1962) وسوريا (1963) ثم "المملكة التحتية" عام 1970. واعتمد فيصل خطاب التحدي في إطار إسلامي. وبدأ يتصور في الإعلام السعودي على أنه الملك المسلم الأصيل (1) واعتقى سعود "الفاصد" من مخلة الرأي العام بينما جرى تشجيع فقدان الذاكرة التاريخية بشأن عهده.

كان من نشأ في الرياض في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات سيتخيل أن خليفة ابن سعود هو فيصل، التحدي في المسلم، إذ نادراً ما كان يرد ذكر سعود في كتب التاريخ المدرسية. وفي حين كان المعنيون بتقديم تاريخ متسلسل لـ "العربية السعودية الحديثة" عن المعلمين العرب (المصريين في الغالب) يذكرون اسم سعود بشكل عابر. فإنهم كانوا يخصصون حصصًا عديدة مناقشة الفترة المجندة في ظل ابن سعود وفيصل. ولم تعد صور سعود تعلق في مكاتب المعلمين والدواوير الحكومية والمطارات والمؤسسات العامة الأخرى. وأعيدت تسمية الجامعة التي حملت اسمه إلى "جامعة الرياض". واختلفت ذكره سعود على أفراد ذريته مباشرة الذين كان عليهم أن يقبلوا بمكانة من الدرجة الثانية بين أفراد الأسرة الملكية. واستمر أهل الرياض يرون بقصره المهجور؛ "قصر الناصرية" الشهير، الذي ترك يتداعى إلى خربة بينما كانت قصبه بذخه ومحيطه وفسوقه تزدهر بين جدران منازلهم.

برعاية فيصل، وفي إطار إصلاحاته الإدارية، تم رسمياً إدمام العلماء. واستحدثت وزارة العدل في عام 1970. وأصبحت أكثرة العلماء موظفة في الدولة. إذ كان يراد إطفاء طاعٍ

---

(1) صور فيصل يصبح رمزاً لوعه وسياساته الإسلامية. وأكسبته مشاركته في المقاطعة النقطية عام 1973 ورغبته في الصلاة في المسجد الأقصى في القدس الشعبية لا سابق لها في العالمين العربي والإسلامي.
نظامي على الصيغة غير الرسمية التي كانت جزءاً من «تحالف مقدس» ففضاض (وصف في الفصل الثاني). وتراوحت ذلك مع التحديث والتنمية المتحالفينين اللذين بدأ أثراء هذهbasات الحياة وتعمل والإدخال تكنولوجيا اتصالات جديدة (مثل محطة التلفزيون في الرياض) وتوافد العمال الأجانب إلى المنطقة الشرقية وحدها بناء على مناطق أخرى أيضاً في البلاد. مصدر مشاكل خطيرة للملك ولم يتمكن الملك من الشروع في تنفيذ برنامج واسع لتعليم البنات إلا بعد طمأنة العلماء إلى أن البنات سيتلقين تربية دينية متينة بإدارة وزارة منفصلة (وزارة تعليم البنات بإشراف العلماء إشرافاً مباشرةً عليها). كما أن محطة البث التلفزيونية لم تُفتح إلا بعد إخضاع المتظاهرين الذي أسفر عن إطلاق النار على قادته في أديب أخي الملك؛ الأمير خالد بن مساعد بن عبد العزيز في عام 1975. وتحول هذا إلى مأساة لا للأمير فحسب بل ولملك نفسه. وفي عام 1975، تعرض الملك للاغتيال على يد أخيه الضحية، وهو أمير اسمه فيصل أيضاً.

أثبتت الابتكارات التكنولوجية أنها باهظة الثمن في مجتمع كان لم يزد بعبارات طائفة كاملة من التجديدات بتثبير المذهب الوهابي. وكان فيصل سعيد إلى إدمان العلماء فجعلهم جزءاً من الدولة وعمل على مكافحة الأكثر اعتدالاً بينهم من المستعبدين لتزيك إصلاحاته قابل تنزلات. فبدأت علومهم الدينية تدرس رسمياً مع افتتاح الجامعات الإسلامية التي أخذت تحل تدريجياً محل مراكز التعليم غير الرسمية حول مدرسة المسجد. ومنذ السبعينيات، تضافف عدد الطلاب في مثل هذه المعاهد أكثر من ثلاث مرات. وكانت التنزلات تقدم للعلماء مقابل فتاوى تزكي وتشرعن تقريباً كل جانب من جوانب الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي. وفي حين أن هذا التفسير لا يشكك في تقوى الملك شخصياً، فإنه يسول الضوء على السياق التاريخي الذي أصبح فيه قمع الشخصي بالدين استراتيجياً سياسياً مواجهة سلسلة من التهديدات الداخلية والخارجية.

في حين ساعه «المطاوعة» في توسع ابن سعود في الجزيرة العربية في المراحل المبكرة؛ فإن عائدات النفط لم تكن فيصلاً، لا من زيادة أعدادهم فحسب بل وضعية الامتيازات التي منحها للأرستق علماً بينهم، الذين ارتفع بهم علمهم ونستاؤهم وورثهم إلى مراقب أعلم. وكرس فيصل نظاماً كان والده أقامه، وإن بصورة غير رسمية. وأباد الأشاد تزمناً بين العلماء وحرموا من امتياز التحول إلى موظفين في الدولة في وقت كان العمل في القطاع العام إحدى الفرص التي

١٤٤
أتاحتها «الطفرة النفطية» في السبعينيات. وباستثناء المواجهة التي اندلعت عام 1965 بين فيصل والعلماء حول الطبيعة الإسلامية للبث التلفزيوني، فإنه نال تأييد غالبية العلماء الذين ضمن تأهيلهم الرسمي في الجامعات الدينية الحكومية ورواتبهم المنتظمة امتثالاً منهم يطمع به غالبية الملوك الحاكمين في ظل خطابية إسلامية.

أتاحت عائدات النفط للدولة السعودية أن تعزز آلية قديمة هي الدور التوزيعي للسلطة المركزية في الجزيرة العربية. فقبل الحقبة النفطية كان ابن سعود يتنقل باستمرارًا حريصًا كبيرًا في العمل بالرخص النفوذية التي استخدمها لتمكنه من بيعه. وعندما فرض ضرائب الحج رسمياً كان يجهلهم من الحجاج المحليين والأجانب لاستخدامها في تمويل تدخلات سياسية وشيوخ قبائل محلية. وكانت الحال دائماً أن تتوالى فئة (الحجاج الأجانب والتجار المحليين) توبل علاقات سياسية في مجتمع بلا قاعدة ضريبية واسعة. وفي حالة النادرة التي يقوم فيها سكان واحة ما يدفع ضرائب إلى خزينة الدولة، فإن هذه كان يعوض توزيعاً على مجموعات لم يكن الوصول إليها سهلًا لغرض الجباية. وكان الاقتصاد التوزيعي الذي يقف وراء المركزية السياسية في الجزيرة العربية قليلاً قبل الثورة النفطية. فالفائض المحقق من مجموعة نتيجة مكاسبها الزكاة أو الغزو كان دائماً يعوض توزيعاً جزئياً على مجموعات أخرى مع الاحتفاظ بجزء آخر لإعادة أسرة رئيسية وقوتها العسكرية. وكان الباقى دائماً يستخدم لشراء الولاء.

الجديد في الوضع في أوائل السبعينيات كان يتعلق بحجم الفائض وتنوع المكادمات. يضاف إلى ذلك أن العائدات النفطية جعلت من الممكن لدائر حديثة محدودة من «دافعي الضرائب» السابقين (مثل الحجاج الأجانب والعائلات التجارية العربية والأجانب المحليين) أن يتخلص من ضرائب الحج الخاصة لأنه لم يعد من الضروري أن يدفع الضرائب تعوض على هذه البعثات. ومع النفط فقدت العائلات التجارية المحلية كل ما بقي بصلة إلى قوتها التناسبية السابقة إزاء الدولة. وهي قوة ينبغي عدم تضخيمها لأن التجار كانوا على الدوام مصدراً من بين مصادر أخرى لتعزيز السلطة المركزية في الجزيرة العربية(1). وكانت أموال الدعم من البريطانيين والعثمانيين قبلهم.

أوجدت كيانات سياسية دامت زمنًا طويلاً. إن فكرة الحاكم بوصفه مافياً ومعيالاً لم تكن جديدة في سياق الجزيرة العربية، ولم يتفعل النطف سوى ترسيخ ما كان أصلاً أساس الحكم وهو "الكرم".

أثارت العادات النفطية لهذا الكرم أن يتخلى وليمة اللحم والأرز المعهود والهدايا التي كانت تُعِد في المناسبات من ألبسة وثمار وأسلحة. ففي عهد فيصل أصبحت الدولة مصدر الرعاية المادية والعلاج الطبي والمساكن الجديدة وتوثيق السفر والأوراق الرسمية وشهادات الميلاد والوفاة والتعليم في المدارس ومقدمات الدروس في الجامعات والبعثات الدراسية إلى الولايات المتحدة وقطعية الأرض للإنتاج الزراعي ومواقف البنية والهدايا النقدية في الأعراس والنكبات. كانت القائمة طويلة، والأهم أن الدولة باتت الحارس الذي يسهر على وجود المواطنين كافة، وتغلف نفوذها في كل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ولج السعوديون، الاعتياديون منهم والملكيين، عصر العمولات، وهي مدفوعات إضافية خفية تصاحب العقود على جميع المشاريع النموذجية، فضلًا عن انتعاش قطاع البنية والإنفاق العسكري. وكانت الدولة تدفع إلى مواطنيها مباشرة بعدما أصبحت راب العمل الأكبر، وكذلك بصورة غير مباشرة في شكل خدمات وعمولات ومشاريع لتوزيع الأراضي (1). وبدأت العربية السعودية تنجب رجال أعمالها الخاصين، الذين كان بعضهم من ذريّة ابن سعود مباشرة، والأمراء الذين استبعدوا من حفظ الدولة السياسي أو لم تكن عندهم طموحات سياسية، وجدوا لهم موقعًا اقتصادياً مجزيًا بمكانته المادية. وكان هذا تطورًا جديداً في العربية السعودية. ويزعم أن ابن سعود نصح أثناء قليل وفاته بأن "لا تنافسوا التجار حتى لا ينافسوكم" (شامية 1986). ولكن سعة الفرص الاقتصادية والمالية في أواخر السبعينيات جعلت من الصعب اتباع مثل هذه النصيحة. وكان الأمراء الذين يعملون وزراء، والأمراء الذين لا مكان لهم في إدارة فيصل السياسية، أول من اغتنموا الفرص الاقتصادية الجديدة، وأصبحوا مقاولين ثانويين للدولة يتلقون بهذه الصفة عمولات ضخمة على مشاريع يبيعون فيها مواد مختلفة للدولة.

(1) ارتبط عهد فيصل أيضًا بتبنيه الأراضي وإعادة توزيعها، وقامت إعادة توزيع الأراضي بتوطين البدو

Fernea Fabiatti

نتيجة مشاريع تنموية كانت موجهة إليهم، لمزيد من التفاصيل انظر فابيتي 1984; وفيرونا 1987.
وأتاحت العائدات النفطية إمكانية تعزيز أسرة ملكية متلاحمه توحدها الآن مصالح اقتصادية حقيقية بدلًا من أواصر نسبية وقاربية مبهمة. وكان التضامن الملكي بين أبناء ابن سعود يتضمن إلى أكثر من خلافات الأصل، كان الضعف اعتراضاً بأواصر خوفة تقسيمية بعد وفاته مباشرة، وكان الصراع بين سعود وفحل و"الأمراء الأحرار" دليلاً على انتفاض هش إنهار في عام 1953، ولم يكن بالإمكان احتواء تداعيات الانهيار من دون التضحية بعرض سعود، وابتداء من السبعينيات، كان تضخيم الشركاء الخاصة وراء تلامح أفراد الأسرة الملكية لا الأواصر القرابية (1). وإذا أفادت غالبية الأمراء من العمولات، تضاءلت أكثر فأكثر جاذبية الاستغراق في رؤى مثالية للكيان السياسي من دون محاكاة جدية تهدى بقاء الأسرة الملكية برمثها.

لم يكن نبلا القبائل العريقة قادرين بسهولة على تحدي سلطة تتوسط أركانها بعائدات النفط. وكان جري أصلاً إصدار شيوخ القبائل وأمراء سابقين في البداية عن طريق المقاهى (في الثلاثيات والأربعينيات) ثم بالمنافع الاقتصادية (في أوائل السبعينيات). وبدلاً من أن يصبحوا حلفاء، تحولوا إلى فئة "طفيلة" يعتمد بقاوهم اعتماداً شديداً على العطاء الملكية. وإذا كان هؤلاء الشيوخ أبناء خوؤله بعض الأمراء، فإنهم فصروا استقلالهم وقوتهم التساهمية مع الدولة وتولى الأمراء إدارة نظام البحوثية لبفضل أبناء خوؤله فحسب، بل أفراد قبائل اعتياديين أيضاً (الرشيد 1991: 254) 1. واتسعت المخصصات الشهرية الحكومية لتشمل دائرة أكبر من آشور وأبناء خوؤله. وكان شيوخ قبائل في مناطق نائية، مثل طرحج والجوف في الشمال وأبناء وجران في الجنوب العربي، يحصلون على منافع من وكالات حكومية. وأخذت دائرة أقرب من شيوخ القبائل ترافقت الأمراء خلال رحلات الصيد في العربية السعودية أولًا، ثم في مناطق أخرى من العالم العربي. كما كانوا يرافعون الأمراء في جولات أوروبية منتظمة كجزء من الحاشية الملكية. وكان الأكثر ملكية بينهم ينبح مكانة "الخوي"، أو ما يشبه الأخوة بين شريكين غير متكافئين. وكانت عطاءاً نقدية منتظم، تعبيراً عن مكالم الخزائن الملكية الخاصة/ العامة، تستكمل المنافع المباشرة (الرشيد 1991: 254).

(1) خلال السبعينيات لم يستخدم الأمراء السعوديين أسماؤهم لإمكانيت مشاريع تجارية واستثمارية. واستمر هذا التقليد حتى الوقت الحاضر. وعمد ابنه فيصل وغيرهم من الأمراء إلى قوية ملكية ما لديهم من شركات، وكانوا في هذه الناحية، يختلفون عن العائلات التجارية الاعتيادية التي ارتبكت أسماؤها بشركاتها التجارية مثل الجفائي والراجحي وبن لادن وغيرهم.
وبات سعوديون اعتمادون متلقي مكافأت توزع عليهم كدعومات حكومية ورواتب
عملهم في جهاز الدولة الإداري والجيش والخس الوطني. كما أصبح الأمراء يستقبلون في
مجالسهم اليومية "خوتيهم" وغيرهم من الضيوف الاعتمادين الذين يقدمون عرائض ينتمونون
فيها "معونة" أو يلبون "شرحة" (هيئة نقدية سنوية).

الموحاة الأولى من الببروغرافيين والتكونفواد والمهنيين والتجار، لم تكن لديها قوة تساموية;
كان هؤلاء متفسين على أساس الدين والقبيلة والجهة والعائلة والاقتصاد القوي والموقعية توزيعاً غير
متساوي. ولم يكن من السهل للثورة والتعليم أن يتفنبا على الظروف الاجتماعية والمنطقية، وفي
حين أن أمارة الحياة وعاصية الدورة الاستهلاكية، وحدت السعوديين المتعلمين حديثاً، فلا
المصلحة الاقتصادية ولا التعليم أتاحا إمكانية نشوة فئة متساوية. وبيت المهنيون السعوديون
معتمدين على دولة تجّزهم من خلال توزيع الثروة توزيعاً غير متكافئ.

ظلمت الولات للعائدة والقبيلة والمنطقة قلية كبيرة في السبعينيات وكان الحظر
الاجتماعي على الزواج الأباعدي بين الانقسامات الاجتماعية داخل البلد والجماعات التي كانت
لم تزل قائمة. فالنظاميات لم يكن يشيرن الزواج من رجال حجاجيين أو حماسين أو من
عشر. وفي جد نفسها، كانت المجموعات القبلية لا تتفت بنتها إلى "الحاضرين" ؛ أي سكان
المدن والواحات غير القبلية. وفي الحجاز كانت البنات ذوات الأصل الشمالي لا ينتمون من
جاجيين اعتدائيين ولا من رجال مجموعات قبليه نقدية نبيلة.

واقتضت القيود على زواج البنات باعتبار من الزيجات الأباعدية بين الرجال، فالرجال الذين
ينتمون إلى العائلات القبلية النبيلة، والمهنيون السعوديون وحتى الأمراء أخذوا يتزوجون من
نساء بلدان عربية مجاورة، وخاصة مصر وليبيا وسوريا. وبالإضافة إلى الزواج من بنت عمة
خال من الدرجة الأولى، كان الأمراء ونبلاء القبائل يبحثون عن زوجة ثانية أو ثالثة من أسر
غريبة معروضة في العالم العربي (1).

كان السعوديون، بعد دراستهم في الخارج، يعودون في أحيان كثيرة ومعهم زوجات غير
سعوديات ؛ البريطانية كان واحداً منهم. وكانت هذه الزوجات نتاج القيود الداخلية التي قُمع
الزواج من خارج القبيلة والديرة، والثروة الجديدة التي جعلت الرجل السعودي خطيباً جداً بـ

(1) من بين أمراء، أخرين، صاهر طلال بن عبد العزيز ومساعد بن عبد العزيز العائلتين الخليجيين اللبنانيتين
الصالح والكمبيسي على التوالي.

148
عند النساء العربيات. وتسببت الثروة النفطية في تضيف مهر المرأة السعودية الذي بات فوق طاقة الرجال ذوي الدخيلة المحدودة (ياني 1988).

دفعت العدد المتزايد لهذه الزيجات الأباعدية، الحكومة السعودية إلى التحرك في منتصف السبعينيات، وأصبح من الضروري أن يحصل الرجل السعودي على موافقة وزارة الداخلية قبل الزواج من امرأة غير سعودية. كما تطور في ذلك الوقت زواج النساء السعوديات من رجال غير سعوديين. وهم فئة تشمل العرب المسلمين والمسلمين غير العرب (المصادر السابق: 164).

واعترن من الزواج من غير السعوديين بالإجحام عن ترضية النساء على بعثات تمكهن من السفر للدراسة في الخارج.

لم يفعل التعليم والنفوذ الكثيرون في عهد فيصل لتغيير التراثيات والعناصر الاجتماعية القديمة بين الفئات المختلفة التي تشكل النسيج السكاني في العربية السعودية. وفي السبعينيات، بدأ المجتمع السعودي ينجزر من نزعة استهلاكية. وكانت القضايا الخبيثة عند السعوديين كافة تتمثل في كيف يمكن الاستهلاك من دون فقدان الأصالة التي حددت مفردات إسلامية منذ بداية عهد فيصل.

فيصل والعالم العربي


149
و平板 العربية. وقدت سوريا هضبة الجولان، وفقد عبد الناصر شرعية دعوته بزعامة العرب.

برغم بقاء شعبيته على حالها.

كانت ردو الأفعال السعودية على الحرب معطلة مقارنة مع المناطق الأخرى من العالم العربي. ومع ذلك، خرجت تظاهرات عنايدة للأمريكيين في الحجاز والعاصمة الرياض. ولكن الأدباء تحدثت عن تظاهرات كبيرة في المنطقة الشرقية، وخاصة في القطيف والخبر والدمام.

وهاجم طلاب جامعة البترول والمعادن التابعة لشركة آرامكو، منشأة الشركة والقاعدة الجوية الأميركية والقنصلية الأميركية (أبهر 1988 11:1)

في آب/أغسطس 1967، بعد الهزيمة المهينة، أعلن الزعماء العرب، بمن فيهم فيصل، في الخطوط. اللاءات الثلاث الشهرة: لا اعتراض، لا مفاوضات، لا صالح. يضاف إلى ذلك أن مؤتمر الخرطوم ينتمي بأهميته في النزاع العربي - الإسرائيلي من جانب آخر هو التنازل العربية السعودية والكويت وليبيا؛ الدول النفوذية الرئيسية وقتذاك، بتمويل دول المواجهة العربية.


وبعد "قمة الخرطوم" أصبحت العربية السعودية مصدر رؤوس أموال ومصدّر مساعدات مالية للدول المواجهة مع إسرائيل (المصدر السابق: 284). لقد نقل النفط السعودي العربية السعودية من الاهتمام إلى مركز السياسة العربية.

في اجتماع جانبي، قرر فيصل وعبد الناصر أن يتركوا اليمن للليمنيين قبل نهاية عام 1967. وإذ لم تكن لدى عبد الناصر أوراق يساوم بها في الخرطوم، فقد خرج فيصل منها ظافراً. وبالنسبة إلى العربية السعودية، لم تعد الناصرية وعبد الناصر المدخر يشكلان تهديداً حقيقياً لها. وتوجه فيصل نحو التفاهم مع عبد الناصر الذي اعتراه الضعف حتى وفاته في أيلول/سبتمبر 1970. وبغياب عبد الناصر عن الساحة العربية، بات الآن بإمكان العربية السعودية أن تنطلق إلى القيام بدور مؤبد يتناسب مع ثرواتها النفطية. كأن مصر دأت على إيجابية رغبتها في الزعامة في العالم العربي والإسلامي على أساس تراثها الإسلامي ودعوى حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. وقد أتاحت هزيمة مصر فرصة هامة لتحقيق هذا الهدف.
في عهد فيصل، عاد العراق إلى البرز بوصفه مصدر قلق للعربية السعودية بعد استيلاء حزب البعث على السلطة في عام 1968. وفي حين هيمت الناصرية على السياسة العربية إبان الحسينيات. ففي أواخر الستينيات كان البعث بنسخته العراقية والحربية يؤيدون تنوعاً للعربية السعودية. وعملت القومية العربية، بطبعها البعثية الآن، على إضعاف شرعية الفئة السعودية الحاكمة. وما من شيء كان مرفوضاً عند فيصل أكثر من خطاب الوحدة العربية والاقتصادية.

وكان لا بد لدعم الوحدة، على أساس الثقافة العلمانية والتاريخ والحضارة. من أن تتم لا إسلامية بنظر فيصل. وكانت مغامرة العراق تجاه الكويت في عام 1961 لا تزال ماثلة في ذاكرة فيصل الذي لم يتمكن من التعبير عن رحبه باستيلا، البعثيين بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين على السلطة في تموز/ يوليو 1968 (تربيب 2000).

وفي حين كانت القاهرة مركز النشاطات المعادية للسعودية في الخمسينيات وأوائل الستينيات، فان بغداد أصبحت في أواخر الستينيات محرك البعثيين السعوديين والمعارضين الشيعة. لا سمايا من المنطقة الشرقية التي تتكاثر فيها الصناعة النفطية. وشمخ للبعثيين السعوديين بتشييف إذاعة موجهة إلى العربية السعودية من بغداد. وأصدر المعارضون مطبوعاً باسم «صوت الطليعة» أصبحت له شعبية بين اليساريين والبعثيين على السواء (أبريل 1988؛ 112).


_______________________
(1) انطباع العالم العربي بسلسلة من الأحداث في عام 1969. فقد أطاح الجيش بأنظمة الحكم في ليبيا والسعود والصومال. وبدأ البريطانيون الذين كانوا، حتى ذلك الوقت، حماة الدول الخليجية الصغيرة، يسحبون قواتهم من المنطقة. وفقدت العربية السعودية مخاوف من تضاعف نشاطات الجماعات الماركسية والبعثية لا سيما في اليمن الجنوبي، ولم تكن محاورها صعبة. لمزيد من التفاصيل أنظر أبكر 1988: 114.


152
وطنياً في الدول السعودية أيضاً، كما سنبين لاحقًا في هذا الكتاب. وتخطى "مؤتمر مكة" عن
تأسيس "رابطة العالم الإسلامي" التي اتخذت من مكة مقرًا لها (بسكاتوري 1983).

بعد إحراق المسجد الأقصى في القدس عام 1969، دعا العاهل الأردني الملك حسين إلى
مؤتمر قمة عربية، واقترح فيصل قمة إسلامية، رابعو للإمكاني في إضعاف عبد الناصر. وفي عام
1970، اجتمع وزراء خارجية 23 بلداً إسلامياً في جدة لتشكيل الأمانة العامة للرابطة
الإسلامية برعاية العربية السعودية (فاسيلييف 1986: 278: 387). واتفق وزراء الخارجية على
الاجتماع سنوياً لتعزيز التعاون بين الدول الإسلامية وإرسال الدعوات المؤسسية للوحدة
وكالة أثناء دولية ومقاومة مركز ثقافي إسلامية حول العالم. وبدأت العربية السعودية موافقتها
على تمويل مثل هذه المبادرات.

في اجتماع ثان عقد عام 1972، قرر المؤتمر إقامة "صندوق الجهاد" ضد إسرائيل. وشجب
المؤتمر إسرائيل لدعمها القسم العربي من القدس (فاسيلييف 1986: 288: 387). وعلى امتداد
السيسنين، أصبحت رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تأسست في الفترة
نفسها، منبرًا توعي العربية السعودية تقوتها في العالم الإسلامي من خلاله، واستغل
السعوديون موقعهم بوصفهم أوصياء الأماكن المقدسة، وشروطهم النفطية، تعزيز وجودهم في
العالم الإسلامي الأوسع. وفي السبعينيات أيضاً، بدأ الارتباط بهذا العالم الإسلامي يوفر
حماية ضد التهديدات العلمانية والاشتراكية من داخل العالم العربي (بسكاتوري 1983: 

أما على المستوى الدولي، فقد بلغت شعبية فيصل في العالم العربي مستوى لم ينتج ذات يوم
لملوك سعوديين. ولنعد سعود مصدر تأثير في الخمسينيات وأوائل السبعينيات، فإن فيصلًا
أصبح في السبعينيات، رمز السياسة الإسلامية، لا في العالم العربي فحسب، بل بين المسلمين
في أفريقيا وآسيا أيضًا. لقد توجه فيصل إلى الإسلام لإيجاد بديل أصيل عن القومية العربية
(فاسيلييف 1986: 385: 430). وبدأت العربية السعودية حملة لمدعم إيجاد إحياء للأعمال الإسلامية وبناء مراكز
دينية ومساجد في الخارج (بسكاتوري 1986). وأفادت عدة بلدان إسلامية في أفريقيا وآسيا
من المساعدات السعودية التي كانت توزَّر في إطار التزام البلاد بنشر الإسلام وتقوية البلدان
الإسلامية، وفي عام 1974، ساهم فيصل بـ 100 مليون دولار في صندوق التنمية الإسلامي.

بدا أن فيصل نجح في إنقاذ العربية السعودية من قلاقلها السياسية الداخلية التي تزامنت مع غلائها العام العربي. ففي الداخل أعاد الملك الثقة بالاقتصاد السعودي وتمكن حتى من تنفيذ خطة مبرمجة للتحديات الاقتصادية والاجتماعية. وفي حين يُذكر فيصل لإصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية، فإنه يُذكر أيضًاًا لتنكيله بالأصوات المعارضه في العربية السعودية التي كانت تضم في السبعينيات ناصريين وقوميين عربًا وعسكريين وشياويين، وخلال عقد السبعينيات، شدد فيصل إجراءاته الأمنية الداخلية ونجح في قمع جماعات معارضة مختلفة لم تُش الفص من أثار القوة الغاشمة التي استخدمت ضدها في مرحلة مبكرة للغاية من تطورها السياسي، وأرسل الستار على ما كان يُسمى "المعارضة العلمانية" في العربية السعودية.

على المستوى الإقليمي، نجح فيصل في دفع تهديد الأنظمة الثورية في العالم العربي عن العربية السعودية. وضمنت "دبلوماسية الكواليس" بقاء الدولة السعودية على خلفية مواجهات عربية - إسرائيلية خطيرة وخطابية ثورية. وبقيت مصر الناصرية منافس العربية السعودية الرئيسي في العالم العربي.

حتى ذلك الوقت، لم يكن لدور العربية لسعودية بوصفها حامية الحرمين إلا أهمية رمزية.

وفي السياسة الدولية والعربية بقيت هذه الوصاية غير ذات أهمية حتى وجدت سندًا لها في
الثروة النفطية الجديدة إبان السبعينيات. ولكن فيصل قام في السبعينيات بتوجيه خطابية إسلامية في محاولة مستميتة لمواجهة أيديولوجيات علمانية واشتراكية خطرة في العالم العربي. كانت لها أصداؤها بين قطاعات من المجتمع السعودي.

وإذ توافرت خصوم فيصل بين معارضي السبعينيات أدلة كثيرة تحت تصرفهم، أشار هؤلاء إلى نزعته المحافظة وحكمه الفردي المطلق. وبدة تخلفه عن إصدار القانون الأساسي، وتشكيل مجلس الشورى اللذين يعد بهما خلال نضاله ضد أخيه سعود، أسطورة حكمه التقديمي. ولكن لا ريب في أن توطيد أركان الدولة السعودية التي نشأت عام 1932، وحتى بقاءها خلال سنوات الغليان في العالم العربي إبان السبعينيات، كانت ثورة جهوده وتطور نجاح فيصل في تحقيق استقرار السياسة الداخلية السعودية وشيوعه في العالم الإسلامي، على خلفية ثروة جديدة بدأ يمتلكها. وأثنت الزيادة المحسنة في أسعار النفط في أوائل السبعينيات للعربية السعودية أن تصبح لاعباً كبيرةً، لا إقليمياً فحسب بل دولياً أيضاً، كما أن الثروة الجديدة أفقت «المعارضة العلمانية» جاذبيتها في العربية السعودية، كما سنرى في الفصل التالي (الخامس).
الفصل الخامس
من الرخاء إلى التقولش: 1973-1990

الخطر النفطي الذي فرضه العربية السعودية وبلدان عربية نفطية أخرى لفترة قصيرة على الولايات المتحدة وأوروبا دمّر حرب مصر مع إسرائيل في عام 1973، لفت انتباه العالم إلى العربية السعودية. فلしたこと أدى إلى زيادة درامية في أسعار النفط أثحت للعربية السعودية أن تتمتع برخاء لا سابق له عمل على تيسير عملية التحديث الداخلية وتعزيز قدرة النظام على توسع الخدمات وإحكام سيطرة الدولة على السكان وإيجاد اعتماد على مواردها. وأمكن الآن تنفيذ إصلاحات فيصل الاقتصادية والاجتماعية التي انتقلت في أوائل الستينيات، وحتى توسيعها بعائدات المتناوبة.

ولكن درو الخصائصات الجديدة زادت انكسار النظام السعودي ودعت قيادته إلى البحث عن «رعاية» لحمايته ضد التهديدات الداخلية والخارجية. واستمرت العربية السعودية في التطلع إلى الولايات المتحدة للقيام بدور حامي وضامن أمنها. إذ كانت للعربية السعودية علاقة وثيقة مع الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية، فإن هذه العلاقة غدت «مثقلة» بصورة متزايدة في السبعينيات. وكانت العلاقة مع الولايات المتحدة أصبحت أشد إلحاحاً بعد تدفق الفروة الجديدة في بلد يقتضي إلى الموارد البشرية والتكنولوجية لضمان أمنة. وكانت لدى العربية السعودية الموارد المالية لشراء الأمن ولكن لقاء مثل باهظ جداً.

خلال رحى السبعينيات وتخفيف الثمانينيات على السواء، بدأ أن موضوعة واحدة استحوذت على السياسة السعودية تتمثل بانكشاف عريض الجذور كان نفسه نتاج عوامل سكانية/اقتصادية (تضافر عدد كبير من السكان ومساحة إقليمية واسعة وثروة طائلة) وعوامل تنموية (تضافر موارد بشرية ضعيفة واعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية) ومسؤوليات الجغرافيا التي جعلت العربية السعودية حامية الحرمين وفرضت جغرافيا على العربية السعودية مسؤوليات معينة في العالم العربي والإسلامي، وجعلت شراكتها مع قوة خارجية مثل الولايات المتحدة حتى أكثر إشكالية.

الرخاء: المقاطعة النفطية (1973)

قبل عام 1973 يبدو أن خطابات الحكومة السعودية، وخاصة خطابية فيصل. طالبت المجتمع الدولي إلى "عدم الخلط بين النفط والسياسة"؛ يعني أن العربية السعودية لن تستخدم مواردها النفطية لخلال الحرب على الضغط على إسرائيل للانسحاب من الأرض الفلسطينية.


1) في السبعينيات، كانت الأعمال الأكاديمية الأمريكية عن العربية السعودية محدودة للغاية. وتشير إحصائية إلى أن 6 كتاباً فقط من أصل 50 كتاباً و9 مقالة فقط من أصل 500 مقالة، أتت على ذكر المملكة. لمزيد من التفاصيل، انظر لوング 1985: 10.
تشرين الأول/ أكتوبر 1973 بدأ الغرب فجأة عندما انضمت العربية السعودية إلى بلدان عربية نفطية أخرى، وأعلنت حظرًا على شحن النفط إلى البلدان التي تدعم إسرائيل.

تجرد الإشارة إلى أن العربية السعودية لم تترشح الحملة من أجل تأجيل المناورة النفطية وخفض الإنتاج، ولها كانت تريد أو حتى تتوقع الزيادات الهائلة في أسعار النفط التي أسفرت عنها المقاطعة (غولاب 1985: 8). وأخرت العربية السعودية التزايدًا بالمقاومة ومع البلدان العربية النفطية الأخرى حتى لم يعد يقدرها «تأخير والتأخير» بأمل أن ينتهي النزاع من دون أن تضطر إلى لعب الورقة النفطية» (المصدر السابق: 1).


واجتمع عشرة وزراء نفط عرب في الكويت في 17 تشرين الأول/ أكتوبر حيث اتفقوا على خفض إنتاج النفط بنسبة 5 في المئة كل شهر حتى تسوية النزاع في الشرق الأوسط. كما اتفقوا على رفع أسعار النفط بنسبة 17 في المئة (المصدر السابق: 11). وفي تشرين الأول/ أكتوبر مضت العربية السعودية أبعد من القرار الذي أخذت في الكويت بإعلان خفض الإنتاج بنسبة 10 في المئة مع فرض حظر تام على شحن النفط إلى الولايات المتحدة (المصدر السابق).


وحتى بعد أن أخذ القرار باستخدام الورقة النفطية، عمدت العربية السعودية إلى تأخير المقاطعة. ومر أسبوعان قبل زيادة الخفض البدائي في صادرات النفط من 2 إلى 25 في المئة. وجاء خالد غولاب بأن مطالبات فيصل المتكورة وإحرازه الواضح عن زج المملكة في أول نزاع لها

158
مع الولايات المتحدة تشير، على ما يبدو، إلى أن الهدف من الخطوات السعودية كان تفادي رفع الأسعار لأن هذا كان من شأنه أن يزيد استعداد الولايات المتحدة (غولاب 1985: 12). 

وإذن فرض الخطر النفطي أخيراً، فإنه هز المجتمع الدولي حيث ارتفع سعر النفط بنسبة تقرب من 70 في المئة (سفنر 1985: 111). وكانت أوروبا واليابان بصفة خاصة تعتمدان على النفط الأوسط بسبب نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان تهديد المقاطعة وارتفاع أسعار النفط أكبر عليهما منه على الولايات المتحدة. وكان من المتوقع أن تسبيب أزمة النفط زيادة أسعاره في تعطيل الاقتصادات الأوروبية، وتؤدي في النهاية إلى ركود اقتصادي عالمي.

لقد جرى التهويل بتأثير المقاطعة النفطية على الاقتصادات الغربية في الإعلام العرب العربي والغربي على السواء. وقادة أولئك، فاخر المراقب أو سلسلة أصغر ولم يترك إلا جريءاً، وغالب


بدأ يُنظر إلى العربية السعودية والدول العربية النفطية الأخرى على أنها تهديد المصالح الغربية. وأصبحت صورة «الشيخ النفطي الجشع» هي السائدة في الولايات المتحدة والغرب عموماً. وردت العربية السعودية على التقارير التي ذكرت أن الولايات المتحدة قد تستخدم وسائل عسكرية للكسر المقاطعة النفطية، بالتحديد من أن العربية السعودية في حال الاضطراب ستستخدم إنتاجها النفط بنسبة 80 في المئة، وإذا لجأت الولايات المتحدة إلى العمل العسكري فسيجري تفجير حقول النفط (المصدر السابق: 111). وفي الأجزاء المشحونة للأشهر الأخيرة من عام 1972 هددت الولايات المتحدة بتعليق شحنات الغذاء إلى البلدان العربية.

وجدت العربية السعودية حقيقة الرخاء، وأتاحت نرويتها الجديدة لتصبح إمكانية تسرع برنامج التحديث الداخلي، وبدأ عهده يرتبط في المخيلة الشعبية بـ "النهضة". وفي حين كان فيصل مصمماً على تطوير الاقتصاد وبناء بنية تحتية كانت لم تزال غير موجودة عملياً في السيناريوهات، فإنه أصبح الآن قادرًا على زيادة الإنفاق الحكومي في الخطة الخمسية الأولى (ورد ذكرها في الفصل السابق). وقام بتوسيع التعليم والخدمات الصحية وتحسين مرافق النقل والاتصالات وتنفيذ مشاريع لتوطين البدو، والأهم زيادة القدرة العسكرية السعودية بشراء السلاح من الولايات المتحدة.

أوجدت النروية الجديدة تناقضاً بالي حلفية الطريق التي بدا الآخرن ينطرونه بها إلى العربية السعودية من الخارج. فإن بلداً ما سكان قليلي العدد ومبعثرين، يتكاً متخفاً من حيث الكفاءات والمهارات ويعتبر اعتماداً كاملاً على الأيدي العاملة الأجنبية، بدأ يتحكيم بميول جديدة هائلة يستخدمها إعلان السياسة والتأثير في الرأي الدولي. يضاف إلى ذلك أن فيصل عمداً أصلاً إلى تسويق البلد بوصفه حامي المقدمات الإسلامية ونصير قضايا المسلمين، لا سيما القضية الفلسطينية، التي ظل بريطاها بأهمية القدس دينياً. ولكن العربية السعودية لم تكن حتى ذلك الوقت شفت هذه الخطابية بأي فعل هام وقد سنتحت الفرصة في عام 1973 عندما استخدم فيصل مورده الحيوي الوحيد في خدمة القضية الفلسطينية، وبالمقاطعة النفطية، تبدي التزام العربية السعودية بالقضايا الإسلامية والعربية على المستوى الدولي.

يونيو/حزيران 1967 المهمة. ولكن النظام السعودي كان معنيًا أكثر بالحفاظ على سيطرته على سكانه، ويقى غير مستعد لإضعاف علاقاته الاقتصادية والعسكرية المديدة مع الولايات المتحدة وأوروبا الغربية.


مواطن الانكشاف: العلاقات السعودية-الأميركية في السبعينيات

سيصور المرء أن بلداً تضاعفت مواردها الاقتصادية في غضون فترة قصيرة جداً من الزمن، سيخرج متصرفًا لأنه في وضع يمكنه من تحويل تروته الاقتصادية إلى نفوذ سياسي وإعلاء مؤتاه على الساحة الدولية. وبعد الحظر النفطي برتزت العربية السعودية فعلاً بصورة مضخمة عن نفسها؛ صورة ذات تركيز وشعبيَّة داخليًا وإقليميًا ودولياً. ولكن إحساسًا أعمق بالانكشاف اقترب بهذه الصورة المضخمة. وكان هذا بداية في علاقة البلد بالولايات المتحدة واعتمادها المتزايد على الإمكانيات العسكرية الأميركية لقاء ثمن باهظ جداً.
كانت المواجهة المكشوفة التي دخلتها العربية السعودية مع الولايات المتحدة خلال الأزمة النفطية، خبرة قصيرة الأمد. وكانت هذه المواجهة تختلف عن النزاع السابق حول الاعتراف بالنظام الجمهوري في اليمن عام 1962. في السبعينيات، كانت خطابية المواجهة بشأن الأزمة النفطية والنزاع العربي - الإسرائيلي تغيّر شريكة كانت تتطور واراء الكواليس. وكانت الولايات المتحدة حتى ذلك الحين تعتبر إسرائيل وشاه إيران حليفيها الرئيسيين في الشرق الأوسط. والمفارقة، أنه بعد الأزمة النفطية برزت العربية السعودية بصورة حليفة محتملة أخرى.

في السبعينيات، أقامت إيران والعربية السعودية تعاوناً غير مكتوب بينهما لتطوير الدول العربية العلمانية والراديكالية، بما ينطبق على المصالح الأمريكية (فريزر 1987). وخلال عام 1974، بدأ أن العربية السعودية عادت إلى الصفقة القديمة مع الولايات المتحدة. وكانت الصفقة تكمن في اكتشاف العربية السعودية. فالعلاقات مع الولايات المتحدة كانت تقوم على التزام العربية السعودية بانتهاء سياسة نفطية معتدلة تتضمن اتفاقيات أسعار النفط لصالح الولايات المتحدة وأوروبا. وجميعاً، تعمل الولايات المتحدة على إحلال سلام شاملي في الشرق الأوسط وضمان تطور العربية السعودية اقتصادياً وعسكرياً والتكتل بالأمن الإقليمي (غوبال 1985). وبيثت هذه الأهداف الثلاثة المبرر الأساسي وراء رغبة العربية السعودية في الحفاظ على علاقة ودية مع الولايات المتحدة.

وكلما بدأ السعوديون معتمديين على هذه الشراكة مع الولايات المتحدة، زادت هذه العلاقة إشكالية بسبب أن أميركا شكلت بشكل لا يقبل اللبس، في عام 1973، الخليفة الرئيسي لإسرائيل التي تهدد أمن العديد من البلدان العربية. وكان هذا انتهاكاً للهدف الأول من الصفقة السعودية - الأمريكية، وهو العمل من أجل سلام عادل في الشرق الأوسط. لم يكن بقدر العربية السعودية أن تقيم تحالفًا سافراً مع الولايات المتحدة من دون أن تثير عداوات (لفظياً وحقيقة) من جانب عدة دول عربية مجاورة. ففي السبعينيات، كانت ليبيا وسوريا والعراق واليمن الجنوبي تولد خلافية معادية للأمريكية موجهة مباشرة ضد الولايات المتحدة بالدرجة الرئيسية. وبنثر هذه الأنظمة، فإن ارتباط بلد مسلم ذي ثروة نفطية ضخمة بالأمريكية الأمريكية التي تدعم التوسع الصهيوني على حساب العالم العربي. كان مرفوضاً. وأثارت العلاقة

(1) دار نزاع سابق مع الولايات المتحدة حول اليمن في أواخر السبعينيات. للاطلاع على تاريخ موجز Halliday للعلاقات السعودية - الأمريكية، انظر: هاليداي 1982: 128.
السعودية. الأميركية غضبت الأنظمة التورية وكراهية الجماهير العربية في أواخر السبعينيات.

وزاد اكتشاف العبرة السعودية لتهجومات هذه الأنظمة التورية حتى أكثر من ضرورة توجه البلاد إلى الولايات المتحدة طلباً للحماية وشراء كميات ضخمة من الأسلحة من المصدر نفسه. وإذا كانت غالبية هذه الأنظمة تتحالف مع الاتحاد السوفيتي الشيوعي، فقد بدأ أنه ليس لدى العبرة السعودية من خيار سوى الاستمرار في تنمية شراكة حذرة لكنها ثابثة مع الولايات المتحدة.

بقي اكتشاف العبرة السعودية، متضامناً مع التنافسات الكامنة وراء ارتباطاتها بالولايات المتحدة، سمة دائمة من سمات هذه العلاقة. وكان ذلك لأنه «على الرغم من أن قوتها المالية وطابعها الدبلوماسي يتيحان لها أشكالًا مؤكدة من النفوذ في العالم العربي وأبعد، فإن العبرة السعودية بلد شديد الضعف من نواح أساسية ممنهجة». (هاليدياي 1982: 137). وكان الضعف يتجلى سكانياً واجتماعياً واقتصادياً (المصدر السابق) والعربية السعودية، بما هي كذلك، لم تكن قادرة على التأثير تأثيراً جدياً في سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل، حتى بعد المقاطعة النفطية.

وفي الوقت الذي انضم فيصل على مضض إلى المنطقة النفطية العربية في تشرين الأول/ أكتوبر 1973، فإنه كان مصمماً على إنهاء الأزمة النفطية لطمانة واشنطن إلى نياته الطبيعة.


كوفي ضغط العبرة السعودية من أجل إبقاء أسعار النفط منخفضة بتوقيع عدة اتفاقيات اقتصادية عسكرية مع الولايات المتحدة. وفي نيسان/ أبريل 1974 وقع وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان عقداً لشراء ما قيمته نحو 75 مليون دولار من الصواريخ ومعدات عسكرية أخرى ذات صلة (غرايسون 1982: 115). وفي الشهر نفسه، وقع الأمير عبد الله، قائد الحرس الوطني، اتفاقيته حتى أكبر تنصع على تقديم الولايات المتحدة مساعدتها في تحديث هذه القوة

163


رجل الملك فيصل في عام 1975، قبل أن تتطور اللجان العسكرية والاقتصادية السعودية الأميركية المختلفة إلى شراكة مكتملة النضج. وكان انتقاله في 25 آذار/ مارس ابن أخه الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز. وبعد كثر من التكهنات بشأن دوافع القاتل، أبلغت الحكومة مواطنها أن الاغتيال كان "عملاً فردياً". تذكرت غالبية السعوديين أخا القاتل، الأمير خالد

---

(1) كانت طائرات "أف-5" التي بيعت للعربية السعودية تنتقلي إلى معدات وأجهزة طيران هامة، الأمر الذي جعل من المنذر تحديتها لاحقاً لتنفيذ مهمات قتالية. انظر لونغ 1985: 26 ؛ وكوردسمان 1984: 205 و 207. 164

كان الاغتيال عملاً تأريحاً شخصياً، وحدث في وقت بدأت العربية السعودية تعيش التوتر بين خطاب الأصالة الإسلامية الذي روجه الملك فيصل وبين التحول الهاي والتكنولوجي المتزايد ارتباطاً بالثروة النفطية. وأسفر تناقض آخر عن تنافس هذه الخططية الإسلامية مع الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا الأمريكية والخبراء العسكريين الأميريين لتدريب القوات وتحقيق التنمية الاقتصادية بصورة عامة. وبعد التوثيق من أن القاتل، الأمير فيصل، كان يكمل قواه العقلية، أحل علماء الرياض قطع رأسه. ونفذ حكم الإعدام في الساحة العامة في الرياض بعد صلاة الظهر يوم الجمعة (المصدر السابق: 17 - 31).

عمد آلملك خالد (1975 - 1982)

دُفَّ خالد (ولد عام 1912 ملكًا في غضون ثلاثة أيام بعد موت فيصل، وسمي أخوه غير الشقيق فهد وليًا للعهد. وخلال السنوات الثمانية من عهد خالد (1975 - 1982) بدأ التناقض يتبين بين خطابية فيصل الإسلامية من جهة والرخاء والنزعة المادية المتعاظمة في المجتمع السعودي من الجهة الثانية.

ولعل عهد الملك خالد كان سيخلو من الأحداث المثيرة لولا عوامل خارجية عدة كانت لها تداعياتها في العربية السعودية. أولاً، إن النشوة الإيرانية عام 1979 مارست تأثيرها في التطورات السياسية الداخلية وألمت نشاطية إسلامية في العديد من البلدان العربية ومنها العربية السعودية. ثانياً، عمل الغزو السوفيتي لأفغانستان على تفتيت المخاوف السعودية من الشيوعية وتوفير المبرر وراء الشركتة المتينة مع الولايات المتحدة. ثالثاً، وضع الحرب الإيرانية - العراقية في التحديات نزاعاً إقليمياً على مهرة من الحدود السعودية. وتعاليم خطر هذا النزاع على العربية السعودية، ولا سيما عندما أخذت جمهورية إيران الإسلامية تنتقد وتفسح
بانتشار النشاط الكامن من أساـس العلاقات الأمريكية: تعرض النظام السعودي لتهجّمات بـ
مسلـم آخر له قدرات اجتماعـية وعسكرـية كبيرة تفوق قدرات العـربية السعودية. وبدأ أن
مواطـن اكتشـاف العربية السعودية ازدادت تفاوتاً في وقت كانت البلاد لم تزال تتمتع بفترة من
الرخاء. وسـبـدًا بالمشهد الداخلي:

في الوقت الذي كانت الابتكارات التكنولوجية في عهد فـيصل تنال من حنين إلى أخرى تركيـة
كبار العلماء، فإن الثروة المفرطـة وفساد الفئة الحاكمة وتعزـير المشهد العام في العربية السعودية
واتـساـع التردية الدينيـة في الجامعات التي فتحها الملك فيصل في أوائل السبعينيات، تسببت
مجتمعة، في عودة "الأخوان". إذ كان فيصل مسؤولًا عن إشارة نظرة إسلامية إلى العالم مع
انهاج سياسة خارجية إسلامية، ولكن الأثنتين عملتا ضد شرائته المتـنامية مع الولايات
المتحدة، وجعلتا سلوك أفراد الأسرة الملكية، البعيد عن الإسلام، قضية أكثر إشكالية. لقد كانت
سياسته الإسلامية سيفًا دا حديث، فهي عززت موقع العربية السعودية داخليًا ودوليًا، لكنها
استنفدت انتقادات كhma لاح ما يُعدُّ انتهاكاً للمثل الإسلامي الأعلى.

خلال موسم الحج في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1979، كان حصار جهيمان بن محمد
العتبي وـمحـمد بن عبد الله التقطاني مع العديد من الأتباع السعوديـن وغير السعوديـن في
المسجد الكبير في مكة، المظهر الأسـطـر لما كان يعتقـم من توتر في العربية السعودية. وكان
قائد العملية جهيمان واعـطاً نشاطًا غامـر بإبـادة آرائه حول الحكم الإسلامي العادل والعلاقات مع
"القوى الكافية" والنزعـة المادـية والفـساد والعلاقة بين العـلما ووـالسلطة (بوكان 1982 : 122).
وأعلن أن زعيم الحركة الروحـي، التقطاني، هو "النهدي الحقيقي" المنتظر، مطالباً بـعـزل الأسرة
الملكية الفاسدة. وحين قام بـتنظيم عملية الاعتصام كان كـسب نحو 200 شـخص من الأتباع
وضمت المجموعـة زواـجات وأطفالاً كانوا يـشاركون في الحج خلال موسم 1979 الذي
صادف وقوعه في سنة 1400 هـ، جهيمان طالبًا في "الجامعة الإسلامية" في المدينة حيث كان نفوذ جماعة "الأخوان المسلمين"
المصرية قوياً. وكان فيصل، في محاولته إضعـف عـبد الناصر في السيناريات، رحب بأعضاء
جماعة "الأخوان" الذين أخذوا ينشطون في العديد من الجامعات الدينية السعودية المفتوحة
حديثًا.


كانت رسالة المتمردين السياسية طغى عليها إعلانهم أن زعيم الحركة الروحية محمد القحطاني هو "المهدي المنتظر"، الذي كان مفهوماً خلافياً في الإسلام البيني. واستمرت الحكومة هذا الخلاف للنيل من المتمردين ومن أعلن نفسه "مهدئهم" (القحطاني 1988: 43). وشرع كبار العلماء في إجراء مناظرة لأهوتية حول صفات المهدئ الحقيقي طامسية بذلك.

(1) في عام 1927 انتقد العلماء ابن سعود إكراهه من الزواج. انظر الفصل الثاني.
(2) أنفي حصار المسجد بمساعدة قوات أردنية ومستشارين أمريكيين وفرنسيين. لمزيد من التفاصيل، انظر أبوذر 1988: 165- 167.
المعارضة السياسية التي كانت في أساس التمرد. وخلص العلماء إلى أن التحطاني لا يمكن أن يكون المهدى المنتظر حقاً مبررًا بذلك إخماد الحركة بوحشية داخل المسجد، وهو حرم مقدس ومنع سفك الدماء فيه حتى قبل ظهور الإسلام. وما إذا كان التحطاني هو "المهدى" أو لم يكن، فذلك خارج موضوع هذا الكتاب. وما لصلة بالموضوع هنا هو كيف أن المناضلة اللاحونية بين العلماء السعوديين ساعدت الحكومة في صرف الانتباه بعيداً عن حجم المعارضة السياسية التي كانت في أساس حصار المسجد. ولكن الفئة الحاكمة والسعوديين الاعتياديين على السواء، أدركوا أن التمرد لم يكن حول "المهدى" مزيف أو حقيقي. بل كان حول تطور أسفر عن نتائج اجتماعية متناقضة وتواترات لم تكن تتوقعها حكومة رغبت لواء التحديث في مجرى توفير أرضية جديدة للشرعية. فلقد كان حصار المسجد جزءًا لا ينفصل من التحديث المادي إبان السبعينيات، وهو كان يقتضي سياسية استناد إلى خطابية دينية أصبحت أكثر قفصًا برعاية مراكز العلم الدينية وفي ظل التربية والتعليم. وكان جهيمان يتميز عن فيصل الدوشي، المتمرد الأخواني في عام 1976، بتربيته الدينية وعلماء اللاحوني الذين تطوروا خلال فترة مديدة من الدراسة في جامعة إسلامية فتحتها الدولة السعودية.

التوتارات الاجتماعية نفسها التي أدت إلى حصار المسجد أخذت تتبدى في المنطقة الشرقية حيث يعيش غالبية الشيعة السعوديين. وكان معظم الشيعة في العربية السعودية يعملون في حقول النفط ولكنهم كانوا يواجهون أشكالًا مختلفة من التمييز(1). وحقيقية أن المذهب الوهابي وصم الشيعة بالزندقة. لم تفعل سوى مقاتلة التمييز الذي يبشر في واقع أن غالبية الشيعة كانوا فلاحيين في مجتمع ينظر باحتقار إلى مهنة كهذه. وكان الشيعة يتعرضون للتمييز لا لأنهم شيعة فحسب، بل لأنهم يشكلون طائفة تعد "شذوذًا" في الجزيرة العربية (الرشيد 1988: ١٣١).

وظهر تناقض آخر في السبعينيات، إذ كانت الصناعة النفطية تتركز في منطقة الشيعة حيث يساهمن بالقسم الأعظم من الأيدي العاملة شبه الماهرة وغير الماهرة ولم يترجع هذا إلى فرض اقتصادية وتعليمية واجتماعية أفضل للسكان. فخارج معسكرات "أرامكو" لم تجذب غالبية الشيعة فائدة من التوسع في الخدمات الصحية والاجتماعية. وهم كانوا ممنوعين من مهن معينة

(1) حول التمييز ضد الشيعة انظر الخسن، كانون الثاني/ يناير 1993.
مثل الجيش ومؤسسات التعليم، كما كانوا ممنوعين من إقامة مجالس العزاء بناءة عاشوراء في
العمل ومن بناء مساجدهم الخاصة. وبراعة فيصل، أصدر العلماء الوهابيون عدة فتاوى تدين
الشيعة. وذهب بعض العلماء إلى حد الإعلان أن اللحم المذبوح على أيدي جزائريين شيعة غير
صالح لاستهلاك المسلمين. ولم تفعل الدولة شيئاً يذكر لإسكات الآراء الدينية المتطرفة ضد
الشيعة (الحسن 1993).

حوَّلّ نجاح الثورة الإيرانية في عام 1979 العديد من الناشطين الشيعة إلى متمردين
"إسلاميين". وفي عام 1979، نزل الشيعة إلى الشوارع بناءة عاشوراء التي ينこんにちは فيها عادة
مقتل شهيدِهم الحسن والحسين، وهي مارسة حظرتها الدولة واقتصرت على المجال الخاص منذ
ضم الأحساء إلى دائرة السلطة السعودية في عام 1913. وأرسلت الحكومة 40 ألفًاً من أفراد
الحرس الوطني لتفريق المشاركين في مراسم العزاء.

في عام 1980، نظم الشيعة تظاهرة كبيرة وسلسلة من الإضرابات في القطيف احتفالاً
بالمكرر الأول لعودة الحمدين إلى إيران. وأصبح هذا مناسبة للتعبير عن الاستياء من وضعهم
كمواطنين من الدرجة الثانية في العربية السعودية. وقام أفراد الحرس الوطني بتفريق
المتظاهرين قاتلٌن العديد من المشاركين. وذكر الشيعة هذا الحدث بوصفه «انفاضة المنطقة
الشرقية» (الشيخ الدخيل والزائر 1981). وبدأت "منظمة الثورة الإسلامية" الشيعية السريّة
التي تبنت الطائفة في المنطقة الشرقية، تبرز بوصفها المثقل السياسي للطائفة بعد الأحداث
البتروال والمعادن" (الدمام) وعمال الحقول النفطية. وبدأت المنظمة تبّث إذاعات إيرانية في
محاولة الوصول إلى أفراد الطائفة في العربية السعودية. وفتح مكتب إعلامي في طهران لتنسيق
النشاطات السياسية (1). وأدرك الملك خالد الطبيعة المتفجرة لهذه المعرّاضة الجديدة التي أكتسبت
زخماً نتيجة الخطابية المعادية للسعودية التي اعتمدتها جمهورية إيران الإسلامية. وبعد سلسلة
من المواجهات الدموية مع الشيعة انتقلت قيادتهم إلى المنفى.

بعد اضطرابات 1979 و 1980 اعتمدت الحكومة السعودية معالجة برغماتية ووعدت
بسلسلة من الإصلاحات الاقتصادية. واعترف المسؤولون الذين زاروا المنطقة بعد هذه الأحداث

(1) مقابلة مع حمزة الحسن، كانون الثاني 1993.

كان حصار المسجد في مكة والتحركات الشيعية، مظاهر للتوترات التي كانت تعتمل تحت السطح خلال عهد الملك فيصل وتبدلت خلال عهد الملك خالد. وكانت التفاوض الأولي تمثل نقطة بعض العلماء الوهابيين على التحول المادي للمجتمع السعودي وخطر فقدان القيم الإسلامية. وسط تمرد جهيمان البدو على التناقض بين الخطيبة والهوية الإسلامية للدولة السعودية وعلاقاتها المديدة مع الغرب. وانتقلت المعارضات الشيعية نتيجة التوزيع غير المتساوي للفروض النفطية التي تنتج في المنطقة الشرقية منذ عام 1968. وكانت الاضطرابات حصلت في الثورة الإيرانية التي بدأت قيادتها تهاجم السعودية بسبب الفساد والتحالف مع الغرب. وفي المقام الأول أنها طالت في دعوى القيادة السعودية بحماية الحرم في مكة والمدينة. وقد حدث حصار المسجد والتحركات الشيعية في وقت بدأت الخطبية السياسية الإسلامية تضعف الاتجاهات السياسية اليسارية والقومية السابقة في العالم العربي.

على مستوى الفئة الحاكمة، اتسم عهد الملك خالد بالاستقرار الناجم عن توزيع فيصل للمهام وال นอกจาก القيادة في عهد الملك خالد الذي استمر ثماني سنوات، توزع مواقع المجموعة التي كثيراً ما يشار إليها في الأدبيات الغربية على أنها مجموعة «السيدة السديرية»، كونهم أبناء أم سديرية، ليصبحوا قوة سياسية بين الفئة الحاكمة السعودية. وكانت المجموعة تضم فهماً (ولي العهد في عهد خالد) وسلطان (النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزعيم الدفاع والطيران) ونايا (وزير الداخلية) وسلمان (أمير الرياض) وعبد الرحمن (نائب وزير الدفاع والطيران من عام 1962 وأحمد (نائب وزير الداخلية) وتركياً (نائب ووزير الدفاع حتى عام 1984). واستمرت هذه المجموعة بالمناصب الحكومية الحساسة وتحدد الدفاع والداخلية. وفي عام 1982، توفي خالد بعد مرض لم يهلل طويلاً. وبوفاته جرى تأكيد الأخوة السديرية في مناصبهم الوزارة في عهد الملك فهد. في فترة الملك خالد، تولى ولي العهد فهد مسؤوليات أكبر بينما أصبح خالد شخصية مراسيمية. وعزي هذا إلى صراع على السلطة داخل الأسرة الملكية السعودية في فهد وأخواته.
الأشقاء من جهة. وخالد وأخوه آخر غير أشقاء من الجهة الثانية وخاصة عبد الله قائد الحرس
الوطني. ولكن هذا الصراع الذي نشب في أواخر السبعينيات لا يقارن بالصراع بين فيصل
وسعود في الستينيات. وبدا أن خالداً وفهدًا يتعارضان على نحو لا يهدد بقاء الفئة الحاكمة. ولم
يُعثِّهم اعتلال صحته خالد في تقوية موقعة داخل الأسرة الملكية، وأقر بدوره التشريفي ملكًا
مراسيمياً وترك تصريف شؤون الدولة وأتخاذ القرارات الكبيرة لأخوه فهد.
جدول رقم_ 2
حجم الصادرات النفطية وإجمالي الناتج المحلي: 1982-1997
(بلايين الريالات السعودية)

<table>
<thead>
<tr>
<th>السنة</th>
<th>إجمالي الناتج المحلي</th>
<th>حجم الصادرات النفطية</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1982</td>
<td>415.2</td>
<td>80.6</td>
</tr>
<tr>
<td>1983</td>
<td>372</td>
<td>56.5</td>
</tr>
<tr>
<td>1984</td>
<td>351.4</td>
<td>47.9</td>
</tr>
<tr>
<td>1985</td>
<td>313.9</td>
<td>35.4</td>
</tr>
<tr>
<td>1986</td>
<td>271</td>
<td>52.6</td>
</tr>
<tr>
<td>1987</td>
<td>275.4</td>
<td>43.0</td>
</tr>
<tr>
<td>1988</td>
<td>285.1</td>
<td>55.3</td>
</tr>
<tr>
<td>1989</td>
<td>310.8</td>
<td>56.1</td>
</tr>
<tr>
<td>1990</td>
<td>391.9</td>
<td>47.4</td>
</tr>
<tr>
<td>1991</td>
<td>442</td>
<td>96.6</td>
</tr>
<tr>
<td>1992</td>
<td>461.4</td>
<td>103.7</td>
</tr>
<tr>
<td>1993</td>
<td>443.8</td>
<td>101.3</td>
</tr>
<tr>
<td>1994</td>
<td>450.3</td>
<td>99.9</td>
</tr>
<tr>
<td>1995</td>
<td>450.7</td>
<td>100.0</td>
</tr>
<tr>
<td>1996</td>
<td>511.3</td>
<td>103.0</td>
</tr>
<tr>
<td>1997</td>
<td>547.4</td>
<td>99.6</td>
</tr>
</tbody>
</table>

المصدر: صندوق النقد الدولي 1999-2008 \( 779 \).
عمد املك فهد (1981)، التحقق

ورث ولي العهد فهد (ولد عام 1921) العرش بعد وفاة خالد في عام 1982. كان الانتقال سلسًا لأن فهدًا كان أصلًا تولى ممارسة سلطات واسعة خلال السنوات الأخيرة من حكم خالد. وأحكم الملك مع أخوته الأشقاء السنة سيطرتهم على المناصب الحكومية الحساسة وخاصة الدفاع والداخلية. وأصبح أخوهم غير الشقيق عبد الله قائد الحرس الوطني، ولي العهد والناهبين الأول لرئيس مجلس الوزراء، وفي عام 1986، خلع الملك فهد على نفسه لقبًا جديداً هو «خادم الحرمين».

تزامنت سنوات فهد الأولى على العرش مع هبوط حاد في أسعار النفط الذي بلغت أدنى مستوياتها في عام 1986. إذ أخفض سعر النفط من 32 دولارًا للبرميل إلى 15 دولارًا في أوائل الثمانينيات متسبباً في تناغم عائدات النفط السعودي بنسبة تزيد على 30 في المئة. وفي غضون ستة أشهر، بين كانون الثاني/يناير وفبراير/يوليو 1986، اختلف أسعار النفط من 26 دولارًا للبرميل إلى 8 دولارات للبرميل (بيركس Birks وسينكلير Secombe).

لم يعد بالإمكان اعتبار الرخاء الذي عرف في عهدي فيصل وخالد من المسلمين في وقت كانت الحكومة السعودية تحاول التكيف مع هبوط أسعار النفط الذي أتى نتيجة النقص في الطلب نتيجة التحول الاقتصادي إلى سلعة واحدة. وكثيرًا ما كانت سنوات فهد الأولى على العرش توصف بأنها عهد التحقق، على النقيض من سنوات الرخاء في عهدي فيصل وخالد.

في الثمانينيات، اتّجه تجديد البنية التحتية للبلد بوتيرة أبطأً وفقاً للعوامل الاقتصادية والسياسية، وكانت العربية السعودية تواجه عجز الميزانية بالسلب من الاحتياطيات والｴقترحات من الاقتصاد المحلي (غوز 1948؛ 198). وأوقفت مشاريع مفرطة في الطموح أو صرف النظر عنها في مواجهة مجازيل اقتصادية متزايدة. وخلدت عقدة التنمية الرايحة (1985-1990)، الإتفاق على الهياكل الإرتكازية، وحوت مزيدًا من المواد المالية نحو تنمية المواد الاقتصادية والبشرية، وبلغ متوسط النمو الحقيقي لإجمالي الناتج المحلي 4.1 في المئة سنويًا.
وهي نسبة تقل بكثير عن الـ7.5 في المئة المتوقعة. وانخفاض الإنفاق على المشاريع الإنشائية الاستعراضية بنسبة 8.5 في المئة. وصرف النظر عن مشاريع بناء مصنفة نفطية في القصيم ومطار دولي جديد في المنطقة الشرقية (فاسيديف 1986: 143). وبيت عمار مكتبة عالية أُخِذ بناها في المدن الكبيرة شاغرة تحاكي هبوط الطلبة وأخفاض العائدات وتباطؤ النمو الاقتصادي. وكان قطاع البناء الأشد تضرراً بين قطاعات الاقتصاد، كما انعكس ذلك في انخفاض عدد العمالة الأجنبية المستخدمين فيه (بيركس وسيمكوب وسنكلير 1988: 268).

ولكن الحكومة لم تكن تريد تخفيض الإنفاق على الخدمات العامة والرعاية الاجتماعية للسكان الذين اعتادوا المستشفيات المجانية والتعليم المجاني والمحافظ الاجتماعي. وفي حين وصلت الحكومة دعم الزراعة، فإن أجور الكهريه والغاز ارتفعت في عام 1985 بنسبة 70 في المئة لأول مرة منذ عام 1972 (فاسيديف 1984: 1454). يبدأ السعوديون الاعتياديون بدون تذمرًا من دفع فاتورة غاز وهاتف وكهرباء باهظة. ومع انسحاب السياحة النقدية لم تكن إلا قلة من السعوديين قادرة على قضاء إجازات ترفيهية في الخارج أو دفع أمثال سلع استهلاكية كانت تغطي السوق. ويتذكر السعوديون الثمانينيات بأنها عقد تكشف غريب على الجيل الذي ازدهر خلال الطفرة النفطية في أواخر السبعينيات.

ولم يكن مقدور الحكومة أن تفكر في فرض ضرائب على السكان وقت انخفاض العائدات النفطية خوفاً من العاقبة. وثبتت فكرة أن يدفع المواطن ضريبة فكرة مرفوضة بين السكان الذين اعتادوا تلقى الإعانات من الدولة بعداً من المساهمة في الخزينة العامة. وفي محاولة مستميتة لزيادة العائدات، أعلنت الحكومة نيتها فرض ضريبة دخل على العمالة الأجانب، وهو قرار تم إلغاؤه عندما هدد وافدون ذوي مهارات عالية بالاستقالة. وبذلًا من ذلك، فرضت رسوم أعلى على الإقامة وتأشيرات الخروج لتحقيق موارد مالية إضافية. وطوال عقد الثمانينيات قدر أن نحو 30 في المئة من سكان العجمي السعودي كانوا من الأجانب بينما كان الوافدون يشكلون 40 في المئة من القوى العاملة (كورد سمان 1997: 71).

بدأت العربية السعودية تشعر بضغط النمو السكاني العالمي مجدول ولدات يقدر بنسبة 78.9 في المئة ومعدل خصوبة متوسطة 6.4 طفل لكل امرأة (المصدر السابق: 31). كان سكانها في تلك الفترة، وما زالوا، من أسرع السكان نموًا في العالم. وإذا استمر معدل الولادات على هذا
المستوى فالمتوقع أن يبلغ عدد سكانها 22 مليوناً نسمة في أوائل القرن الخادى والعشرين (المصدر السابق : 34). وتقل أعمار نحو 50 في المئة من السكان عن السادسة عشرة بما يجعلهم من أكثر السكان شباباً.

واستنفز عدد التلاميذ والطلاب في المدارس والجامعات طاقة النظام التعليمي على استيعاب الطلاب، جادداً في الوقت نفسه من أجل الحفاظ على مستوى تعليمي معقول. واستمر طلاب التعليم العالي في تلقي منح شهيرى سخية (تبلغ 300 دولار شهراً) صدر القرار بدفها في السبعينيات كحاكي لزيادة عدد المسجليين في معاهد التعليم العالي (موسى 2000 : 24). وتزايد الضغط على الخدمات العامة والبنية التحتية مع تنامي الطلب على العمل في اقتصاد لم يتطور بما فيه الكفاية لاستيعاب العدد المتزايد من السعوديين المتعلم الشباب المطلحين إلى تأمين وظائف برواتب عالية.

بقيت الحكومة أكبر رب عمل مستخدمة ما يربو على 4 في المئة من القوى العاملة. واستوعبت الصناعة والبناء وال İş 25 في المئة من الأيدي العاملة بينما كانت الخدمات توفر فرصة لـ 20 في المئة. وكانت 5 في المئة فقط من القوى العاملة من خرطة في الزراعة.


1) منذ الثمانينيات حاولت العربية السعودية تقليل اعتمادها على العمال العرب واستعضا عنهم بعمال من جنوب آسيا. ولكن هذه الاستراتيجية لم تكن مكثفة في بعض القطاعات (مثل التعليم). حول العمال اليمنيين في العربية السعودية وازمة الخليج في التسعينيات، انظر أوكروهليك وكونج Okruhlik and Conge 1997.
شجع هبوط العائدات السعودية في الثمانينيات، الحكومة على ترويج خطابية "السعودية".


في عقد الثمانينيات، بقيت مشاركة المرأة السعودية في الاقتصاد مشاركة محدودة وسط مناقشات حول ما إذا كان عملها سيساعد اعتماد البلاد على الأيدي العاملة الأجنبية. وخلال هذه الفترة، تولى نساء سعوديات بالفعل وظائف في المصارف التي أنشأت حديثاً للنساء فقط وفي الخدمات والتعليم. وقام أفراد النخبة الثرية بتوزيع رؤوس أموال في استثمارات صغيرة تقتصر على النساء. وانتشارت المنتاج والمراكز الرياضية وصالات التجميل ذات الملكية والإدارة
 النساء في الأسواق الشهيرة في الرياض وحده. وقدر أن 111 امرأة كن في عام 1980 يتلقين رواتب من الحكومة لعملهن بالدرجة الرئيسية في مجالات التعليم والصحة والجهاز الإداري والخدمات الاجتماعية (محري 1987). وكانت هناك حتى مناقشات حول السماح للمرأة بقيادة السيارة لتسهيل حركتها وتقليل اعتمادها على سائق أجنبي في تنقلها؛ ترف كانت بعض العائلات السعودية تستغلها، عنه في زمن ارتفاع تكلاف المعيشة ونتناقص النقود المتاحة.

بدأت نقاشات حول حق المرأة في العمل تظهر في الصحافة السعودية في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات. ودافعت الصحافة سهيلة زين العابدين عن فرض تدابير صارمة على الأعمال التي ينبغي السماح للمرأة بمزاولتها داعية إلى إعداد مناهج هدفية خاصة للنساء. وأثار هذا ردًا من صحافيتها أخرى في خيبر السقات الذي دعت إلى تعليم المرأة وتوسيع فرص عملها إلى النشاط الاقتصادي الأول (محري 1982). (5) 05).

لقد أخفق غموض الأفاق الاقتصادية في أواخر الثمانينيات في تغيير المواقف وتفادي القيود الاجتماعية والثقافية على مشاركة المرأة مشاركة كاملة في الاقتصاد. وفي الحقيقة أن تنامي دور المرأة وظهورها في المجال العام أديا إلى تشديد الضوابط وضح البيضة من جانب الشرطة الدينية. وفي الثمانينيات، كان من الشائع أن يقوم «المطاوعة» بدعم مرافق خدمية للنساء فقط بحثًا عن «تصورات لا أخلاقية» وتحقيق إمكانية البلاستيكية التي تثير، فلا رأس آخر: ذمار نسبت أجراءات الفوضى في واجهة المنتج. ومنع استخدام المودة استجابة لانتقادات الدورات الدينية. وفي حين أن الكثير من المراقبين كانوا يتوقعون توسيع الحرية في عهد فهد الذي اعتبر ملكًا تقليديًا، فإن الاضافية الاقتصادية لم تكون كافية لتفادي القيود المفروضة على المرأة أو زيادة دورها في الاقتصاد. وقد جرى السكوت على سيدات الأعمال اللواتي حققن نجاحًا باهرًا ولكنها وصلن الاعتماد على أقاربهم في كل تعلقاتهم مع الأجهزة الإدارية الرئيسية. وبقيت بعض الاستثمارات النسائية تعمل وسط إحباط وخوف من تعرضها ذات يوم للإغلاق.

كان سكان المدن حديثي التحضر هم الذي شعوا بوظيفة الفرص المحدودة، وارتفاع تكاليف المعيشة. وأخذت الشباب من السعوديين المتعلمين الذين ليست لهم صلات وثيقة بالشبكات

(1) انظر الترجمة 1986 عن نساء النخبة في جهة في الثمانينيات.
المملكة أو الجهاز الإداري، يدركون أن العمل بعد التخرج من الجامعة ليس أمرًا مفروغًا منه. واكتشف بعض السعوديين الشباب أن الشهادات الجامعية في الفروع الإنسانية ومن الجامعات الدينية لا تعدهم للعمل في الصناعات البتروكيميائية أو الخدمات ذات التخصص العالي. وبدأ الانقسام بين الذين كان تحصيلهم في معايير التعليم العالي المحلي والذين عادوا بشهادات من جامعات أجنبية، يشكل مصدر سخط واستياء. فالسعوديون المتعلمون مقيمين كانوا يواجهون نحو وظائف ذات درجات متذبذبة في الخدمة المدنية برواتب متواضعة، أما العائدون من جامعات أمريكية وأوروبية فاكتسبوا فيها مهارات تقنية ولغوية، فكان الأرجح أن يتوغلوا وظائف ذات رواتب عالية في وزارات هامة.

في الثمانينيات، بدأ سكان جدد الذين تكفلوا برواء سكان الحجاز في التعليم والمعرفة يلحقون بالركب. وفي حين أن النخبة التجارية الحجازية كانت في السبعينيات أول من اجتذب الفروض الاقتصادية الجديدة برعاية الملك فيصل، فإن التجديدين المتعلمين حديثاً أخذوا يطالبون بفقر أوسط في عهد فهد. وفي عام 1986 أعقى وزير النقل الحجازي، محمد زكي يماني، من منصبه بعد سنوات عديدة من الخدمة ليبرع عزله نوايق الإندماج بين النخبة الحجازية التي اعتادت أن تكون لها علاقات وثيقة مع الحكومة، يفضل خبراتها الثمينة يوم كانت البلاد ذات موارد بشرية محدودة (1). وكان التشغيل في الوزارات المختلفة يجعل التحول نحو أيد عاملة من نجد، المنطقة التي، تاريخياً، كانت أوثرت ارتباطًا بقيام حكم آل سعود من أي منطقة أخرى في البلاد. وتسببت الموارد المتاحة في احتدام المنافسة بين مجموعات في المجتمع السعودي للفوز بعقود وعمولات وعطلاء حكومية أخرى.

شهدت الثمانينيات بداية انقسامات اجتماعية واقتصادية حادة، إذ كانت النخبة الثرية تتألف من دائرة محكمة من أفراد الأسرة الملكية ونبلاء القبائل وطلبة من السعوديين المتعلمين الناجحين تجارياً. وكان عموم السكان المتزايدان عداً، معوقين. برغم ارتفاع مستوياتهم التعليمية، بإمكانيتها المحدودة في الوصول إلى الدوائر النافذة نتيجة الأصول المحلية أو اندماج

__________________________________________________________________________

1985 Heller and Safran

(1) عن الموظفين السعوديين في الخدمة المدنية ،انظر هيلر وسفران 1988

(2) عن يحيى آل سعود .انظر الفحصandi 1988
الإرباطات الأسرية أو التهميش الاجتماعي. وكان البدو المتمدنون حديثاً وفلاحو الواحات التقليديين ينتمون إلى هذه الفئة من السعوديين المهمشين سياسياً واقتصادياً. وساهم ارتفاع مستوى التعليم بين هذه الشريحة وتطالبها في تعزيز وعيها موقعها المستضيء. وكانت هذه الفئة الأشد تأثرًا ببوطة الأزمة الاقتصادية.

لم يكن من المستغرب أن يستجيب بعض السعوديين الشباب من هذه الفئة للخطاب الداعين إلى شجب الغرب والنزعة المادية والفساد والنزعة الاستهلاكية. وكانت منظمات دينية غير حكومية بدأت تنتشر في أواخر الثمانينيات. وأخذت خطابات إسلامية قوية تروج العودة إلى الأصالة الإسلامية. تجذب أشخاصًا باتوا مُحبين بالتحديث المبتوح والامساواة وفساد الحكم والعلاقات الوثيقة مع الغرب الذي بدأ يشكو على نحو متزايد بوصفه مصدر الشرور الاجتماعية والاقتصادية. وبالإضافة إلى الغرب، حملت قطاعات من المجتمع السعودي نفسه مسؤولية المشاكل الاجتماعية التي نشأت في ذلك الوقت مثل تعاطي المخدرات والإدمان على الكحول، وهي أمراض اجتماعية لم تُشئ علناً قط في السابق. بدأ يُشار إلى أفراد النخبة ذوي التعليم الغربي على أنهم لبراليون/علمانيون اعتبروا مسيحيين في الإعلام ومناصب حكومية حساسة. وأخذ كتاب ومقاطع سعوديون معروفون يتناولون العلاقة بين الإسلام والتحديث على صفحات الجرائد السعودية. وتضمنت كتابات الشيخ عواد الفناني وسعود العامدي تهجمات ضد من يُسمون لبراليين أتهموا بإضعاف الأساس الإسلامي للعربية السعودية (الصفدي)، غفل من التاريخ؛ 1998 فندي (87:88). وكانت مثل هذه المناظرات شعبيتها بين الكثير من السعوديين الذين رأوا في الإسلام حلاً لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة. وبينما كان تأكد فقط الحياة التقليدية يتسارع، انطلقت نواقضها ساخنة حول مستقبل البلاد وتراثها الإسلامي وعلاقتها مع الغرب في الصحافة والمساجد والندوات والمجالس الخاصة.

في أواخر الثمانينيات، ظهر انقسام أوضح بين أنصار العودة إلى التقاليد والأصالة وتطبيق القيم والأخلاق الإسلامية تطبيقًا أشد صرامة من جهة، وبين الطامحين إلى قدر أكبر من الحريات والانتفاح على العالم الخارجي والانتماس في الحداثة من الجمهورية الثانية. ولم يكن من النادر أن تجد أفراد العائلة السعودية الواحدة متقدمين بين هذين المعكسرين. وكان القريب يُسمى "مطاوعاً" إذا احتضن خطابية الجماعات الإسلامية الجديدة وخطابها. وكان يُعرف من وعده
المستمر بين أفراد العائلة واستماعه إلى أشرطة كاسيت دينية ودأبه على شجب الثقافة الموسيقى والرقصات الجماحية، وفرضه قواعد أخلاقية صارمة بين النساء، من أهله. وشهدت الحقيقة ظهور جيل جديد من المتعلمين والمجتمعين الذين عينوا أنفسهم "مطاوعة". وكان هؤلاء يتعاطىون مع أفراد من عائلاتهم أقل محافظة. اتصالهم، ومنسجج، مع مثقف ناشئ، ودائم شخصي لا يطلب بالتدخل في حياة الآخرين. كان التسامح والتسامح بين لتماسك ودية. وكان بعض أفراد الجيل الأقدم الذين أفادوا من الاعتراف النفطي في السبعينيات ينظرون بحيرة إلى النزعة الراديكالية التي استبديت بأطفالهم في الثمانينيات. وفي حين أن هذا الجيل الأكبر لم يشكك الذات يوم في تدبره، فإنهم لم يكن يتوقع هذا التطور.

العربية السعودية والسباق الخليجي في الثمانينيات

تزامنت هذه الخلافة عن اندماج الأفكار الاجتماعية والإنسانية الواجهة مع استمرار اختراعات
العربية السعودية في السياسة العربي الإقليمية. فانضمت على مضض إلى الجهود العربية لعزل
مصر بعد توقيع "اتفاقية كامب ديفيد" للسلام مع إسرائيل في عام 1978. وأيدت العربية
السعودية مع دول عربية أخرى طرد مصر من الجامعة العربية، وقامت علاقاتها الدبلوماسية
والأعمالية معها. ولكن العربية السعودية لم تكن مستعدة للإسرار إلى حد طرد العمال
والسعوديين المصريين أو وقف الزيارات التجارية (ولنغ 1985: 121). وبعد عامين على "اتفاقية
كامب ديفيد" طالت تطورات أشد إلحاحاً على النزاع العربي - الإسرائيلي وعملية السلام في
الشرق الأوسط. وبدأت تعلق الأمر بالعربية السعودية فإن النزاع في منطقة الخليح كان الآن
أشده خطرًا.

كانت مشاغل العربية السعودية الكبرى إبان الثمانينيات، تنصب في منطقة جغرافية أقرب
إلى حدودها وأكثر حيوية مصافها. ونظرت العربية السعودية إلى تطورات متعلقات في الخليح
على أنهما يشكلان تهديداً لأمنها، هما الثورة الإيرانية (1978) والحرب الإيرانية - العراقية
(1980). وتعتبر تلك الحدثتان النزاعات العربية - الإسرائيلية السابقة إلى معركة ثانوية من حيث
الأهمية. ونشأت تهديد ثالث، بعيد نسبياً لكنه كان مبعث فرحة للعربية السعودية، مثلاً في الغزو
السوفيتي لأفغانستان في عام 1979.

واذ كانت مصر مهتمة مؤقتاً وسائحاً في العالم العربي بعد "اتفاقية كامب ديفيد" فقد
سنحت فرصة مؤاتية لتحقيق مطامح سعودية في الزعامة. وتوفرت فرصة أخرى بمستوى شاه
إيران، الذي اعتبرته الولايات المتحدة لفترة طويلة الزعيم الأسبق للقيام بدور الشرطي في الخليج وإبعاد السوفييت عن هذه المنطقة الاستراتيجية وفهم الأنظمة الثورية فيها. وفي الوقت الذي سدنت فيه العربية السعودية بسرعة رحيل الشاه الذي أقامت معها علاقات ودية لكنها متوترة، فإن مخاوفها من إيران ازدادت حدة بقيام نظام حكم إسلامي. وكانت جمهورية إيران الإسلامية تميزت عن النظام السابق باعتماد خطابية معادية للغرب ومواجهة الدول الإسلامية المتحالفة معه، ومنها العربية السعودية. يضاف إلى ذلك أن إيران كانت تهدف إلى تصدير نموذجها للحكم الإسلامي وتجربتها الثورية إلى بلدان أخرى، وخاصة البلدان التي فيها أقليات شيعية كبيرة (1). واستهدفت الدعاية الرسمية الإيرانية عدة دول خليجية (لا سيما الكويت والبحرين والعربية السعودية).

كانت الخلافة المعادية للسعودية من جانب النظام الإسلامي في إيران؛ المفجر للتحركات الشيعية في المنطقة الشرقية، جزءاً من التأثير العالمي للثورة الإيرانية. وأنتجت هذه الخلافة الحكومة السعودية بأن إيران ذات قيادة إسلامية تنثل تهديداً خطيراً لأمنها الداخلي. ووجه موسم الحج بألوف الحجاج الإيرانيين الذين اغتنموا هذه المناسبة لتنظيم تظاهرات وتزعم شعارات معادية لأميركا شاجعين الحكام المسلمين الذين يتعاونون مع الغرب عموماً والولايات المتحدة بصفة خاصة. وباتت الاعتداءات مع قوات الشرطة والأمن السعودي خلال موسم الحج حوادث سنوية منتظمة طوال عقد الثمانينيات. واندلع اشتباك واسع في عام 1985 عندما قتل أكثر من 300 شخص بينهم 275 إيرانياً (فاسيلييف 1998: 471). وأليب هذا الحادث الخلافية العدائية من جانب القيادة الإيرانية التي قررت مقاطعة مواسم الحج في المستقبل رداً على الخصيقلة التي حددتها السعودية لعدد حاجاتها. وكانت العربية السعودية طبعت نظام الخصوصية عدد الحجاج الإيرانيين إلى مستوى تستطيع الشرطة السعودية احتواءه بسهولة من جهة، وكاستراتيجية للتعامل مع العدد المعتدل من الحجاج المسلمين من الجهة الثانية. وتزمت العربية السعودية إيران باستخدام الحجاج لأغراضها الدعائية. وبقيت العلاقات بين إيران والسعودية حول قضايا الحج علاقات عدائية طوال الثمانينيات (2).

---
(1) Esposito, 1996
(2) Leverrier, 1996
كانت الحرب الإيرانية- العراقية (1980- 1988) تهديداً خطيراً آخر للعربية السعودية التي نظرت إلى النظام البعثي في العراق والجمهورية الإسلامية في إيران على أنهما خطوان يهددان أمنها. يضاف إلى ذلك أن البعثيين اعتبروا أنهم يقومون بدور قبدي هام في المنطقة. وكانت لدى الآثرين مطالب توسعية إقليمية قريبة جغرافياً من العربية السعودية. فالعراق كانت لديه أطماعه القديمة في الكويت بينما كانت إيران تنظر باتجاه البحرین، عدا عن النزاعات الحدودية بين البلدين في منطقة شطر العرب. وتنظر العربية السعودية إلى إيران والعراق على أنهما ف운ان إقليميان متزامنان، وكذلك خطر كامن على أمنها الداخلي نفسه. ولم ترتفع خطابية صدام حسين في القومية العربية للعربية السعودية لأن هذه الخطابية كانت تتنوع من شرعية النظام السعودي. وبالقدر نفسه، كانت الجمهورية الإسلامية في إيران تفضح تفاقم الحلف العربي السعودي الوثيق مع الولايات المتحدة وتدعم المسلمين بصورة إلى شجب قيادتها.

ولكن العربية السعودية كانت تفضل دعم العراق البعثي لأنها اعتبرت إيران خطرًا أقصى في الثمانينيات نظرًا إلى انتقالاتها السافرة ضد ما تعده أنظمة مسلمة محافظة والتزامها بتصدير خبرتها في بناء جمهورية إسلامية إلى بلدان إسلامية أخرى. وكانت تتحرك الشيعة السعوديين في عام 1980 تذكر دائماً بالتهديد الجديد، لا في العربية السعودية وحدها بل في دول خليجية أخرى لديها أعداد كبيرة من الشيعة وتحديداً الكويت والبحرين. ولم تكن العربية السعودية مشاركة بصورة مباشرة في العمليات العسكرية خلال الحرب الإيرانية - العراقية ولكنها قدمت مع دول خليجية أخرى دعمًا مالياً هائلاً للعراق. وبلغت المساعدات المالية السعودية للعراق 5.7 بليون دولار بحساب الملك فهد. وكانت هذه تتألف من مساعدات تجمع بين الهبات والقرض الميسرة والهبات العسكرية ووسائل النقل والمنتجات الصناعية والمعونات النفطية والقرض التنموي (كشيتشيان 1993: 8). وآثارت ديون العراق للعربية

(1) بعد «اتفاقية كامب ديفيد» ومقاطعة مصر، بدأ صدام حسين يفكر في القيام بدور الزعامة في العالم العربي.

(2) على امتداد عقد الثمانينيات، واصل الحجاج الإيرانيين ترديد شعارات معادية لأميركا خلال موسم الحج. وكانت العربية السعودية مستهدفة خلال هذه الأحداث.
السعودية والدول الخليجية الأخرى استياء في العراق متسببة في إشعال نزاع كبير عندما أقدم صدام حسين على غزو الكويت في عام 1990 بعد عامين على انتهاء الحرب الإيرانية - العراقية (تُناقش في الفصل التالي: السادس).


1. استبعدت دول مجلس التعاون الخليجي العراق واليمن من عضوية المجلس لأسباب بديهية. لمزيد من التفصيل عن قضايا الوضعية، انظر بيريسن 1988 غراي (2002).

2. باستثناء عمان والبحرين لم تكن لأي من دول مجلس التعاون الخليجي اتفاقيات عسكرية خاصة تتيح تسهيلات في شكل قواعد جوية للولايات المتحدة. وعارضت الكويت في الثمانينيات تقديم أي تفاصيل تؤدي إلى مركز قوات أمريكية في منطقة الخليج. لمزيد من التفصيل انظر ماكدونالد 1984 غراي (2002) 105.1
ثانياً، إقامة هذا التعاون في الإطار الأوسع للمصالح العربية والإسلامية، مع التأكيد على أن هذا النظام لا يبره برئاسة هذه المصالح وإنما تعزيزها.

كما وجدنا أن الحكومات البارزة تفاوضاً للاقتراعات العربية، ابتدأت عن كل خطابية.


السياسي ونفوذها الاقتصادي اللذين كانا دالاء لسيطرتها على الخرمين واحتياطاتها البترولية الضخمة.


بالإضافة إلى زععة الاستقرار الإقليمي نتيجة الحرب الإيرانية - العراقية، أرسل الغزو السوفيتي لأفغانستان في عام 1979 وتدعم الحكم الشيوعي، إشارات إنذار إلى العربية السعودية التي دائماً اعتبرت الاتحاد السوفيتي والشيوعية عدو الإسلام وخطرًا على أمنها. وأكد غزو قوة عظمى شيعية لبلد مسلم مضافًا على العربية السعودية التي رأى أن تكون دعم مالي لـ«المجاهدين الأفغان» وسمحت لها بانضمام إلى مسارات تدريبهم في باكستان كمتطوعين وأنصار.

ولكن دعم العربية السعودية للمقاومة الأفغانية أصبح إشكاليًا عندما عاد المتطوعون السعوديون إلى الوطن بعد رحيل السوفيتيين عن أفغانستان في عام 1989، حيث وجه العديد من هؤلاء الناشطين اهتمامهم نحو حكومتهم نفسها. وعمل تدريبهم العسكري وتخفيفهم مع المقاومة الأفغانية على تهيئتهم للاختراق في السياسة الإسلامية لدى عودتهم، وكانوا أقاموا شبكات وصداقات وثيقة بقيت موضع اعتراز بعد انتهاء الحرب. وهذه الشبكات، مcontrained
باتت عدم فرض العمل، فاقمت استياء من يسمون «الأفغان السعوديين» الذين كانوا يتوقعون أن يلقوا ما يستحقونه من احترام لدى عودتهم إلى البلد تقديراً جهودهم.

العلاقات السعودية-الأمريكية في الثمانينيات

أضعف سقوط الشاه السريع وتخفيف الولايات المتحدة عن إنقاذ حليفها الوثيق مصداقية الولايات المتحدة. وبدأت العربية السعودية تعتبر أن أمريكا غير مستعدة لإنقاذ أصدقائها الحميين أو أنها عاجزة عن إنقاذهم. وتساءلت القيادة السعودية إن كانت الولايات المتحدة ستعامل النظام السعودي معاملة مماثلة في ظروف مشابهة (لونغ 1985: 123). كما تضررت مصداقية الولايات المتحدة بالغزو السوفيتي لأفغانستان، الذي أحا髻 خطر الشيوعية وأثار هذا الغزو مخاوف في واشنطن من تحرك سوفياتي محتمل في الخليج، خاصة إذا لم تكن هناك قوات تقليدية للوقوف بوجه مثل هذا التحرك. وظهرت المخاوف نفسها في العربية السعودية. وفي كانون الأول/ديسمبر 1979 شكلت الولايات المتحدة «قوات الانتشار السريع» تخذاً لملح هذا السيناريو بينما قامت العربية السعودية بتكتيف اتصالاتها الوثيقة مع واشنطن في بحث مستمتع عن التزامات حماية حقوقها النفطية.

أرسلت إدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر إشارات حازمة بأنه في حال وقوع تجاوز سوفياتي «ستستخدم القوات العسكرية الأوروبية للسيطرة على منطقة الخليج ، وأن أي اعتداء على الخليج سيُعد اعتداءً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة». وأصبح هذا يُعرف بأنه «مبدأ كارتر» (ماكدونالد 1984: 100-101).

كانت العربية السعودية دائماً تريد حماية عسكرية أمريكية، ولكن عندما قدم لها هذا العرض في أوائل الثمانينيات رفضت السماح لقوات قتالية أمريكية بالمرابطة في أراضيها، إذ اعتبر أن ذلك منم الخطورة بحيث لا يمكن القبول به (غرايسون 1982: 142). وفي نيسان/

1) كانت قوة الانتشار السريع الأمريكية تتألف في البداية من ثلاثة ألوية من مشاة البحرية (المارينز) يضم كل منها 5000 رجل. كان من المقرر أن تكون جاهزة بحلول عام 1983. وارتبطت هذه القوة بالدعم.american
«من وراء الأفق»، ولكنها كانت مع ذلك تحتاج إلى تسهيلات جوية وبحرية. لمزيد من التفاصيل انظر ماكدونالد.

1984


في الثمانينيات، أخذت العربية السعودية تصبح بصورة متزايدة شريكاً للولايات المتحدة التي كانت المملكة تعتمد عليها للتزود بكميات ضخمة من السلاح ولتحقيق التنمية الاقتصادية، وفي المقام الأول ضمان الأمن. واعتبرت صفقة الأوكس ضرورية لحماية حقوق النفط السعودي ضد إيران والبلدان التي كان للاختلاف السوفيتي وجود عسكري فيها (مثل اليمن الجنوبي). وفي عهد إدارة ريجان، صور الادعاء السوفيتي على أن الخطر الرئيسي في منطقة الخليج. وتركت ريجان لتحسين مصداقية أميركا بإعلان التزام قوي بحماية الحكومات الصديقة ومنها العربية السعودية.

كانت مواطن انتكشاف العربية السعودية في الثمانينيات وراء محاولات فيد (أولاً) بصفته ولي العهد ثم الملك) لتعزيز العلاقات مع الولايات المتحدة خلال إدارة ريجان: "سعي فهد أكثر من أي حاكم سعودي آخر إلى إقامة علاقة خاصة مع الولايات المتحدة. وكان القوة المحركة

(1) كانت سياسة ريجان الجديدة معروفة ببعضها إلى تحقيق "اتفاق استراتيجي" يؤكد الشراكة مع الحكومات الصديقة. (انظر ماكدونالد 1984: 201.)
للمزيد في العلاقات العسكرية والسياسية والعسكرية والعابدية (لونغ 1985 : 119) . وفي مواجهة انعدام الاستقرار في الخليج نتيجة الإطاحة بالشاه وإندلاع الحرب الإيرانية - العراقية، سعت السعودية إلى دعم الولايات المتحدة خصائصها ضد ما كانت تعتبره تهديداً من النظام الإسلامي في طهران وتهديدًا محتملاً من الاتحاد السوفيتي. ولكن إزاء الأجلاء السياسي في منطقة الخليج الذي غلب عليها خطابية إسلامية ثورية صادرة عن إيران بأداء مشابهة للقلق في العربية السعودية والخليج، بدت الشراكة السعودية - الأميركية أكثر توترًا وإشكالية من أي وقت مضى. وبانتهاء الثمانينيات، شعر النظام السعودي بعدد من القطاعات واسعة من المجتمع انتقدت ارتباط الوثيق بالولايات المتحدة، وأطلقت إشارات الإنذار المبكر خلال حصار المسجد في عام 1979. وعلى امتداد الثمانينيات، لم يكن لدى العربية السعودية من خيار سوى اتخاذ سياسة تقوم على «توزيع المخاطر» والسير في أقل الطرق خطراً. وطالت البلاد مساعدة عسكرية كبيرة من الولايات المتحدة ولكنها استمرت في تصوير نفسها بلداً إسلامياً غير منحاز يقام معحاولات الولايات المتحدة إقامة قواعد عسكرية على أرضها. كانت العربية السعودية تتوهم أن هذه المقاومة ستخفف علاقتها الحميمة مع الولايات المتحدة التي تطورت منذ الحرب العالمية الثانية. وكانت المعدات العسكرية الأميركية المستوردة العسكريون الأميركيون مصدر تذكير دائم باعتماد البلاد على الولايات المتحدة في أمها وإحساسها العميق بالانكشاف على تهديد داخلي وخارجي.

كانت العربية السعودية تفضل ما أصبح يعرف بأنه دعم عسكري أميركي من «وراء الأفق». يكون رافعاً ضد زعزعة الاستقرار (برون 1988 ; لونغ 1985 )، وكانت إدارة ريغان تصر على حياد الولايات المتحدة خلال الحرب الإيرانية - العراقية. ولكنها وجدت نفسها مفروزة إلى تخطيط استراتيجيات أمنية لمنطقة الخليج. وأعلنت الولايات المتحدة أنها لن تدخل في مواجهة عسكرية في الخليج من دون دعوة صريحة وتأكيد بوضع حقوق إنزال وتسهيلات أخرى تحت تصرفها (برون 1988 : 260) . ولكن العربية السعودية ظلت تتابع عندما كان الأمر يتعلق بمنح تسهيلات قواعد عسكرية للولايات المتحدة، إذ كان من شأن هذا أن يستتيفر مزيداً من الاعتماد من إيران وبالذات إسلامية أخرى. كان السعوديون ضد التدخل الجدي في
الخليج إلا في حال الضرورة القصوى، ولكن الثمن السياسي للأسلحة الأميركية كان باهظاً، حتى وإن أبقى الأميركيون وجودهم الظاهر في حدوده الدنيا (ماكدونالد 1984 1:96).

بحلول عام 1990، لم يعد بإمكان الأميركيين أن يبقوا «متوارين عن الأنظار» في العربية السعودية. كان غزو العراق للكويت في آب/أغسطس 1990 قد غير الوضع تغييراً درامياً حين لم تعد العربية السعودية قادرة على إخفاء اعتمادها على الولايات المتحدة لحماية أمنها، واضطرت إلى دعوة القوات الأميركية للدفاع عن أراضيها، وهو قرار بدد خوفاً عدم اختيار السعودية وسياستها الإسلامية واعتمادها على نفسها.
الفصل السادس

حرب الخليج الثانية وأثارها: 1990 - 2002

واجهت الحكومة السعودية تحديين كبيرين في عقد التسعينيات؛ أثبت غزو صدام حسين للكويت في 2 أغسطس 1990 كونه إشكاليًا للكويتيين وحدهم بل وجيرانهم السعوديين أيضاً)1(. وكانت الحرب حدثاً لا سابق له من ناحية أن العربيّة السعودية لأول مرة، شعرت بأن خطاً داهماً يهددها بغزو دولة عربية مجاورة لها (الرشيد 1996:361). وبرغم أن «ضم» العراقيين للعربية السعودية كان مستقبلاً للغاية، فلم يكن بمقدور الحكومة السعودية والولايات المتحدة أن يسقطا من الحساب احتفال وقوف عمل عسكري قرب حقول النفط الحيوية في المنطقة الشرقية. وأصبح تحرير الكويت أولوية للفريقين لا لإعادة الأسرة الحاكمة الكويتية من منفها إلى الحكم فحسب، بل لإبعاد الجيش العراقي عن حدودهم المباشرة أيضاً. وتخلوّت العربية السعودية إلى الأرض التي انطلق منها تحرير الكويت. وكان هذا التحرير يعتمد على معونة القوات الأُمريكية تحت مظلة ائتلاف متعدد الجنسيات. كان هذا التطور الهام وراء المشكلة الثانية التي واجهت الملك فهد وهي تنامي قوة الماراثون الإسلامية فور انتهاء حرب الخليج. وكانت أسابيع الماراثون الإسلامية تعود إلى زمن أبعد من حرب الخليج، ولكن الحرب نفسها كانت عاملًا ساعدًا استخدمته الماراثون للتعبير عن استيائها العام من الحكومة بشأن قضايا هامة.


1997 Cordesman

(1) أنظر كوردسمان
والمجلس الوطني (1). ولكن هذه لم تكن تضاحي جيش صدام (المصدر نفسه: 98). وبات واضحاً
فور احتلال الكويت، أن العربية السعودية لا تستطيع أن تواجه القوات العراقية بمفردها برغم
إتفاق البلاد الضخم على التسلح، وفي غضون أيام، نصح الملك فهد بأن يطلب حماية الولايات
المتحدة. وسارعت واشنطن إلى إرسال قوات جوية وقوات بحرية إضافية إلى العربية السعودية
ومنطقة الخليج. ووصل أكثر من 500 ألف جندي أميركي في ما بعد.

«أثارت حرب الخليج أزمة تتعلق بالشريعة داخل الفئة السعودية الحاكمة. فلقد أدت الحرب،
في المقام الأول، إلى وضع حق الحكومة في الحكم موضع تساوئ جدي بعدما أنسست إدارة
الاقتصاد وأسفرت في الإنفاق على منظومة دفاعية غير فاعلة. ولم يكن بالإمكان أن تقوة
الدفاع السعودية خلال أزمة الخليج لأن العربية السعودية ما كان بمقدورها الوقوف بوجه العراق
في أي حال من الأحوال.

«كان أحد القرارات الكبرى التي تعيين على الحكومة السعودية أن تتخذها بعد احتلال
الكويت، يتعلق بكيفية تبرير "دعوة" قوات أجنبية للدفاع عن الأراضي السعودية ضد غزو
محتمل يقوم به صدام حسين. وفي 9 أب/أغسطس 1990 أدان الملك فهد الغزو العراقي، وقال
إن الوجود العسكري الأمريكي في العربية السعودية إجراء ضروري ومؤقت: كما ناشد الدول
العربية أن تنوي مفعون (أبريل 1993 : 174)، وكشفت دعوة قوات أجنبية تعليق جو الإتفاق
العسكري واعتماد العربية السعودية على الولايات المتحدة. وشارك عدد صغير من القوات
المصرية والسورية والمغربية في إطار القوة متعددة الجنسية التي كانت تتألف بالدرجة
الرئيسية من قوات أمريكية تشكلها قوات بريطانية وفرنسية وإيطالية أصغر حجماً. أمهلاً
صدام حسين حتى 17 كانون الثاني/ يناير 1991 لسحب قواته من الكويت، وفي غضون ذلك
بدأت قوات التحالف تصل إلى العربية السعودية. وبينما كان المجتمع الدولي منهماً في إعداد
بنود العقوبات الاقتصادية التي تفرض ضد العراق والحشد العسكري الأمريكي يجري مخال
حثيثة في الخليج، كانت العربية السعودية مقبلة على فترة من النقاش المحتدم في أوضاع الرأي
العام. وشهد خريف 1990 نقاشات لم يعهد لها نظير كانت في الماضي تقتصر على المجلالس


1985 Safran

(1) حول الدفاع والأمن في العربية السعودية إبان الثمانينيات، انظر سفران

191
الخاصة. كان الجدل يدور حول قضايا متعددة بعضها يرتبط ارتباطاً مباشرةً بحرب الخليج، وبعضها الآخر يتعلق بأساس النظام السياسي السعودي ذاته وشرعية الفئة الحاكمة.

كان من أشد القضايا التهاباً وجود القوات الأمريكية على أرض السعودية واعتماد العربية السعودية على الولايات المتحدة لضمان أمنها. وفي حين كان السعوديون يدركون علاقة بلدهم الحميمة بالولايات المتحدة، لم يكن كثيرون منهم يتوقعون وصول مثل هذه القوى البشرية العسكرية الهائلة. وينظر العديد من السعوديين، كان هذا إنتاج اتهام سوء تدبير الحكم.

وفي الوقت الذي قبلت الغالبية الدعم العسكري الأمريكي بوصفه استراتيجيًا لازمة، فإن أقلية كبيرة عدتها انتهاكاً للمبادئ الإسلامية. ولكن السعوديين لم يفكروا ذات يوم في الدفاع عن أنفسهم ضد أي شيء، بحجة التهديد الذي كان ينتهك صدام.

كانت أشد الانتقادات حدة ضد الحكومة حول هذه القضية، من صفوف علماء الدين الشبان. واستخدم خطباء المساجد مواعظهم بعد صلاة الجمعة لانتقاد قرار الحكومة دعوة الأميركيين «الكافرين» للدفاع عن أرض الإسلام. وركز الجدل على مسائل متعددة؛ هل من المشروع للسعوديين أن يلجأوا إلى غير المسلمين لمقاتلتهم مسلمين؟ هل يمكن أن تعتبر الحكومة التي تلبج إلى مثل هذه الإجراءات حكومة إسلامية مشروعة؟


وجدت آراء الخوالي تعبيراً في رسالتها إلى المرجع الديني الأعلى الشيخ عبد العزيز بن باز (توفي عام 1991)؛ رئيس هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء (الحوالي 1991). طلب الخوالي من ابن باز في هذه الرسالة أن يجيب عن عدة أسئلة. وكان أحد الأسئلة يتعلق بوجود قوات أجنبية على الأرض السعودية. كان تأويل الخوالي أن هذا التطور مظهر من مظاهر اعتماد السعودية، حكومة ومجتمعاً، بصورة متزايدة على الغرب. وذهب إلى أن حرب الخليج أكدت هذه الاتباع وعمقتها وإقامة علاقات عسكرية أقوى مع الولايات المتحدة. وأتى حرب الخليج وفرت الفرصة للهيمنة والتدخل الأجنبيين. وإذا كان واضحًا أن الخوالي لم يكن من
مؤيدي النظام العراقي، فإنه شكوك مع ذلك في شرعية اللجوء إلى «شر أكبر من صدام هو الأفلاطون المتحدة» لتحرير الكويت.

عالم إسلامي آخر هو سلمان العودة: عضو الهيئة التدريسية في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، يبرز بين حقيقة صغيرة من الأخطاء والمساء، الذين استخدموا خلفية حرب الخليج لإشاعة تذمرهم وتشييد انتقادات للحكومة السعودية. وكانت خطاب الخواري بعد صلاة الجمعة ومحاضراته تُسجَّل ويجري تداولها في العربية السعودية خلال حرب الخليج لا سيما تلك التي تشجب الغرب وتدخله خلال الأزمة. وكان يطرح في خطبه نظاماً إخلاقياً إسلامياً تسوده أحكام الشريفة. واعتبر العودة مثل الخواري، على استخدام قوات غير مسلمة لمحاربة جيش صدام، وانتقد عدم كفاءة الحكم الذي أدى برأي إليه إلى تزايد الاستغلال على الغرب، وهو استغلال يتالى من وحدة المسلمين في الحداثة والغرب. وأتاحت حرب الخليج فرصة لتغطية نشاطاتهم وأفكارهم تغطية أوسع بدون توافد 100 صحافى ومراسل أجنبي حاولت الحكومة السعودية احتواءهم بلا جدوى (ولسن وغراهام 1994: 42). لم تفعل حرب الخليج سوى تشديد ما كان يُعتبر أصلاً في المجتمع السعودي، وهو الاستيطاب المتزايد حول قضايا تتعلق بتحديث البلاد تحديداً متسارعاً والعلاقات الوثيقة مع الغرب وتعارض هذه العلاقة المتينة مع الإسلام.

وبرغم الاستياء المتعاظم بين الإسلاميين، فإن حرب الخليج أشاعت جوًا من «الانفجار» شجع بعض السعوديين على التعبير عن تطلعاتهم إلى حريات وليبرالية أوعى (1). وكانت تظاهرة النساء ضد منع المرأة من قيادة السيارة في الرياض تعبرًا عن الأذى الصاعدة لقطاع من المجتمع السعودي رأى في حرب الخليج فرصة للضغط على الحكم من أجل الإصلاح. وفي ١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٠ خرجت ٤٥ امرأة من النخبة المتعلقة هذا الحظر عندما قدن سياراتهن إلى وسط مدينة الرياض. وقد لاحظهن أفراد الشرطة «المطاوعة» الذين أفرزوا باعتقالهن. وتقلن

---

(1) خلال أزمة الخليج قامت الحكومة السعودية بتشجيع هذا الانفجار في محاولة باشارة لتمييز انتقادات الإعلام الغربي لنظامها السياسي وحكومتها.
إلى أقرب مركز شرطة لاستجوابهن ثم أخلي سبيلهن بكفالة أولياء أمرهن من الرجال.
وجَّهت النساء من وظائفهن (دوماتو 1999؛ فندي 1992). ومن المشكوك فيه أن هؤلاء النساء اختير الوقت المناسب لجعل هذا التحدي إعلاني. وطبعن توهم أنه إزاء وجود 500 ألف عسكري أمريكي من الرجال النساء في البلد مع مئات الصحافيين والإعلاميين، سنتجاوب الحكومة وتتلقى من المرأة قيادة السيارة. لقد كن مخطئات، وخسرت المرأة من أجل الحق في قيادة السيارة. ولكن لا ريب في أنهن سيكهن مماثلات بقوة في المخيلة التاريخية

بوصفهم المبادرات إلى عمل من أعمال التحدي النسوي العالمي في العربية السعودية.

أكد الحادث مخاوف الإسلاميين الذين اعتبروا أن العربية السعودية وتقليدها وأخلاقتها مهددة الآن أكثر من أي وقت مضى. ردمضت الحكومة في السادية وقاعات المحاضرات الجامعية متساوياً مع شحقة الشرطة الدينية. وفي محاولة للحد من الاحتكاك بين هذه القوة وأفراد القت FileOutputStreamات الأجنبية، نقلت الحكومة بعض رجال الشرطة الدينية من المنطقة الشرقية حيث كانت تتمركز غالبية القوات الأجنبية إلى الحجاز ومناطق أخرى من البلاد. ووجه الأبرز بين مسؤولي الشرطة الدينية رسائل إلى الملك وزعيم الداخلية وأمير الرياض طالبين إنزال العقاب الصارم بسائر القوات. ولم يتردد بعض «المطافعة» في وصفهم بـ«العاهرات الشيوعيات» (فندي 1999). ولم يفعل حادث السائقين شيئًا لكبح صعود المد الإسلامي. بل إنه في الحقيقة أكد ظل الإسلاميين بأن العربية السعودية سائرة الآن نحو تغيرات خطيرة تتجلب مطالبهم وأمانيه. ويرأىهم أن هذا التحول ليس من شأنه إلا أن يتسارع نتيجة وجود القوات الأجنبية والاعتماد المتزايد على الولايات المتحدة.

ردود الفعل السعودية على حرب الخليج 1990


Friedman 1991.

194
أصدر الشيخ عبد العزيز بن باباز أبرز المراجع الدينية في البلاد فتوى تجيز الجهاد ضد صدام حسين حتى إذا تطلب ذلك مساعدة كافرين. ولكن هذه الفتوى لم تفعل الكثير لإسكات الأصوات المعارضة التي كانت تتضاؤل منذ آب/أغسطس 1990. واندلعت الحرب ضد صدام، كما كان متوقعاً، بعد ساعات قليلة على انتهاء المهلة. ولكن لا الانتصار الخاطف الذي حققه قوات التحالف ولا الهزيمة المهينة التي مُضِي بها العراقيون أدياً إلى نهاية الأزمة السياسية الداخلية في العربية السعودية.


عُرضت هذه المطالب بعد مقدمة طويلة أعلن فيها الولاء للحكم والأسرة الملكية. ولم يشكل الموقعون على المذكرة جماعة منظمة ذات برنامج سياسي واضح، ولا كانوا يمثلون اتجاهًا علمانيًا في المجتمع السعودي. ولكن مطالبهم كانت تعكس استياء عامًا من قضايا معينة مثل الالتماساوية أمام القانون وقصر السلطة القضائية ودور المرأة المحدود. ولعل شجهم السلطات المفرطة التي يتمتع بها "المطاوعة" في المذكرة كان السبب في ياقطة "العلمانيين" لتمييزهم عن اتجاهات لاحقة. ولكن من الخطأ إطلق صفة "العلمانية" على المذكرة. فحقيقة أنهم ليسوا علماء دينًا، لا تعني بالضرورة أنهم علمانيون. والمفارقة أن صحفيين الغربيين والإسلاميين على السواء استخدموا تسمية "العلمانيين" في أواخر التسعينيات لوصف أشخاص كانوا يطالبون بالإصلاح من خارج الدوائر الإسلامية. وقد وصف غازي القصبي (السفي السعودي في بريطانيا سابقًا وزعيم اليهود حاليًا)، من بين آخرين، بأنه علماني، وهي تسمية دفعت القصبي إلى تأليف كتاب يدافع فيه عن نفسه (القصبي 1991).
في أيار/ مايو 1991 وجهت رسالة من نوع آخر؛ ما يسمى «المذكرة الدينية»، إلى الملك
فهد. وحملت المذكرة تواقيع 52 إسلامياً بينهم صفر الحوالي وعائض القرني وناصر العمر
الموقعون بالإصلاحات عديدة في إطار إسلامي. وكانت هذه الإصلاحات تغطي مجالات عديدة: دور
العلماء والخليطاء، القوانين والأنظمة، القضاء والمحاكم، الإدارة العامة، الاقتصاد والمال،
المؤسسات الاجتماعية، الجيش، الإعلام والسياسة الخارجية. وكانت الإصلاحات المقترحة تعني
أن الحكم لا يطبق الشريعة في هذه المجالات العشرة، مطلباً بـ«الدولة» السياسة في العربية
السعودية. وفي حين طالبت «المذكرة العلمانيةية» بضبط دور الشرطة الدينية، فإن رسالة
الإسلاميين طلبت من الحكومة رفع القيود على رجال الدين والعلماء والخليطاء. كما طالبت
المذكرة الإسلاميين بِأن يقوم العلماء بدور أكبر من سائر الأجهزة الحكومية، بما فيها الوزارات
والمبحث.

أصبحت النقطات العشر التي طرحت في مذكرة أيار/ مايو الخليفة التي انتقلت منها مذكرة
أطول بعنوان «مذكرة النصيحة»، وهي كراس قدم إلى عبد العزيز بن باز في أيول/ سبتمبر
1992 بتوقيع أكثر من مئة إسلامي. وأكدت المذكرة مجدداً النقاط العشر التي طرحت في
رسالة الإسلاميين مع التوسع في موضوعات متعددة (فندي 1999: 60-65). وأثارت المذكرة
الاعتراض القاتل إن خطط المساجد لا يتعاملون إلا مع قضية أخلاقية عامة وإنهم ممنعون من
مناقشة السياسة والمشكلات الراهنة (مذكرة النصيحة، غفل من التاريخ: 11). ومن الواضح أن
هذا كان ردًا على جم خطب صفر الحوالي وسلمان العودة التي تنتقد حرب الخليج. وكان الاثنان
استخداما المسجد وقاعة المحاضرات لتعبير عن اعترافاتهما على دعوة قوات أجنبية.

طالبت المذكرة بِمحتوى حقوق الإنسان كما تحدثها الشريعة. واعتبر القضاة المستقل آلية
لتطبيق الشريعة على نحو لا ينتقص من حقوق المسلمين. وجاددت المذكرة بأن توقف الأفراد لا
يجوز إلا بتحويل قضية مسلم مطالبة مبنية على أشكال التعذيب جميع المعلومات والاعتقال
(«مذكرة النصيحة»، غفل من التاريخ: 49).

وتذهب المذكرة إلى أن على الإعلام السعودي أن ينشر مبادئ الإسلام ويسمح بحرية
التعبير عن الرأي في الشؤون الراهنة وحول سلوك الحكم وتأمين سلامة الرأي العام من فساد

196
المؤثرات الغربية. وانتقدت المذكرة تسخير الإعلام على أيدي سعوديين وصفوا بأنهم يشوهون صورة الإسلام ومبادئه. وتعرض الإعلام للانتقاد على ترويه سير ورسائل «مثيرين ومغنين» تلغي أعمال الفنية شباب العربية السعودية عن أداء واجباتهم ومسؤولياتهم الدينية. (مذكرة النصيحة)، غفل من التاريخ 84-85. ويتبع أن يُمنع ظهور النساء حاصلات الرأس على شاشات التلفزيون لمواقفة الآجالات الغربية في الإفاضة وعدم الاحتمام.

ودعت المذكرة إلى بناء جيش إسلامي قوي في العربية السعودية تبقي روحية بالدعوة إلى الجهاد. وبصفة أصحاب المذكرة، فإن حرب الخليج الثانية كشفت ضعف الفهم العام للقوات المسلحة. وأن إسرائيل الحكم في الإنفاق على الدفاع فشل في تأمين قدرة العربية السعودية على الدفاع عن نفسها في ساعات الشدة. وعندما تطلب موقف مساندة خارجية كان على الحكم أن يتوحده إلى جيوش إسلامية أخرى (فندقي 1998: 8). واقترحت المذكرة زيادة حجم الجيش وشملت السعودية كافة بالتدريب العسكري.

وعلى الحكومة، كما ذهبت المذكرة، أن تنتمي سياسة خارجية إسلامية وتبدي التزاماً أقوى بالقضايا الإسلامية. وانتقدت امتناع الحكومة عن دعم لإسلاميين الجزائريين والسودانيين. وشجب تغريب السفارات السعودية الذي يتبدى في توفيق أعداد متزايدة من النساء، بوصفه لا إسلامياً («مذكرة النصيحة»، غفل من التاريخ 92).

وتضمنت المذكرة باباً حول الاقتصاد كان واضحًا فيه أن أصحابها ينتقدون التفاوت المتزايد في الثروة الذي يواجه في العربية السعودية. وطالب بتوفيق مزيد من الموارد المالية على الرعاية الاجتماعية والتعليم والصحة بدلاً من الإنفاق الحالي على مساعدة أنظمة حكومات لا تنقذ بتعاليم الإسلام. ويعتمد عندم التهام النظام المصرفي الإسلامي حيث تسود الأنظمة المصرفية الغربية. وانتقدت المذكرة العملات والإنفاق الدوائر الحكومية حيث لا توجد وسيلة لتجارة المحاسبة.

باختصار، دعت «مذكرة النصيحة» إلى إصلاحات واسعة للمجتمع والسياسة والحكم في العربية السعودية. وكانت لهجة المذكرة لاذعة في نقد الحكم الذي حمل مسؤولية السماح بإضعاف أحكام الشرعية في البلاد. ونادت المذكرة بالعودة إلى نظام أخلاقي إسلامي يكون أساس الحكم. وشدد على توسيع دور العلماء في الحكم. ويرى أحد المصادر أن المذكرة كانت 197

اكتسبت "مذكرة النصيحة" أهمية أكبر بعد نشرها خارج المملكة، متسببة في إجراي الحكم (1). وطالبوا الحكومة باعتذار من العلماء. واستنكر ابن باز نشر المذكرة لمضمونها، واحتاج بأن إصدار النصيحة حاكم الأمة الإسلامية واجب ينبغي أن يحترمه العلماء ومارس ولكن ما كان ينبغي أن نذاع هذه النصيحة. فإن نشر المذكرة يمكن أن يتغير نتيجة، وكان ينبغي تداول محتملاً بين المؤهلين لممارسة فعل النص حسب (1) فقط. 

بدأ علاج العلاقات بين الدولة والمجتمع، كشفت حرب الخليج الأساس النشط الذي تقوم عليه هذه العلاقة. لقد رد المجتمع السعودي على التهديد الخارجي الناجم عن غزو صدام للكويت، للتمييز بينه للحكم والجهة الحاكمة، بل بإطلاق سلسلة من الآراء المعارضة التي أظهرت شرعية الحكم في وقت كان بأمس الحاجة فيه إلى هذه الشرعية. وفجأة الحرب ردود أفعال متعددة بين السعوديين الذين صمموا جام غضبهم على حكومتهم وعلامتها المتهمة بالغرب بدلاً من الجيش العراقي الغازي. وأصبح الوضع السياسي الداخلي في العملية السعودية موضع نقاش وانتقاد. وخلال الحرب، أخفقت الحكومة في تعبئة السكان وراء سياساتها. وعندما أنتُهت حرب تعرّض الكويت تعيّن على الحكومة السعودية أن تتعامل مع انتقادات عميقة بدأ الآن يعدها عن قاعدتها. والقاعدة نفسها بدأ أشد استقطاباً. وأصبحت لغة جديدة للمعارضة السياسية ويفتقات مثل "العلمانيين والإسلاميين" جزءاً من القائمون السياسي للنخبة السعودية. ودفعت المطالب المتزايدة التغيير الحكومية إلى إعداد برنامج للإصلاح في محاولة لاحتواء الهد المتصاعد من الانتقادات. 

---

(1) وزعت نسخ من "مذكرة النصيحة" في العربية السعودية والخارج، لا سيما في لندن، بعد تشكيل "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" في العاصمة البريطانية.

(2) حول مفهوم النصيحة والنقد في الإسلام إنظر أسد Asad 1993 : 376 - 437.
ردود الدولة: إصلاحات آذار/ مارس 1992

في مواجهة مظاهر عامة من الاستياء مثل المذكرات الموجهة مباشرة إلى الملك والخطب العامة التي تنفذ الحكم والأشرطة المتداولة على نحو متزايد بين السكان في البلاد والمذكرات التي تحمل تواصلات العلماء، استمرت الدولة جهاءها للاستعانة بتعامل مع التحدي الجديد. وكانت الخطوة الأولى التي أتخذها الملك في محاولة لتهديد أصول المعارضه واحتواها، الإعلان في آذار/ مارس 1992 عن ثلاثة إصلاحات هامة؛ القانون الأساسي للحكم وقانون مجلس الشورى وقانون المناطق (1).

يتوقف القانون الأساسي للحكم على عدة فصول، كل فصل منها يتضمن جانبًا من الحكم (أبا نامي 1993). وبعد الإشارة إلى أن العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة، يضمن القانون الأساسي إلى تحديد نظام الحكم بوصفة نظامًا ملكيًا. وتنص المادة الخامسة على انتقال الحكم إلى أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وإلى أبناء أبنائه. وبسبب الأثر الاستراتيجي بينهم بوجه مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية. وللملك اختيارولي الغد وإعفاؤهم من واجباته برسوم ملكي. وبرث ولي العهد سلطات الملك في حال وفاته حتى تن bèpة. وتنص المادة السادسة على مبايعة المواطنين للملك بامتثال وطاعة، في السراء والضرا، في الأفراح والانتحار. وهذا رد واضح على أزمة الخليج والعارضة التي انطلقت في أعقابها. ويفسر التركيز على الأسرة الملكية هنا بأنه تكريس لحق آل سعود في الحكم في وقت نجحت أصول المعارضه في إشاعة أحوال لم يعد بالإمكان فيها اعتبار ذلك من المسلمين.

ويستحضر القانون الأساسي للحكم دور الأسرة بوصفه نواة المجتمع السعودي، ويشدد على ضرورة تنسيق أفراد الأسرة بتعليم الإسلام. ويقظي الدولة إلى إعلاء القيم الإسلامية والعربية وتشديد الظروف الملائمة لتطوير المواد والطاقات. ويرى أنه في حين تعتبر الأسرة ذات دور حاسم لتعزيز الوحدة الوطنية فإن الدولة تكون مسؤولة عن معين الشفاف والمفتشة. ويجري الإشارة إلى القضايا الاقتصادية والمالية ارتباطاً باحتمال فرض ضرائب حيث تقتضي الضرورة. وتنص إحدى المواد على فرض الضرائب والرسوم على أساس من العدل، وفقط إذا ما

(1) للإطلاع على نص مجزأ للإصلاحات، انظر بولوك 1992 Bulloch.
استدعت الحاجة فرضها. ويؤكد القانون الأساسي أن الموارد الاقتصادية ملك الدولة، وأن المال له قدسيته، وتكون الدولة مسؤولة عن حماية الملكية الخاصة التي تُحظر مصادرتها العامة.

وحوّل حقوق الدولة وواجباتها، يشدد القانون الأساسي على مسؤولية الحكّم عن حماية الإسلام وصيانة الأماكن المقدسة في البلاد. كما أن حقوق الإنسان وحمايتها بموجب الشريعة أيضاً من مسؤولية الدولة. وتتولى الدولة توفير العمل والتعليم والخدمات الصحية وتطوير القوات المسلحة لأغراض الدفاع. ويتضمن القانون إمكانية الوصول إلى ببلاد الملك وبلاط ولي العهد للتقدم بشكوى أو مظلمة.

وحدد القانون الأساسي أن القضاء يبقى مستقلًّا، ولكن تعيين القضاة وإنها خدمتهم يكونان بإرادة الملكية، وذلك عاملاً هام في الحفاظ على سيطرة الدولة على المؤسسة الدينية.

وينص القانون على أن لا رقابة على القضاة إلا عندما يخالف القضاة أنفسهم أحكام الشريعة.

ويتمتع الموطنون والمقيمون في العربية السعودية بحق اللجوء إلى القضاء على قدم المساواة.

وتعمل وحده من أهم جوانب القانون الأساسي، بتشكيل مجلس الشورى. وتنص المادة الثامنة والستون على أن القانون يحدد كيف يشكل المجلس، وكيف يمارس صلاحياته، وكيف يتم اختيار أعضائه. وللملك أن يدعو مجلس الشورى ومجلس الوزراء (استُحدث في عام 1953) إلى الانعقاد في جماعات مشتركة. وكان تشكيل مجلس الشورى استجابة مباشرة للمطالب التي رفعت في المذكرات آنفة الذكر.

يعلنقانون مجلس الشورى تشكيل مجلس من ستة عضواً (رفع عددهم إلى تسعة عضواً في عام 1997) ورئيس يُعيّنون جميعاً بقرار من الملك الذي يختارهم من العلماء وأهل العلم والمعرفة. وتحديد واجبات الأعضاء برسوم ملكية. ويجب أن يكون العضو مرفوعاً بكونه مواطنًا سعودياً صاحباً وكفؤاً يزيد عمره على الثلاثين. ويتمتع المجلس بصلاحيات تفسير القوانين ودراسة التقارير التي يرفعها إليه الوزراء ودوامات الدولة. وتطلب أي قضية لكي ينظر فيها المجلس، تواقيع عشرة أعضاء من أعضائه، ويتعين أن تناول المقترحات موافقة ثلاثين عضواً على الأقل قبل أن تحال إلى الملك لثبت فيها.

تولى رئاسة المجلس لدى تشكيله وزير العدل السابق الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير.

وكان نائب الرئيس عبد الله عمر ناصيف؛ الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي التي
اتخذت من مكة مقر لـها. وكان 23 من الأعضاء الستين الذين عينهم الملك من حملة شهادات الدكتوراه، وتسعة منهم فقط من المتخصصين بالشرعية. بينما كان 11 آخرون من حملة شهادات الماجستير في فروع مختلفة. وكان الأعضاء الآخرون من حملة الدبلوم. وكان التحصيل العلمي للأعضاء يعكس رغبة الحكم في تعزيز تعاونه مع النخبة المهمة، إذ كان التكنوقراط وأصحاب الاختصاصات في مجالات غير التربية الدينية ممثلين بكمية مضمونة في مجلس الشورى الأول. وكان ما يربو على 60 في المئة من الأعضاء درسوا في جامعات غربية (د كيميجيان 1994؛ الرشيد 1997؛ فندي 1999). وعكست الأصول المحلية للأعضاء هيئة المنطقة الوسطى في الحكم. وبرغم اختيار أعضاء المجلس من بين «أهل العلم والمعرفة» في نجد والحجاز وعسير والأحساء، فإن النجديين شكلوا نحو 40 في المئة من المقاعد. وهذا لا يكرس هيئة آل سعود فحسب، بل هيمنة أنصارهم التقليديين في هذه المنطقة أيضاً.

بالإضافة إلى القانون الأساسي للحكم وقانون مجلس الشورى، طبق إصلاح ثالث يتعلق بحكم الأعلى. وكان قانون المناطق معنياً بإصلاح الحكم المحلي. فقبل عام 1992 لم تكن لدى العربية السعودية إدارة محلية واضحة. وكان أمير المنطقة وعلاقته بالملك يحدد العلاقة بالحكومة المركزية. وقد حدد القانون الجديد أجبار الحكم الإقليميين مؤكداً دور وزير الداخلية في الإشراف على الإدارة الإقليمية. ونص القانون على تقسيم أقاليم المملكة الأربعة عشر إلى محافظات قسمت بدورها إلى مناطق ووحدات أصغر. كما نص على تشكيك مجالس إقليمية تضم في عضويتها الأمير الحاكم ونائبه وممثلين محليين آخرين عن الوزارات، وعشرة مواطنين محليين على الأقل من ذوي الكفاءات وخبرة يعينهم الملك ويتولى الأمير الحاكم مسؤولية الحفاظ على الأمن والتنظيم وتنفيذ الأحكام القضائية وضمان حقوق الأفراد وحرياتهم. كما يكون الأمير الإقليمي مسؤولاً عن الرعاية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية. ويبحث الأمير شؤون منطقته مع الوزراء. أما المجالس الإقليمية فإن القانون ينيف بها صلاحيات تحديد الأولويات في خطط الإنفاق والتنمية. وللمجالس صلاحيات المراجعة والمشورة واقتراح الإصلاحات في المناطق، وتحسين الخدمات العامة بعد تحديد الاحتياجات.

كان يراد بقانون المناطق مكافحة الفساد على المستوى الإقليمي وتشديد الرقابة على الأمور المالية. ويقال إن هذا الإصلاح الإقليمي، بما ينحبه من شبه استقلال ذاتي مركز للممناطق
الخريصية الرئيسية، يمثل تقسيماً عمودياً للوظائف في الإدارة. فإن المجلس المحلي المؤلف من عشرة أعضاء من السكان المحليين المعينين والأمير المعين بدرجة وزير، يكون مسؤولاً أمام وزارة الداخلية، وبالتالي فهو ميل إلى الخضوع لسيطرة سلطة تمارس من المركز، أي الملك، المرجع الأخير للسلطة (أبا داني 1993)".


بالإضافة إلى البطش المباشر ضد أعضاء المعارضة الإسلامية الذين كانوا يهارمون برأواهم، عبَّلت الحكومة إعلامها الرسمي لتشويه سمعة المعارضة. وأخذت تظهر مقالات تنتهي على الاعتدال الديني في الصحافة الرسمية. وكتب محترر الشؤون الدينية في إحدى المطبوعات، أن

____________________________

(1) للإطلاع على تقويم الإصلاحات انظر أبشر 1997 Ishow 1997 Agate
(2) تقارير منظمة العفو الدولية في التسعينيات سلطت الضوء على زيادة حالات التعذيب والاعتقال في العربية السعودية فور انتهاء حرب الخليج، ونشر آخر هذه التقارير في عام 2000.
الطرف يعني الوقوف في أبعد نقطة عن المركز وهو يشير رمزياً إلى ابتعاد مثال في الدين والفكر فضلاً عن ابتعاد في السلوك. فالإسلام يوصي بالاعتدال والتوازن في كل شيء، في الإسلام وفي السلوك وفي التشريعة. والغلو مستقبلي حيث لا يمكن للطبيعة البشرية الاعتادية أن تحمله أو تطبقه (سعودي غازيت ٨ تموز/ يوليو ١٩٨٤ ) وفي حين أن الكاتب لم يذكر جماعات من المتطرفين، فقد كان واضحًا أنه كان يصف وينتقد أجواء عامة في البلاد شاعت بعد حرب الخليج. وتزايد ظهور هذا النمط من الحكامية في المطبوعات الرسمية والخطابات التي يلقيها المسؤولون. وإذا لم ترد في الإعلام الخاص لرقابة الدولة عادة، إشارات مباشرة إلى مطالب المعارضة، فإن رسائل مبهمة تدين الغلو والغلالا أخذت تسود إلى الصحافة السعودية. وكان الرد الصريح والباشر على هذه المطالب (كتلتها التي تضمنتها المذكروتان ألتنا الذكر) ينطوي على إقرار ضمئ يوجودها ومشروعيتها.

وكانت أعمال متطرفين سعوديين وعرب تنتشر برعاية الدولة. تمثل ميدانًا آخر حاولت الحكومة النيل من المعارضة فيه. وصدر كتيب بعنوان قراءة صريحة لمذكرة النصيحة (رضوان، غُفل من التاريخ) بعد فترة قصيرة على حرب الخليج، وشن صاحبه هجمةً على رسالة الإسلاميين الرئيسية في «مذكرة النصيحة». وأكد الكتيب الهوية الإسلامية للدولة السعودية بتشديد المشاريع الإسلامية التي ترعاها الحكومة في الداخل والخارج. وقد قام المؤلف تفاصيل عن الإنفاق السعودي على المساعدات الإسلامية وتأسيس منظمات خيرية إسلامية في الخارج وتوقيع النزاعات الإسلامية كالصواري. وكان هدف الكاتب المعلن في اتهامات أعلنت في المذكرة الأصلية بأن الدولة السعودية لا تدعم الفضایا الإسلامية وأن أجهزتها السياسية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية مجرد إصلاحات جذرية. وكانت مثل هذه المطبوعات تشير إلى أنه بعد توقف الحرب بدأت حرب كلامية في بلد لم يعتد مثل هذه المسائل العامة حول مواضيع حساسة وتكاد تكون محرمة، بينما تطغى الحياة الحكم السعودي وشرعيته. لقد كان احتمال النقاش العام إحدى النتائج الحقيقية حرب الخليج.
المعارضة الإسلامية

أعادت حرب الخليج ذكرى المعرفة في المحنى مع اختلاف هام. ففي حين أن معارضة المنشية إبان السنتين والسبعينات استنادت إلى أيدولوجيات اتبعت في العالم العربي (1)، كانت محاولة التنسيق في الغالب ردًاً معاً خطابية إسلامية قوية. وقبل ثلاثة عقود، كان المعارضون السعوديون وجدوا صلاتاً لهيم في بلدان عربية مجاورة تتعاطف مع مطالبهم وتطلعاتهم، والمشاركة أن المعرفة الإسلامية اللاحقة اختارت المثنى في الغرب، هدف الرئيسي لانتقاداتها. وتلك هي قصة «لائحة الدفاع عن الحقوق الشرعية» في العربية السعودية.


وفي حين أن ستة سعوديين فقط وضعوا أسماءهم على الوثيقة الأولى، فإن المنظمة اعتمدت على العديد من المناضلين، لا سيما من المهنيين ذوي التوجه الإسلامي (فندري 1999: 119). وأصبح اثنان من المناضلين القوة المحركة بعد توقف اللجنة عن العمل في العربية السعودية. وعلي محمد المصور (ابن عبد الله المصور، وهو قاضي متقاعد وقع رسالة اللجنة الأولى) ناطقًا


204
جاءت الشخصية الثانية سعد الفقيه الذي قام بدورهما في المراحل الأولى. ثم لاحقاً عندما نقلت اللجنة مقرها إلى لندن في عام 1994. وفي حين كان المؤسسين من علماء الدين فإن هذين الناشطين كانا من المهنيين، حيث أن المسعودي أستاذ في الفيزياء والفقيه طبيب.

حظر نشاط اللجنة على الفور في العربية السعودية، الأمر الذي كان يعكس ما تطلبه هذه الحركة من تهديد خطر بنظر الحكم. وشجب أعلى مرجع ديني هو هيئة كبار العلماء، تنظيم اللجنة بوصفها غير شرعية في بلد يحكم بموجب مبادئ الإسلام. وسجن بعض أعضاء اللجنة من فيهم الناطق باسمها محمد المسعودي، ثم أعفي سبيلهم لاحقا. وظهر المسعودي في ما بعد في لندن حيث فتح مع الفقيه مقرر "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" في نيسان/ أبريل 1994. وباشرة بإقامة اللجنة في لندن، بدأت مرحلة جديدة من المعارضة الإسلامية. واعتمدت اللجنة اعتماداً كبيراً على حرية الوصول إلى وسائل إعلام غربية وعربية لإطلاق حملتها. وأقامت مؤقتة خاص على شبكة الإنترنت وشرعت في استخدام تكنولوجيا الاتصالات بما فيها أجهزة الفاكس والبريد الإلكتروني للاتصال بأنصارها في العربية السعودية والخارج. وتصاعدت حدة رسائلها ولتفت في نقد الحكومة والقوة الحاكمة.

تشير قراءة مطبوعات اللجنة المختلفة من كراسات وكتب ورسائل فيلم ويابان، كلها صدرت في لندن، إلى عدد من السمات. في رسالة التعرف التي أُلقيت تشكيك اللجنة في المنفي، قدمت اللجنة صورة مزدوجة لغرضها وعملها. وقد وضعت الصورة الأولى لهذه المنظمة في دائرة المنظمات الإسلامية بينما وضعتها الصورة الثانية في دائرة الإسلام بوصفه الإطار لكل أعمالها ودوافعها. وشددت اللجنة على أن فهمها للحقوق الإنسانية الشرعية نابع من الإسلام وليس من صيغ رائحة أخرى يعتقد أنها غير شرعية. في إشارة ماكرة إلى التصورات الغربية لهذا المفهوم، برغم أن بيان اللجنة لم يحدد مباشرة هذه التصورات البديلة. ولكن اللجنة امتنعت عن القول ما هي هذه الحقوق الشرعية الإسلامية التي اعتبرت أن تحديدها من مسؤولية "أهل المعرفة"، في إشارة إلى العلماء. وفي بيان لاحق، أكدت اللجنة مجدداً أنها ليست حزباً سياسياً له أهداف سياسية. وقد حددت هذه الخطابية موقع اللجنة في دائرة بعيدة عن الفهم العلماني للعمل السياسي. وأكثر من ذلك، أن اللجنة أضافت أن تركزها على قضايا مثل اعتقادات وانتهاك
حقوق الإنسان والتعذيب ينبغي ألا يفهم على أنه تجاوز على اختصاص القضاء والمحاكم ومجلس
المظام. وكانت مثل هذه البيانات تحدد مجالًا معيّنًا لنشاط المنظمة يرتبط بهمها ما هو وحائز
ومحيذ في الإسلام. كما حرصت اللجنة على عدم استعداد الغالبية من العلماء السعوديين وعلى
ألا ينظر إليها بوصفها مصدر مرجعية بديلة.

وفي الوقت الذي ذهب أعضاء اللجنة إلى أنها منظمة إنسانية إسلامية، فإنهم كانوا يطلقون
تصريحة لا يمكن أن توصف إلا بأنها سياسية. وكانت عدة بيانات أصدرتها اللجنة مكرسة
لانتقاد الملك وأفراد الأسرة الملكية. وفي إحدى المقابلات وصف الناطق باسم اللجنة; المسعودي،
أفراد الأسرة الملكية بأنهم «ديناصورات» ينبغي أن تنقرض. وأعلن أن الحكم هو الملكية والدولة
والأسرة والمالية. وعلى الغرار نفسه، أعلن رئيس اللجنة الفقيه أن زعماء الدولة الإسلامية ينبغي
أن يكونوا منتخبين ومسؤولين، بما يعني أن آل سعود لا ينتمون إلى هذه الفئة (الرشيد 1996
19).

واعتمدت اللجنة في كل حملتها لغة الإصلاح لا الثورة. ودعت في بيانات عديدة إلى قضاء
مستقل واقتصاد توزع الثروة فيه توزيعاً متساوياً، وإلى سياسة خارجية أكثر التزاماً بالقضايا
 الإسلامية، وجيش قوي قادر على النزاع عن البلاد في الحزن. وبرأى اللجنة، فإن العلماء
السعوديين أصبحوا مدافعين عن الدولة. وكان هذا إشارة إلى الوضع الذي واصفت فيه المؤسسة
الدينية، وخاصة هيئة كبار العلماء، إصدار القرارات التي تدعم سياسات الحكومة. ولم يتعد
برنامج اللجنة الإصلاحي عن البرنامج المقترح في «مذكرة التنصيحة» التي ورد ذكرها آنفاً.

استمرت «لجنة الدفاع عن الحقوق الفردية» في الإصرار على أن النقد وإسداة المشورة
نابعان من مبدأ إسلامي هام هو مبدأ النصيحة التي هي من واجب كل مسلم. ولكن هذه النصيحة
لا يمكن أن تكون سرية في العالم الحديث. والوضع في العربية السعودية، كما ترى اللجنة,
يتطلب أن يكون النقد علنياً من خلال تنسيق حق التجمع وحرية التعبير (المسعودي
1997؛ 81). وفي رسالة مفتوحة إلى هيئة كبار العلماء طالبت اللجنة بـ:

أن تقولوا كلمة الحق في هذه الدولة، في كيانها وكافة أنشطتها. وبالآخرين في نظامها
الاقتصادي وفي موقفها من الدعوة والدعوة والمصالحين وقائاتها وبرائها كما يظهر في سياساتها
الخارجية. وأعلموا أن الأمة قد تعلم وعرفت أن حكامنا يوالون أعداء الله ويظهرون على

206
المسلمين كما فعلوا مع الشيوعيين في اليمن... والأمة تعلم كذلك أن حكامنا يحاربون الدعوة بمع
الدعوة وفصلهم وسجنهم والتحسيب عليهم، ويجاؤون كلمة الحق... والأمة تعلم أن الحكم قد
عيثوا بأموال الأمة وسرقاً خبراتها.

(«لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» 1964 : 18).•

واتنقد المسيري إمتنال العلماء باعضاً صممتهم على قضايا سياسية هامة بأنه إتباع موتهم.
وبراءهم. فإن العربية السعودية أشحت مقبرة العلماء (المسيري 1965 : 561). كان المسيري
يشجع العلماء على الخروج من صممتهم وخروج من مسؤوليتهما وتأتي على مراقبة الأحقاق العامة وإصدار بيانات تأبيك تكلف الحكومة بوضع
مذبحة (المصدر السابق : 57). وعمد لاحقًا إلى التفوقي بين العلماء الصادقين الذين عرفوا في ما
بحد بكونهم «علماء الصلة»، والعلماء الذين «باعوا دينهم وإيمانهم»، حيث الأولون دفعوا ثناً
باهظًا بتعرضهم للسجن والتعذيب بينما انتفع الآخرون من دورهم المريح في تركية سياسة
الحكم.

وبالإضافة إلى انتقاد العلماء التقليديين، أصبحت اللجنة مصدر معلومات عن فساد الحكم
واشتهر حقوق الإنسان وتعذيب المعارضين في البلاد وسجنهما. وكانت اللجنة تتبع محتلاً علماء
كبار كانوا يجاجرون برأيهم وخاصة سجن العودة والمؤهلين. وقامت بإنشاء قضيتهم من خلال
نشر المنشورات وتوزيعها وتسليط الضوء على رسائلهم ودعواتهما. وأصبحت الحقوق رسالة
إخبارية متذكمة تطلع ملتقيها على قضايا بها تغييب المعارضين وسوء الإدارة في شؤون الحج
والضائقة الاقتصادية وفشل الخدمات العامة. وفي غضون عام من تأسيسها في لندن، أصبحت
اللجنة مصدر رأي بشأن الأحوال العامة وأوجه التقصير فيها، والحياة الخاصة للأمراء وقضاياهم
وسالطاً. وما ساعد اللجنة في هذه العملية إنشان مؤسسها تكنولوجيا الاتصالات الحديثة.

ولكن اللجنة سرعان ما واجهت تحدي المعارض في صفوفها ذاتها.

في آذار / مارس 1966، واجهت اللجنة انشقاً خطيراً في صفوفها. وأعلن المسيري في
بيان له أن اللجنة قررت إنهاء دور الفقيه مقدماً عدة أسابيع لذاك؛ أولاً. ذهب إلى أن الفقيه رفض
نشر بعض الأدبيات التي كانت لاذعة في انتقادها الفئة الحاكمة. ثانياً، قال إن الفقيه أجرى
اتصالًا مع ولي العهد الأمير عبد الله من دون أن يخوض في التفاصيل حول طبيعة هذا اللقاء.
وصار المسنعي، بطريقة غير مباشرة، إلى أن الحكم لم تكن من شراء الفقيه. ثانياً، زعم المسنعي أن الفقيه الذي كان مسؤولاً عن مالية اللجنة رفض أن يدفع فواتير المحامين في قضية طلب المسنعي اللجوء في بريطانيا(1). وأمامت هذه الاتهامات العلنية اللجام عن وجود خلاف عميق بين الفقيه والمسنعي. لا في القضايا المالية فحسب بل خلافات أكبر أيضاً. ففسّر النزاع بأنه يعكس خلافات حول المبادئ. وحاول المسنعي مد جسور إلى مجموعات إسلامية أخرى في لندن مثل جماعة عمر بكر وتنظيم "المهاجرون"، بينما جاء الفقيه لإقناع زميله بقصر اهتمام اللجنة على العربية السعودية (مدني 1969: 14) 1.

هذه القصة يؤكدها الفقيه الذي زعم أن الخلاف مع المسنعي يتعلق بحقيقة أن الأخير أخذ جسوراً مع الفرع البريطاني حزب التحرير وعمر بكر الذي وصفه الفقيه بأنه "شيخ جاهل". كما علق الفقيه على "صدام شعبيين" مختلفين بينه وبين المسنعي الذي وصف بأنه رجل واسع العلم ذو شخصية لامعة (مقابلة، آذار/ مارس 1999). وامتدح الفقيه معارف مسنعي العامة وقدرته على التواصل مع الصحافة خلال الأيام الأولى في لندن عندما أستخدم هذه الصفات في تعزيز صورة اللجنة، ولكن "ألمعيته" أصبحت عبئاً على المنظمة (المصدر السابق).

عندما باشر الفقيه إلى تأسيس "حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية" عام 1996، بات واضحًا من بياناته أنه لا يتعزم تحويل منظمة إلى حركة معارضة إسلامية عامة، وهو تطور حاول المسنعي تحقيقه منذ انتقاله إلى المنفى في لندن. وعمل الفقيه كان يتعاطف مع جماعات إسلامية أخرى في العاصمة البريطانية. ولكن، لم يكن في رصائده الإخبارية وطباعاته يشير إلى أن هذه سياسة تتبعها "حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية " محجية.

أخرج الانشقاق في "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" ضرراً بالمنظمة أفقدها مصداقيتها في العربية السعودية والخارج. وأصبحت بيانات المسنعي غير منتظمة، ثم اختفت تماماً في عام 1996. ووجه الناقص الإنشتط باسم اللجنة اهتمامه إلى كتابة كرارات مطلقة توثق نشوء

---

(1) خاض المسنعي معركة في المحاكم البريطانية ضد قرار الحكومة البريطانية إبعاده إلى جمهورية الدومينيكان، وكتب القضية للبقاء في بريطانيا بعد تحويل نفقات قانونية باهظة أخذت من مالية "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية".

208
المعارضة الإسلامية في العربية السعودية منذ حرب الخليج. وبعد عام 1996 استمر الفقيه،
الذي بات الآن رئيس «حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية»، في إصدار نشرات
أسبوعية بعنوان الإصلاح. ولم تكن محتويات الإصلاح تختلف عن المطبوع السابق الذي كانت
تصدره «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» باسم الحقوق. وكانت الرسالة الإخبارية التي تصدرها
الحركة بصفحة واحدة تجمع بين التعليق على أحداث راهنة في العربية السعودية، وتسلسل الوضوء
على المظلوم وانتهاكات حقوق الإنسان. وكانت تقدم تفسيرات منهجية للتطورات الاجتماعية
والسياسية والاقتصادية. وفي أواخر التسعينيات بدأ أن «حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة
العربية» كانت أشد المنظمات الإسلامية العاملة خارج العربية السعودية فاعليًا. وكان موقعها
على الإنترنت ورسالتها الإخبارية باللغة العربية. ومطوعاها الشهيران خاصان (Arabia
المجلة العربية) بالإضافة إلى عدة كتبات بقلم الضيقم، تنتم عن مستوى عال من التخطيط والجهد من لدن رئيس الحركة
ومساعدته الالكترونيين ذوي المهارات العالية.

كانت "حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية" تعتمد اعتمادًا كبيرًا على محتوى
المادة النصية، وسعت إلى دعم الإصلاحات التي طالبها هذه الوثيقة الهمة. وكان
الفقيه يعتبر الحركة منبرًا إسلاميًا للمعارضة الإسلامية بعد حرب الخليج. وكان يركز على أن
الحركة ليست منظمة مستقلة ذات نظرية جديدة. واستمر في دعم الإصلاح وتأييده في إطار
إسلامي كفيل بمنح العلماء دورًا أكبر في العربية السعودية. وكان ينظر إلى نفسه بوصفه مثالًا
للعلماء الذين رفضوا دعم السياسات السعودية خلال حرب الخليج، وهو موقف أدى إلى سجن
العديد من خطباء المساجد وعلماء الدين.

ودعت "حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية" جماعة "العلماء الشباب"، التي
كانت مجموعة ذات بنية تنظيمية فضائية، وأشار أحد كهئيات الفقيه بعنوان زلزال آل سعود
إلى ارتباطه بهذه المجموعة وتأييده للانتقادات التي وجهتها الجماعة خلال حرب الخليج. وقدم
الكراس تقريرًا عن المعارضة الإسلامية أكد دوره في صوغ مذكرة العلماء الأولى ومذكرة
النفسية، وتشكل "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في العربية السعودية". وحسب الفقيه،
فإن جماعة "العلماء الشباب" تطورات إلى مصدر إلهام كبير لأنهم كانوا يلقون خطبهم في

209
الجامعات الدينية والمساجد. واستمر أعضاء المجموعة في احترام أساتذتهم من جيل العلماء الأكبر برغم اختلافهم مع تفسيرات الآخرين وتحليلاتهم. وأتاحت هذه الحقيقة درجة من التسامح الذي أبدته الحكومة تبادلت لاحقًا مع الانتقادات الصريحة لسياسات الحكم خلال حرب الخليج.

واصلتا الحركة، مثلها مثل اللجنة، شن حملة ضد آل سعود. وفي كتيب بقلم الفقيه، كيف يفكر آل سعود: دراسة نفسية، صورت الأسرة الحاكمة على أنها بلا شرعية (الفقيه، عُرف من التاريخ). وذهب الفقيه إلى أن حكمهم المطلق وغرورهم وأسلوبهم الشخصي في الحكم أوجدت ظروفًا خاصة ذات مؤكد عكسي. يضيف إلى ذلك أن الفقيه ساعد الضوء على عقيدة الدوينية لدى آل سعود في علاقاتهم مع الغرب، واعتمادهم التام على المخل المشارك. وعلى حد تعبيره، فإن «الدول» أصبح هو الخطر، الشعور بأن المال يغلب على أكبر المحافظ، ويجعل أقدام المشاكل وبذلك أشد الصعب. ولذا، فالسياسة وتصريف شؤون الدولة والنجاح على المستويات الإقليمية والعالمية والسيطرة على الأوضاع المحلية، كل ذلك رهن بتوفر المال» (المصدر السابق: 41).

وبرغم الانتقادات الفقية للأسرة الملكية، فإنه كان مترددًا بشأن مستقبل البلاد من دون زعامة آل سعود. وقال «لنستّ مستعدًا للقول إننا بحاجة إلى اقتلاع الشجرة (آل سعود) من التربة لأنه ليس هناك بديل في الوقت الحاضر في العربية السعودية. العلماء وهم القادرون على إدارة شؤون الحكم خلال الفترة الانتقالية. وإلا فهناك سنعود إلى فترة أمراء الحرب» (مقابلة، آذار/ مارس 1999). وتُشير عبارة «أمراء الحرب» هنا إلى شيوخ القبائل الذين رفضهم الفقيه كزعامة بديلة.

من الصعب الحكم في ما إذا كان هذا القول يعني أن الفقيه خلس في أواخر التسعينيات إلى أن آل سعود يمكن أن يستمروا في الحكم بالاستند إلى مرجعية العلماء شريطة أن يضم هؤلاء مجموعة «العلماء الشتاب». وكان الفقيه يرى فوضى ضاربة الأمل بأحلامنا في وضع لا يعود إلى سعود يعكس فيه بدء الحكم ووزع أن السعوديين لن يتبعوا المسيري أو الفقيه بل سيتبعون العلماء الذين يستطيعون إحلال السلام والتنوير (المصدر السابق). ولم يكن الفقيه ينظر إلى نفسه على أنه صاحب مطروحات سياسية شخصية، بل كان يعتبر نفسه أداة لدعم قضية الإصلاح الإسلامي وإشاعته باسم الخبراء وعلماء الدين.
وتذكر طروحات القفيه حول الحكم الإسلامي بالفهوم الشيعي لولاية الفقه. بمعنى حكم
العلماء. ولكن القفيه لم يعد بصرفه قط نقاط الاتفاق بين الاثنين. وبحسب وثيقة البرنامج
السياسي لـ "حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية"، فإن مجلس الشورى الحالي لا
يعكس مطالب الإسلاميين، حيث يتشكل مجلس الشورى باختيار الأعضاء وفق إجماع "الأمة
الإسلامية"، وانتخاب هؤلاء الأعضاء. وينبغي أن يكون أحد واجبات المجلس الإشراف على
الإنفاق العام ومحاسبة الحكام ("حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية". غفل من
التاريخ) وتنطوي هذه الرؤية على قلب للآدوار الحالية حيث الملك هو الذي يعين الأعضاء الذين
لهم سلطة محدودة. ويطالب برنامج الحركة السياسي بأن يصبح مجلس الشورى سلطة سياسية
أعلى من الملك وأفراد الفئة الحاكمة الذين يخضعون لمحاسبة المجلس. ويستدعي مطلب الحركة
بأن يكون للعلماء دور أكبر في تقرير الشؤون السياسية السعودية الداخلية والخارجية. إعادة
نظر بالخلاف السعودي - الوهابي لعام 144. فخلال السنوات المئوية من تاريخ
السعودية، فهذا الخلاف على أنه يعني توزعاً واضحًا للآدوار بين آل سعود والعلماء، حيث
الأولون يستثرون بالقرارات السياسية بينما يكون الأخيرون مسؤولين عن الشؤون الدينية.
وكانت رسالة الحركة تطعن في هذا الفهم للخلاف بدعوتها إلى مشاركة العلماء مشاركة مباشرة
في العملية السياسية والشؤون الاجتماعية. إذ لم يعد الإسلاميون يقبلون بدور العلماء المحدود
كمح까 للأخلاق العامة في المملكة. وكان هذا الدور أنيط بهم بعد هزيمة "الأخوان" على يد
سعود في الثلاثينيات، وعمد الملك فيصل إلى مأستسه في السبعينيات. ومع خضوع التعليم
إشراف الدولة أصبح العلماء أكثر صراحة ومجاورة في مطالبهم بدور أكبر في السياسة.
بالإضافة إلى "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" و"حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة
العربية". واجتهدت العربية السعودية تحدياً معارضة ذات طابع عالمي أوسع، من الجماعة المرتبطة
بأسامة بن لادن (ولد عام 1957)، ومعروفة باسم "لجنة النصيحة والإصلاح". وينتمي ابن
لادن إلى عائلة حضرمية الأصل حققت ثروتها في قطاع البناء في العربية السعودية. بدأت حياة
ابن لادن السياسية في أفغانستان حيث دعم حركة المقاومة الإسلامية في نضالها ضد الجيش
السوفيتي. واستخدم ثروته الشخصية لرعاية المتطوعين السعوديين والعرب المستعدين
بالانضمام إلى المقاومة الأفغانية، وفتح العديد من دور الضيافة ومعسكرات التدريب داخل
أفغانستان لاستقبال هؤلاء المتطوعين، أشهرها معسكر "القاعدة" الذي أقيم في عام 1988.

ولاقت هذه النشاطات في البداية قبول العربي السعودية، ولكنها أُصبحت مصدر تهديد بعد حرب الخليج، وعارض ابن لادن، مثله مثل إسلاميين آخرين في العربية السعودية. دعا القوى الأمريكية، وأعاد انتقاده للقرار السعودي على الملا. وأسقفت العربية السعودية عنه الجنسية في عام 1994. ومنذ ذلك الوقت صد انتقاداته للسعودية وتخلوها الوثيق مع الولايات المتحدة. ويعتقد أن "لجنة النصحية والإصلاح" أصبحت مملكة للجماعات الإسلامية الراديكالية التي تضم سعوديين وغير سعوديين (فندى 1999). واستنادًا إلى أحد كرامات "حركة الإصلاح الإسلامية في الجزيرة العربية"، فإن ل난 لادن دائرتين من الأتباع: الأولى قوة مغلقة من المريدين الذين يرتبطون به من خلال تسلسل قيادي ويتلاقون أوامره كما في منظمة سرية، والأرجح أن غالبية هؤلاء الأتباع في أفغانستان، ولكن أخرين منهم في العربية السعودية وربما في بلدان إسلامية أخرى. وتتآلف الدائرة الأخرى، الأوسع، من أشخاص ليسوا جزءًا من التنظيم السري لكنهم من المواطنين. وكانوا ينظرون إلى ابن لادن على أنه "العраб" يعني الآب الروحي، ويعتبرون أنفسهم ملزمين بتنفيذ بعض أوامر العامة ("حركة الإصلاح الإسلامي" غفل من التاريخ). وبصبع تقدير حجم منظمة مثل "لجنة النصحية والإصلاح". وكانت الولايات المتحدة أعلنت ابن لادن إرهابياً دولياً، ففي 11 أيلول/سبتمبر 2001 دمرت طائرتان مخطوفتان مركز التجارة العالمي في نيويورك وارتطمت ثلاثة مبنى البتاغون في واشنطن. وأعلنت الولايات المتحدة على الفور أن ابن لادن هو المتهم الرئيسي. وبرغم الأعداد الكبيرة من التقارير الإعلامية والمعلومات اللاحقة عن ابن لادن وشيكته، يبعد أن توافر أداة دامية يبقى بعيد المنال في هذه المرحلة. ويعتقد أن ابن لادن الذي وصف بأنه "عراب الإرهاب" (16 أيلول/سبتمبر 2001) و"أخطر المطلوبين في العالم" (ذي إندبندنت 16 أيلول/سبتمبر)، كان لم ينزل في أفغانستان بمحمية نظام طالبان. وكانت العربية السعودية قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع طالبان في أيلول/سبتمبر 2001.

بعد عشر سنوات على حرب الخليج، يبدو أن المعارضة الإسلامية في الداخل والخارج نجحت في الاستحواذ على مخيلة السعوديين وغيرهم بفضل التفطنة الإعلامية الدولية الواسعة. ومنذ منتصف التسعينيات لم يصبح مقر "حركة الإصلاح الإسلامي" في شمال لندن، وقبلها

212
«الدفاع عن الحقوق الشرعية»، مركزًا للناشطة الإسلامية فحسب، بل مصدر معلومات عن بلد غير معروف بانتقاده وشفعويته. عمل مثل المعارضون بوصفهم ناشطين ومصادر معلومات عن الشؤون السياسية الداخلية. وكانت منظمات حقوق الإنسان العربية والصحافيون والأكاديميون يتوافدون على مكاتب المنظمتين بحثًا عما يساعدهم في سبر السياسة السعودية والمجتمع السعودي. وبالإضافة إلى بث رسالتها، انتشرت المعارضات بنشاط في نشر المعرفة عن العربية السعودية، وهي حقيقة كبيرة ما يجري تجاهلها في الأعمال التي تتناول تطور الناشطة الإسلامية في المنفى. وكان هذا من نتائج وجود المعارضة في الغرب، وما له أهمية بالغة لنشاطاتها. قدرتها على استخدام أشكال جديدة من تكنولوجيا المعلومات.

إن التحول الوظيفي لتكنولوجيا المعلومات من التعليم والتنظيم إلى تحسين المقاومة السياسية وتسيرها، كان لاقتاً في العربية السعودية. فالطالب الجامعي الذي يتسوفر الكومبيوترات في متناول يده لا يستطيع استخدامه لبناء غازه السياسية فحسب، بل يمكن أن يتلقى من خلالها رسائل وأن ي التواصل مع جماعات سياسية في وقت فراغه حتى من دون أن يغادر مبنى الجامعة التي يدرس فيها. وأدى هذا إلى تكوين فرد من مثج جديد، قادر على التعبير عن أرأسه السياسية ضد السلطة المركزية بناءً على حقية الدولة. وقبل تطوير هذه التكنولوجيات الجديدة إلى تمكين المواطنين من التسلح بقدرات لم يكونوا يمتلكونها من قبل. والسجال في هذه المرحلة هو ما إذا هذا الإمكان حقيقيًا أو وهميًا. وفي حين أن من السباق لأوّاه إعطاء إجابة مؤكدة - مسموح العربية السعودية بدخول الإنترنت على نطاق واسع إلا في عام 1999 (منظمة مراقبة حقوق الإنسان 1999: 51) - فإن الشبان السعوديين يستطيعون أن ينتموا وعيًا بهذا الإمكان المتاح لهم وسيفرون مثل هذا الوعي. ذلك أن الوصول إلى المعلومات والقدرة على تبادل الأخبار ومناقشتها، هي من الثمار القيمة لتكنولوجيا الاتصالات الجديدة. وأصبحت هذه التكنولوجيات الجديدة منافذ ذات كفاءة عالية للاحتجاج السياسي، ولكن التغيير السياسي ليس بديهيًا بالقدر نفسه (الرسول، 1999: 16). وكانت الحضيلة الكبرى لهذا الاحتجاج السياسي الجديد حتى الآن، هي تسييس المواطنين تسييسًا تأخر زمنًا طويلًا في ظل الرخاء النفطي والرعاية الاجتماعية السخية ورقة الدولة. ولكنLY المبكر الخروج بالنتائج والتفاوض بالمستقبل السياسي للعربية السعودية على أساس توافر أجهزة الفاكس والبريد الإلكتروني والإنترنت وصوون النقاط البيت الفضائي على نطاق واسع.
ومن الصعب، بالقدر نفسه، الحكم في ما إذا كانت المعارضة الإسلامية ستتحول إلى حركة جماهيرية في المستقبل. الواضح من الطرح السابق أن المعارضة يمكن أن تكون منظمة ويمكن أن تدعو أن لها مؤازرين بين علماء دين كبار ومنهجيين اقتصاديين. ومن الواضح أيضاً أن بناء معارضة في الخارج كان يحظى بدعم مالي من أشخاص في العربية السعودية برغم الصعوبة في اكتشاف المصادر. ويمكن للمعارف اللاهوتية لدى العلماء الشباب، متضمنة مع المهارات التنظيمية لدى جيل شاب من السعوديين المتعلمين الذين يتعاطفون مع آرائهم، أن تخلق وضعًا متفجراً في العربية السعودية. وتستمر الخطرة الدينية في إلهام جيل ناشئ تبقى آفاق أمنة ورخائه الاقتصادي غامضة، بينما يحاول الحكم إزالة أثار الدروع الناجمة عن الأزمة الاقتصادية في الثمانينيات وحرب الخليج.


(1) عن تطلعات الشباب السعودي، انظر ياني 2000.
الخلافة

برغم ما بدأ من أخبار التهديد الإسلامي في عام 2000، فإن وراثة العرش تبقى موضوع تكتنفات. ويمكن لانعدام سباع على السلطة داخل الأسرة الملكية أن يوقظ سخط الإسلاميين ويهدد بزعزعة استقرار العربية السعودية.

ويمكن لنشوب صراع سافر على الخلافة بعد رحيل الملك فهد الذي يعاني من اعتلال صحته أن يؤدي بسهولة إلى اتباع المعارضين الإسلاميين الآن وقد اكتسبت مهارات هامة في التعامل مع الإعلام وأصبح لديها شبكات تنظيمية للدعم وإطلاق حملات ضد الحكم. ومنذ عام 1998، كثيراً ما كشف في الصحافة أن الأسرة الملكية الحاكمة ارتجأت تولي ولي العهد الأمير عبد الله (ولد عام 1932) كل السلطات رغم الحقيقة المثالية في أن الملك فهد لا يعد يسيطر على الحكم بسبب تردي وضعه الصحي (القدس العربي، حزيران/يونيو 1998). ولعل الأسرة الملكية تتردد في إعلان عبد الله ملكاً لعدم وجود إجماع بين أفرادها أنفسهم. ومنذ منتصف التسعينيات، أخذ ولي العهد الأمير عبد الله على عاتقه تثبيت الملك في مهام الحكم المختلفة.

لكنه لم يعلن ملكاً بصورة رسمية حتى الآن. وما زال الملك فهد يظهر على شاشة التلفزيون السعودي بعد قضاء إجازات في ماربيلا وقيامه بزيارة مدن أخرى في العربية السعودية. ويظهر الملك جالساً على كرسي متحرك يستقبل المهنيين في مطار الرياض. ويصف أفراد الأسرة الملكية والعلماء وضبط الجيش لتقيbil يده أو منبهه أو نفسه حسب الرتبة والمكانة. وفي 24 أيلول/سبتمبر 2000، على سبيل المثال، خلال الاحتفال بالعيد الوطني السعودي، بث التلفزيون عودة الملك من زيارته إلى جدة.

وفي الوقت الذي تسري شائعات كثيرة بأن أشقاء فهد (سلطان وسلمان وعبد الرحمن ونايفاً وتركياً وأحمد) يخططون لتجاوز عبد الله إلى الخلافة، لا يبدو أن هناك اتفاقاً على من ينبغي أن يرث العرش. وحقيقة عدم وجود سابقة تاريخية بتنازل ملك سعودي عن العرش لأسباب صحية، جعلت نهاية القرن العشرين فترة زاخرة بالتكنات بمثابة السياسة الملكية. ولن يتردد أشقاء فهد بدأ «الأقدمية» لأن هذا المبدأ لم يتحتم قط احتراماً كاملاً في السابق. وما قد يشكل كابناً هو إمكانية وقوع انشقاق بين أفراد الأسرة الملكية في حال أنهم تجاوزوا عبد الله تمامًا واختاروا ملكاً من يسمون «السبعة السديرة» (هندرسن).
كيشيشيان 2001). وما سيجعل الخلافة حتى أشد تعقيداً هو الإمكانيّة المتمثلة في أن الأسرة الملكية، نظرًا إلى أعمار الجيل الثاني (فهد وأخوه)، يمكن أن تختار ملكاً من صفوف الجيل الثالث (أخفاف ابن سعود). ويبدو هذا السيناريو مستبعداً لغياب المرشح الواضح بسبب حجم المجموعة الملكية من الجيل الثالث. وفي الوقت الذي تبقى السياسة الملكية سراً من الأسرار العليا، فإن صحفاً أجنبية تحدثت عن تشكيل «مجلس للأسرة الملكية» مهمته بحث «قضايا العائلة والخلافة». وبينما تجري هذه النقاشات وراء أبواب مغلقة، يتتررجون السعوديون الملك الذي سيقودهم في القرن الحادي والعشرين. ويبقى أن نرى إن كانوا ينتظرون بصمت.
الفصل السابع

مروريات الدولة: مرويات الشعب

إذاع ما للدولة السعودية من حضور كبير الآن بفضل البنية التحتية التي شيدتها، فإن علاقاتها مع شعبها وتاريخها تبقى علاقات خلافية. ولذا السبب، فإن تشكيلات الماضي المدعومة من الدولة، كما تتبدي في المدونات التاريخية الرسمية والخطابية السياسية والمهرافات، تصنع ذاكرة تاريخية تعمل على فرض الطاعة للفئة الحاكمة. والفروة النفطية لم تكن الدولة من دفع عجلة التحديث الاقتصادي فحسب، بل أوجدت أيضاً مرويات تاريخية توجهاً جديداً من الشرعية، وفي حين أن الدولة تسيطر على البنية التحتية والموارد المالية للبلاد، فقد بات من الهمم بصورة متزايدة أن تم هذه السيطرة إلى المجال الرمزي للأفكار ورؤى الماضي والحاضر والمستقبل.

النهضة الاقتصادية نفسها ابتعدا كبير عن الأفكار السابقة والتطور السابق. وتقدم المرويات التاريخية الرسمية تفسيراً للتحول السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تحق في السنوات المثيرة الماضية في ظل الفئة السعودية الحاكمة والأهم من ذلك أن المرويات المتعلقة بالماضي تصنع إطاراً توضع فيه، جنبًا إلى جنب، العربي السعودية والشعب والحكومة. وتستعيد المرويات الرسمية الحقائق الخلافية والتأويلات المتناقضة إلى حد أنها تصنع رؤية للماضي بصورة وخطابيتها ومراعاتها الخاصة. هذا الفصل يتناول كيف تؤدي سيطرة الدولة على الأفكار، إلى الامتثال وتوسيع هيمنة الفئة الحاكمة. كما أنه يبين أن سيطرة الدولة على المخلية العامة لا يمكن أن تكون ناجحة فعلاً مطلقاً. إن مرويات الدولة تستحوذ رؤى بديلة وخطابات مضادة تبقى راسخة في المخلية التاريخية للشعب في العربية السعودية.

التياري الرسمي

تكريس المرويات التاريخية للدولة السعودية تشيكات من المضي تهدف إلى ربط الحكام والمحكومين بعضهم بعضاً. وهذه المرويات ليست معنية بالدقة التاريخية أو الحقائق، بل بفرض الطاعة للحكم. وتصور المرويات الرسمية القيادة الحاكمة على أنها قوة مهيمنة في تاريخ البلاد.
وأصبح التاريخ الرسمي الوسط الذي يجري تحقيقه هذا من خلاله. إن كتب التاريخ المدرسية التي تُعدّ بربيعة وزارة المعارف تتضمن أقوالًا عن الماضي تشكل مختلاً للمؤلفين الشباب وتكون وعياً بهويتهم الوطنية. وبين تحليل مضمون هذه الكتب المقررة، أن هذه الهوية الوطنية تنتدب بين سياق إسلامي عام وبدع محلي(1).

وبناءً على نهج التاريخ الإسلامي المبكر يشكل جزءاً كبيراً من المناهج الدراسية، فإن التلاميذ يدرسون العصر الذهبي للحضارة الإسلامية. ويؤدي ظهور الإسلام بداية الزمن التاريخي للتلاميذ السعوديين. ويبدأ بعد المحلي بتدريس التاريخ السعودي-الوهمي. ويرتبط تاريخ البلاد المحلي ارتباطاً وثيقاً بنشوء الحركة الإصلاحية الواهبية في القرن الثامن عشر وتبنى آل سعود لها.


(1) شكل مشروع كتابة تاريخ العربية السعودية دائماً، جزءاً من سياسة ابن سعود لتوطيد أركان الدولة.

(2) الأعمال الرئيسية التي رجعت إليها هذه الدراسة هي السيرة النبوية وتاريخ الدولة الإسلامية (العثيمين وحلمي 1993) وتاريخ الحضارة الإسلامية (العثيمين وحلمي 1992) وتاريخ المملكة العربية السعودية (العثيمين 1993). وتدرس هذه الأعمال في السنوات الثلاث الأخيرة من المرحلة الثانية.

(3) للاطلاع على تحليل كامل منهج التاريخ المقرر في المدارس، انظر الرشيد 1996.

218
تدريس التاريخ بعده التلميذ لفهم ظهور الإسلام وسنة الرسول وقيام الدولة الإسلامية الأولى وحياة الخلفاء المسلمين وفترة الحروب الصليبية والرومانية العثمانية. ويقدم التاريخ الإسلامي على أنه سلسلة متكاملة من الوقائع كل منها يؤدي إلى تعزيز قوة الإسلام والمسلمين وازدهار الحضارة الإسلامية بكل مظاهرها الدينية والفكرية والعلمية والعسكرية. ويتخلل هذه التمثيلات للتاريخ الإسلامي إحساس بالحنين إلى الماضي التليد. فهي تركز على الأمة الإسلامية "المثالية" كما كانت في زمن الرسول.

ويتداخل الاحتفاء بالتاريخ الإسلامي مع مناقشة عدد من العوامل التي أدت إلى الضعف. أولاً، تشدد النصوص التاريخية على أن التاريخ الإسلامي ابتتلي بقضية الخلافة. واستناداً إلى النصوص، فإن مشكلة الخلافة أسفرت عن تفشي الطائفية. ويسقط السرد التاريخي الوضوء على طبيعة الطوائف العلوية والدالية بوصفها "فرقةً منحرفه". وتضمن هذه الفرقة الصابية والخوارج والباطنية والإسلامية. ويلتزم النص جانب الصمت عن الانقسام الأول حول مجيء الخليفة الأول أبي بكر على حساب بن أبي طالب ابن عم النبي. ولما هنالك أهميته لأنه أسفر عن نشوء الإسلام الشيعي ولكن النص تميل إلى تجاهله. ولإسقاط الشيعة من التاريخ مغزاً. إذ لا يرد ذكر للشيعة بوصفهم طائفة أو للمعتقلات والممارسات الدينية الشيعية. وفي حين أن النصوص تذكر التلاميذ بطولات ثانية لا يعتمد بعدد أفرادها في العالم الحديث، فإنها تغفل الطائفة التي كثير من الأتباع الأحياء في العربية السعودية وأماكن أخرى. وباب التاريخ السعودي يُالم باصول ومعتقدات البعض من مواطنيهم وعجائرهم.

ثانياً، تؤكد النصوص الطبيعة التقسيمية للعصبية القبلية. وفي هذه المرويات، مُتم رفض قاطع للهوية القبلية تتسنده أدلة من القرآن والحديث. وتذهب النصوص إلى أن القبيلة تؤدي إلى التعصب على أساس رابطة الدم. وتنبغي الاستعاضة عن الولاء القبلي بالولاء للدين. وتتgetElement هذا الخطاب بالآخرين نظرًا إلى أن المجتمع السعودي كان زمن طويل منظماً على أسس قبلية، والضمن القبلي واحد من أهم محاور التنظيم الاجتماعي. وهذا الخطاب يدعو إلى التحول من الوعي القبلي إلى الوعي الإسلامي.

بالإضافة إلى رفض الطائفية والقبلي، تشجب النصوص الأفكار العلمانية مثل القومية العربية. وفي حين أن اللغة العربية والشعر العربي موضوع احترام في منهج اللغة العربية. فإن
كتب التاريخ تؤكد مجدداً رأي المرجع الديني الأكبر في البلاد، الشيخ عبد العزيز بن باز(1)، الذي وصف القومية العربية بأنها «جاهلية ملحة»، غرضها الرئيسي محاربة الإسلام وتدمير تعاليمه وأحكامه، وقد اعتمد الطريق كذالك من العرب، وهم أعداء الإسلام. وهذا ما يثبت له الملحقون ويشجعون عليه. إنها حركة ضالة وباطلة (الشعبي وحملي 1993: 89). وتتشدد
كتب التاريخ السعودي على أن القومية العربية أوروبية المنشأ، يهودية الدوافع، تؤدي إلى النزاع والانقسام والصراعات. وهي تتناقض مع روح الإسلام (الملحق السابق). وتصور القومية على أنها مؤامرة مدعومة من الغرب والصهيونية لتكوين وحدة المسلمين. واستخدم خطاب الالتزام الإلحاد يشكل في شرعي عدد من الدول العربية المجاورة. وتُعلق النصوص أن القومية حركة غير
شرعية. وهذه الأحكام تشكل الرأي العام وتشجع النفور من الآخرين: «الزناقة».

من الحركات الأخرى التي لها عواقب مماثلة في خطورتها، الشيوعية. وهي توصف بأنها حركة تؤدي إلى عبودية الفرد للنزعة المادية والخلي عن الصفات الروحية والأخلاقية. وعلى الغرار نفسه، يُؤدي «التيار» إلى فقدان اللمع والممارسات الإسلامية. وسياسياً، فإن التأريخ يشجع على إدخال أنظمة سياسية غربية وأحزاب سياسية وبرلمانات بما ينال من التلامج والإجماع الاجتماعي. والتيار يؤدي إلى تفشي البؤس والمعاناة بين المسلمين (الشعبي وحملي 1993: 82). واجتماعياً، يُصوَّر التيار على أنه يضعف السلوك الإسلامي، وهو يؤدي إلى التخلف بين الجنسين وفتح الأندية الليبية واختفاء الحجاب وتشجيع الربا والاحتفال بأعياد غير إسلامية مثل ميلاد المسيح وعيد الأم وعبد العمال. كما أنه يؤدي إلى النطق بلغات أوروبية على حساب اللغة الأصلية، وتسجيل الطلاب في مدارس تبشيرية (المصدر السابق).

وتتوقف النصوص عند جانب السبلي لاستخدام العامية في إشارة إلى الحركة التي تدعو إلى الاستعاضة عن العربية الفصحي باللهجة الدارية. وتشير هذه بأنها قوة داخلية تهدف إلى تدمير التقاليد واللغوي للأمة الإسلامية، وتُضعف قدرة الناس على فهم رسائل القرآن والأدب العربي الكلاسيكي وتقديرها (الشعبي وحملي 1993).

يُدرس التاريخ الإسلامي في المدارس السعودية بإحساس قوي بالغيبيبة. فهذا التاريخ مبني
بصفة حتمياً، وهو يسرد قصة حضارة سمتها الإنجاز والنجاح، قوضتها أعمال وأفكار أولئك

(1) جرى التعبير عن آراء الشيخ ابن باز حول القومية العربية في قتالها ومبادرات مختلفة عن الموضوع.
الذين خُلِّقوا عن روح الإسلام الحق، وتداعِ الطائفة والقبلية والقومية والشيوعية والتفريع مسؤولية عن التفسير الاجتماعي. ويجب كتب التاريخ المدرسية، فإن الركود أصح مصير الأمة الإسلامية بتأثير مثل هذه القوى؛ فإن الناس عن دينهم باحثين عن مفاهيم غريبة. وتشير النصوص إلى الضرورة الملحة لإعادة الأمة إلى "جادة الصواب".

عند هذا المنطق، تقدم الحركة الوهابية وتأسيس الدولة السعودية - الوهابية الأولى (1844-1878). وتصبح الوهابية والدولة السعودية آلية تصحيفية تعبد الأمة إلى الصراط المستقيم. وعند هذه النقطة الحساسة أيضاً، ينتقل التلاميذ السعوديون من التاريخ الإسلامي العام إلى التاريخ المحلي لبلدهم.

في السنة الأخيرة من المدرسة، يدرس التلاميذ تاريخاً شاملاً يتناول صعود الحركة الوهابية والدول السعودية الثلاث. ومنطق التاريخ الوهابي والسعودي هو "حالة الفوضى" التي كانت تضرب أطلالاً بين مسلمي الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر (العثيثين 1893).

وعن جغرافية الجزيرة العربية، تقدم النصوص أربع مناطق هي الحجاز والجنوب الغربي والشرق وجد. وتؤكد أن سكان هذه المناطق كانوا يعيشون حالة من الأخطاط الأخلاقي والفكري والديني والسياسي. وبعد تعريف موجز بالقيادة الإقليميين المحليين، تصف النصوص الأوضاع السياسية بأنها كانت تتسم بالصراع والنزاع والتفاوت. وطبقاً للسرد الرسمي، فإن التحياش بين المجموعات المحلية المختلفة كان غالبًا وبيتي حالة منشودة. ويوصف الاقتصاد بالتنوع حيث يجمع بين حياة البداوة والزراعة والتجارة. كما يرد ذكر عائدات الحج. وللإفطار الاقتصادي لم يكن بـ "نهائي" إلا أن تعديل الاستقرار السياسي وسياسة الصراعات والنزاعات والمنافسة بين حكام محليين جشعين. وكان هذا أيضاً مثلاً للفينيق الذي يوصف بأنه كان غائباً من الناحية العملية في مجتمع متوهج. وباختصار، المدن الرئيسية في الحجاز ووسط الجزيرة العربية حيث كان الخبراء الذين المحليون يدرسون مبادئ الإسلام، فإن غالبية السكان بقوا جاهلين بحسب النصوص.

السماة التي تتنال النصيب الأكبر من التشديد لدى سكان الجزيرة العربية، كانت انتشار "البدع" و"الخرافات" التي تعود خارجة عن الإسلام الحق. وترسم النصوص صورة لهؤلاء السكان بوصفهم ضحايا الظلم والخرافات. ويؤدي نقاش الحقبة السابقة على ظهور الدولة
الوهابية - السعودية، إلى الاستنتاج أن جميع المناطق التي أصبحت في ما بعد جزءًا من العربية السعودية، كانت تحتاج إلى إصلاح ديني لإلغاء العناصر المناخية للإسلام، وإلى إصلاح سياسي لتوحيد البلاد والقبائل من أجل الأمن والاستقرار (المصدر السابق: 12).

وطبقًا للنصوص، فإن المنطقة الأكثر جنوحًا إلى دعم الإصلاح كانت نجدًا بسبب موقعها الجغرافي بعيدًا عن السيطرة العثمانية. وكان ظهور الحركة الوهابية في نجد "تحديًا طبيعيا" في منطقة كتب لها أن تقوم بدور فيدائي. وتوصف نجد لا بوصفها المركز الجغرافي للجزيرة العربية فحسب، بل قلبها الديني والسياسي أيضاً. وبصفتها هذه، فإن نجد أهمية بالغة لا في الماضي فحسب بل في الحاضر والمستقبل أيضاً.

تصنع المرويات التاريخية السعودية ذكريات سكان منقسمين بحروب وانعدام الاستقرار والصراع تمثيلًا للدور الكبير الذي لعبته الدعوة الوهابية وتبني السعوديين لها في القرن الثامن عشر. وتؤكد المرويات الدور القيادي للزعامة الدينية – السياسية النجدية في إنقاذ باقي الجزيرة العربية من حالة "الفوضى والاجهال" السابقة. وتبقي مثل هذه المرويات سطحة لدى التعامل مع الفترة السابقة للحقيقة الوهابية – السعودية. وتشتغل المرويات بتوصيفات سلبية للسياسة المحلية والمجتمع المحلي. وتوضع هذه الصور السلبية في تعارض مع الاستقرار الذي أنشاعته الدعوة الوهابية وتبنّى الزعامة السعودية لها. وتصبح الحركة الوهابية هي المتدينة كأيديولوجيا كانت في صميم إشاعة النظام والاستقرار. وتصور على أنها رد حتمي على أزمة ملحة وشاملة. ويعالج تفوق نجد دينيًا وسياسياً على المناطق الأخرى معالجة واسعة في السرد. ويتطلب على ذلك أن المناطق الأخرى ينبغي أن تقدّر إنقاذها من وهدة الجهل بفضل مجهود النخبة السياسية السعودية التي تبنت الوهابية ونشرت رسالتها.

بعد تثبيت الصعود الحتمي للحركة الوهابية، تقدم النصوص المحاولة الأولى لتحقيق الوحدة تحت راية السعوديين في منتصف القرن الثامن عشر. ويوصف الخليف الذي قام بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود في عام 1744 بأنه خطة حاسمة في تاريخ الجزيرة العربية. ويكمن في أساس الخليف توزيع للألوان؛ آل سعود يوصفون بأنهم الذراع العسكرية والسياسية للإصلاح الديني، ولولا جهودهم لطال أمّد الجاهلية العربية الثانية على حساب الدين والتلاحم الاجتماعي.
يُكرِّس قسم كبير من السرد التاريخي لتكوين الدولة الحالية. ويوصف هذا تحت موضوعة التوحيد. وتُصور عملية التوحيد على أنها استعادة حق آل سعود التاريخي في حكم المناطق التي كانت ملك أجدادهم منذ القرن الثامن عشر. ومن الهمام أن يلاحظ أن كلمة «التوحيد» لا تُستخدم لوصف الحملات العسكرية في الجزيرة العربية بعد استيلاء ابن سعود على الرياض في عام 1902. ويُشير السرد التاريخي على استيلاء ابن سعود على المدينة بوصفه قصة بطولة اجتذبها ابن سعود وأربعون رجلاً. ويروي أحد الكتب المدرسية هذه الأسطورة واصفاً دخول ابن سعود ورجاله منزل الحاكم ليجدوا زوجته التي قالت لهم إن الحاكم في قصر المصمك مع حاميته. وانتظروا حتى الصباح، وعندما ظهر الحاكم انقض عليه ابن سعود ورجاله. وقتل حاكم الرياض، وذهب سكان الرياض لتحية حاكمهم الجديد. وهذا نجح عبد العزيز في محاولته الأولى توحيد البلاد (العثميين 1996: 72-73).

يُغفل السرد التاريخي الرسمي أن يستطع المقامة التي أُبدتها قبائل ومناطق مختلفة.

وتستر عناوين ابن سعود ضد أعدائه في تسجيله للمواقف من دون تفسير للنتائج ومؤامراته. وبعد اطلاع التلميذ على سلسلة من المعارك الناجحة، بُعِّلت انتباهه إلى منجزات السلطة الجديدة. وتصور النصوص ظهور الدولة على أنه عملية محلية من دون وضعها في سياق دولي أوسع مثل الحرب العالمية الأولى ودور بريطانيا.

ويستعرض فصل ثالث عملية «التحديث» في مجالات التعليم والصحة والتكنولوجيا والرعاية الاجتماعية والاتصالات. ويرد هذا تحت عنوان «النهضة» برعاية الملك سعودين.

وبين فصل أخير دور المملكة في العالم العربي المعاصر. وتُصور العربية السعودية على أنها المدافعة عن القضايا العربية عموماً، وتصير مصالح الخليج الإقليمية (1). كما بُلِّغت الانتباه إلى دور العربية السعودية في العالم الإسلامي. ويؤكد النص أن العربية السعودية كانت وراء تأسيس العديد من المنظمات الإسلامية الدولية كمؤشر إلى التزامها بقضايا المسلمين (3).

---

(2) من الأمثلة على ذلك دور العربية السعودية في تأسيس الجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي.
(3) من الأمثلة على ذلك الرابطة العالمية الإسلامية في عقد، التي ورد ذكرها سابقاً في هذا الكتاب.
السرد التاريخي للكتاب المدرسي يضع السعوديين في سياق إسلامي أوسع. ويجري التشديد على كون العربية السعودية جزءًا من أمة إسلامية. وتطرح هوية إسلامية عالمية بوصفها إسلامًا واسعًا ي ينبغي أن يوضع فيه السعوديون كأفارد. يلزي ذلك تشديد قوي على دور الفئة السعودية الحاكمة في تحقيق الوحدة بين المناطق والسكان الذين كانوا متضمنين. ويتمثل هذه المرويات كـ "البالمظعين". ينجز التلاميذ من معرفة ماضيهم وتقاليدهم المحلية. ويبني الماضي مفردات سلبية. فلا التقاليد المحلية ولا الثقافة الدينية حضورًا. ويخرج السعوديون من الصفي بحريناً للماضي قبل الحقبة السعودية - الوهابية على أنه واقع مظلم يتسم بالتجزئة والانقسام. ويؤكد النص أن الخلافات تحقق بمعنى الحركة الإصلاحية الوهابية وتبني الحكام السعوديين لها. ويصور هؤلاء الآخرون على أنهم المتعاقدين الذين أطلقو في مجرى عملية استمرار حقوقة أجدادهم في أراضي الجزيرة العربية. في إنقاذ قبائل السكان من حالة الجهل التي كانوا فيها. وفي هذا السرد التاريخي، يحتفظ بالولاء للفئة الحاكمة. وإزاء تجاهل التاريخ الإقليمي المحلي لا يمكن للمرء أن يتوقع نشوء وراءه شفاه أو شعب (عطار 1988: 185).

أصبحت المدرسة في الخليج التي يعيش فيها الاحتكاك الثقافي حيث يُطْلَب الطابع المحلي والثقافة المحلية. ولا يلقي الطلاب السعوديون تشجيعًا على التماسه مع مواطنينهم. فإن كتاب التاريخ المدرسي تشجع على القطيعة مع الهوية المحلية لصالح مثل أعلى عام هو الأمة الإسلامية. كما يستبعد النص أي نقاش مع كان عربي أوسع بسبب تصويره السلي للقومية العربية.

فالذاكرة التاريخية معينة بتزويد شرعية الفئة الحاكمة على حساب تكوين هوية وطنية. وكتب التاريخ المدرسي تغلف منجزات الشعب بكل تجلياتها. وفي الوقت الذي يُجْعَل فيه في الفترة الإسلامية الأولية بوصفها حقبة مثاليةً من حقب الماضي، يُجْرَي تذكر التلاميذ السعوديين بالاختيار الذي سبق الفترة الوهابية - السعودية. ويوضع العصر الإسلامي الذهبي فيعراض مع ظلام الجاهلية العربية الثانية ؛ عصر الجهل الذي سبق ظهور الحركة الوهابية.

يترندي التصور السلي للماضي في دراسات تاريخية أخرى لأجواء محددة من حياة السكان في الجزيرة العربية. ونأخذ على سبيل المثال تقييم البادية والقبلة عند مؤخرة سعودية معاصرة، موضي بنت منصور بن عبد العزيز، وهي أيضًا حفيدية ابن سعود. ففي سياق دراسة

(1) يتعرض تحليل القومية العربية لمئات من تحليلات في الدراسات مع تقويض الحركة تقوميماً إيحابياً في السيناريو.

تاريخية لمستوطنات «الأخوان» أو «الهجّر»، تؤكد الكاتبة أنه كانت هناك حاجة إلى توجيه طاقة البدو التي كانت حتى ذلك الوقت تُهدّد على الغزوات والسلب والعدوان، نحو أهداف مشتركة أكثر (موضى بنت منصور بن عبد العزيز 1993 : 63). ويوضح توطن البدو الذي أعقب إقامة الهجّر الأخوانية في أوائل القرن الثامن عشر بأنه دالة عبرية ابن سعود باعتباره الحاكم الأول في تاريخ شبه الجزيرة الذي يؤكد من أن البدو لا يمكن تعليمه وتحويله إلا إذا استمر في حياته، وأنه لا نظام في حياة فرد من البشر بدون بيت، والبدي العربي المضطهد، الذي لا يعرف البيت، قد يتحول إلى حضارة معادية للحكومة المستقرة في الدولة الحديثة. ومن ثم أقدم الإمام الملك عبد العزيز على فكرة التوطين، مصحوبة بالعزم على استبدال العادات والتبادل والأخلاق البدوية بالشريعة الغراء.

(المصدر السابق : 49).


وكلما تُصور القبلية على أنها تقيس النظام الأخلاقي الإسلامي، فإن الهويات المحلية أيضًا ترفض في هذه المدونات التاريخية. وثمة محاولة متعمدة لتمييز طابع المناطق المختلفة باستثناء نجد. ويشهد التاريخ السعودي على دور نجد المركزي في توحيد البلاد. إذ لم تكن نجد مهد 225
الحركة الإصلاحية الوهابية فحسب، بل موطن آل سعود التقليدي أيضاً. وتصور نجد في الداركة التاريخية على أنها المنطقة التي أخذت على عاتقها تحقيق الخلاف.

لا تنطلق مرويات الدولة إلى فترة الملك سعود (1933 - 1964) وما هذا بمجرد إزاء الصراع على السلطة الذي ارتبط بهذه الفترة المضطربة من التاريخ المعاصر. وتُحجَب هذه المعرفة عن التلاميذ لصالح سرد معتقلي «الاستمرار» و«الحديث». يضاف إلى ذلك أن مرويات الدولة تعتبر النقطة «نعم» مع ما ينطوي عليه ذلك من افتراض أنه مكافأة على جهود مبكرة قامت بها زعامة ورغة. ويُعامل الامتناع النفي عام 1933 بوصفه دليلاً على حركة ابن سعود السياسية وبإيذار نظره. ولا تظهر في هذا السرد حياة العمال السعوديين الأوائل أو الدور الذي قامت به شركة نفط أمريكية. وتُصور «سعود» «أرامكو» في الثمانينيات على أنها عملية طبيعية بعد تأخير السعوديين وتواجد الخبرات المحلية. وفي حين تزمن عملية نقل الملكية هذه بوصفها تطوراً أرتقائياً، يبقى التلاميذ في جهل بكيف ولماذا حدث ذلك. ويجري تفادي خطابية التأكيم لأنها تستدعي صور تسبيس ونضال ضد شركة أجنبية، وحقيقة أن «سعود» «أرامكو» لم تظهر بالبال إلا في وقت متأخر جداً هي الأخرى ستصبح إشكالية. فالمواعيد الرسمية تُسقط الحقائق الخلافية التي يمكن أن تلقى ظلالاً من الشك على الأجندة السياسية للفئة الحاكمة.

الخطاب السياسي

يتنافض الخطاب السياسي إلى التكرار في تأكيد الموضوعات التايوذية في دراسات تاريخية لكنها تتنافض أيضاً مع جوانب من هذا التاريخ. ولتأخذ الخطاب الذي ألقاه الملك بعد حرب الخليج عندما أعلن سلسلة من الإصلاحات، استهدفا الملك خطابه بالتحيا الإصلاحية التقليدية ثم مضى إلى تذكر مستمعيه بـ«بواقعة تاريخي» راسخ حسب تعبيره، في «حقائق تاريخية»، وكان التشديد الرئيسي على كيف وُلدت العربية السعودية في العصر الحديث، مجتمعاً ونظاماً سياسياً.

قال الملك إن الدولة السعودية الأولى قامت في التاريخ الحديث على أساس الإسلام قبل أكثر من قرن ونصف القرن باتفاق إصلاحي يهم الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن...

(1) نوقشت الإصلاحات التي أُلْبِت في هذا الخطاب في الفصل السابق (السادس).

ثم تابع الملك، سرّد عام استحضر ذكرى تأسيس تاريخية مشتركة عن الطريق التي تكونت بها المملكة. وحدد اختبار الفاعلين التاريخيين الرئيسيين. ويتوقع هنا أن اختيار حوادث التاريخ الرسمي لم يكن عشوائياً من بين وقائع اللغة التنوع والاختلاف، بل كان انتقاءها بعناية لتبنيت النظرية الرسمية إلى النظام السياسي. واختارت رواية الملك للتاريخ تحلل آل سعود والحركة الإصلاحية الوهابية بوصفها نقطة الانطلاق التي جاءت إباناً بظهور العربية السعودية الحديثة.

وواصله الخطاب الفترة التي سبقت تضامن الحلف السعودي الوهابي عام 1944 بوصفها زمن خوف وانقسام يعني حالة طبيعية «هوبزية» Hobbesian، عامة تتسم بفعل أخلاقية واجتماعية.

ثم صور الحلف على أنه كان خلاصاً للناس من الأخطار الاجتماعي والديني والأخلاقية، فعلياً إلى حقبة يسودها الأمن والوهام والثقة والتضامن. ثم انتقل الملك إلى حقبة تاريخية أحدث عداً هي توحيد العربية السعودية على يد ابن سعود، مؤكداً بقاء آل سعود أمناء للإسلام، عقيدة وشرعية، خلال عهد الملك عبد العزيز الذي بنى العربية السعودية ووحدة على أساس هذا البرنامج برغم الأوضاع التاريخية الصعبة التي تواجهها. ويرغم هذه المصاعب عند العزم على تطبيق المنهج الإسلامي في الحكم والمجتمع (المصر السابق).

وتطرق الملك في خطابه إلى "الوطن والمواطنين". وفي حين أن الخطاب صور الانتقادات في إطار إسلامي وعربي عام، فقد كان التشديد الرئيسي على السمات المحددة والفردية للمجتمع والحكم السعودي. ورأت هذه الخصوصية بوصفها دليلاً على تطور العربية السعودية تطوراً تاريخياً مستقلًا من البلاد طابعاً الحالي. إذ بقيت البلاد جزءاً من الأمتين الإسلامية والعربية، فإن خطاب الملك استحضر «اختلاف» الأمة السعودية «وبقائها» و"خصوصيتها". ودأ على تذكر مستمعيه ب"وضع المملكة الحكيمة". وصور هذا الاختلاف على أنه نتاج تفوق "الأعراف والتقاليد السعودية والمجتمع والحضارة" السعودية "المتميزة". وحاول هذا الخطاب أن يحقق هدفين: الأول أن يؤكد أن العربية السعودية جزء من كيان أكبر هو العالم العربي والإسلامي، الأمر الذي يعني أنها تتبنى قضاياها وتشتت تعاونهما اهتماماتهما. وبعد تبنيت ذلك، هياً المستعنين لقبول المبدأ الثاني: مبدأ التطور المنفصل في إطار ذلك الكيان الأوسع. وكانت دلالات
ذلك تدور حول قضية الحكم. ويبدو أن الخصوصية الثقافية تتطلب انفصالاً على مستوى الحكم والسياسة.

أولاً دور الفرد اتِماماً عابراً في الخطاب. وجاء ذلك في سياق كلمات الملك عن تحديث البلاد والتطور اللاحق. وقال إن المواطن السعودي هو الركيزة الأساسية لتقدم هذا الوطن وتطوره. وإن الحكم لن ينفع جداً في عمل كل ما من شأنه تأمين هذه السعادة والطمأنينة (باللوك 1992).

2) ولم يكتسب دور الفرد أهمية إلا في نهاية الخطاب عندما قدم الملك توقعاته للمستقبل. ولم يكن ذكر المواطنين السعوديين ورد قبل ذلك. وفي الحقيقة أن الأجزاء السابقة من الخطاب ركزت حصراً على الإسلام ودور آل سعود. ولكن مسؤولية المستقبل أُلقيت على عاتق الفرد الذي يصبح حينذاك أداة "التقدم والرقي" (الرشيد 1996: 371-371).

الخطاب السياسي والتاريخ المكتوب، كلاهما يشدد على ظلامة الفترة التي سبقت الحقبة السعودية - الوهابية. ويجري تذكير السعوديين في الدوام بوافقة تاريخية تحقّق خلالهم منها بفضل عامليين تاريخيين كبارين، هما المصلح الوهابي والآن سعود. وبدأ أن هذا التأويل للناضلي ينطوي على دعوتين. فهو يُرضي المؤسسة الدينية بما يُنسَب إلى الوهابية من فضل في رسالة حول المجتمع وأعادته إلى جادة الصواب، ويُبرِز دور آل سعود في عملية التحديث. ولكن الخطاب السياسي له إلى الطابع العربي للعربية السعودية، وهي قضية كانت تُنحى إلى مرتبة ثانوية في كتاب التاريخ المدرسي المقررة. ورأينا كيف تصف كتاب التاريخ المدرسي القومية العربية بأنها "ماجدية ملحة". ونَقَل التذبذب بين هوية إسلامية وتراث عربي تناقضاً لم يحلّ حتى الآن. وكان الملك فهم ألقى خطابه في وقت أخذت معارضة إسلامية محلية تكتسب زخماً معاَظماً في أعقاب حرب الخليج عام 1991. ولعل إبراز الطابع العربي للعربية السعودية كان سلاحاً سياسياً ضد المد المتصاعد للاستياء الإسلامي. وفي حين لم يكن بقدر الملك فهم أن ينتمي إلى دور الحركة الوهابية في توطيد أركان الدولة السعودية الأولى عام 1944، فإن خطابه "العربي" كانت محاولة لإجهاد حيز في الخريطة العامة تقيم فيه مصادر هوية بديلة. وبلغ تهيميش الأساس الإسلامي للدولة ذروته بالاحتفالات المئوية التي سُبِحَت لاحقاً في هذا الفصل. 278
تحدي الهروي التاريخي

عمل إغفال التاريخ المحلي مؤخرًا في السرد التاريخي الرسمي، على تشجيع مرويات مضادة
بأقاليم مثقفين سعوديين من المناطق والأقاليم (الرشيد 1988 1). ويختلف عملهم بالتقلّد والتقاليد
المحلية. وكان الجزء اللذان كتبهما الحسن عن تاريخ الشيعة في الأحساء، يُشيران إلى بداية
عملية كتابة التاريخ من موقع مهمش ومثل هذه الكتب تتحدى السرد التاريخي الرسمي. وإذ
تُحرر المرويات الرسمية شبيهة السعودية من احتلال موقع في ذاكرة البلاد التاريخية، كما يتبدى
ذلك في إسقاطهم من الكتب المدرسية، فإن الحسن يعيد طافته إلى الزمن التاريخي بوصفها
عابلاً فعلاً (1). وهو يُعلن أن أهدافه تتمثل في، أولاً، تقديم التاريخ الحقيقي للطائفة الشيعية
السعودية وثقافتها، وثانيًا، التي مُحيت من المروي السعودي وكان لا وجود لها، وثالثيًا,
تُسليط الضوء على التمييز الواقع ضد الشيعة في ظل الحكم السعودي (الحسن 1993: الجزء
الأول، ص.7).

يقدم عمل الحسن أصول الطائفة الشيعية باعتبار أنها تعود إلى زمن الرسول محمد (ص).
وهو يعد المجموعات القبلية الرئيسية في الأحساء والقطيف والحجاز، ويتر بأن أصول الشيعة
القبيلة لا يمكن أن تقفز بسهولة نظرًا إلى أن أفراد الطائفة توطنوا في الواحات والمدن زمنًا
أطول من باقي السكان. ويذهب الحسن إلى أن التوطن تسبب في إضعاف الولاء القبلي وفقدان
الذاكرة بشان النسب. وهو يرفض الادعاء القاتل إنه يسبب تشابه اللهجة الشيعية مع اللهجة
العراقية، فإن الاستنتاج الذي ينبغي الخلوص إليه فورًا هو أن أصل الطائفة من العراق. ويُفسّر
التشابه اللغوي بأنه دليل ارتباطات لاهوية ودينية حافظ عليها الشيعة السعوديون مع الحوازات
العلمية الشيعية في العراق. ويجعل الحسن إلى أن الشيعة جماعة محلية جذورها في العربية
السعودية. على الضد من دعوى الخطاب الرسمي الذي يذهب إلى أن أصول الشيعة
من العراق وإيران.

بلخص الحسن تاريخ الشيعة في القرن التاسع عشر، ويساهم الضوء على المحاولات
السعودية لإخضاعهم. وهو يختفي بتطور الطائفة الفكرية في حقول الأدب والعلوم الإسلامية.

يقدم تاريخ الخمسة تفسيراً لضم الأحساء إلى السلطة السعودية في حوالي عام 1912. وفي حين أن كتب التاريخ المدرسي المثير إليها سابقاً، تصف العملية بأنها «توحيد»، فإن الخمسة يسميه «احتلالاً» ويتخلى صحة دعا أبو سعود أن كل ما يفعل هو استعادة حقوق أجداده التاريخية في هذه الأرض. وكانت الأحساء إقليمياً عثمانياً في القرون السادس عشر والثامن عشر والعشرين. وبين الخمسة أنه في القرن التاسع عشر استمر الحكم السعودي في الأحساء 31 عاماً فقط. وكان محتطاً ببسبب الثورات المحلية. كما أنه يرفض السرد السعودي الذي يذهب إلى أن سكان الأحساء المحليين «دعوا» السعوديين إلى إنقاذهم من حكم الأتراك.(1)


(1) بين الخمس أن الشيعة تمنعوا في ظل الحكم العثماني بحرية أوسع منها في ظل الحكم السعودي.
وفي محاولة لتأكيد الخصوصية المحلية، تبرز عالمية أنثروبولوجية حجازية أهمية اللباس الملون في مملكة المملكة العربية السعودية (يُنكر) 1997. ولكن توطيد أركان الدولة اقتترن بإنشاء التجانس في اللبس على حساب الهوية المحلية. وأصبح من الممارسات العامة أن يرتدي الرجال السعوديون الثوب الأبيض الطويل وغطاء الرأس بينما تتجمع النساء كاففة بالنقاب الأسود. وتتفاوض الشرطة الدينية التقليدية بقواعد اللباس لأنها تعتبره جزءًا من بناء وفرض نظام أخلاقي إسلامي يقضي ببدا الاستخدام المتوافق. ويستندي هذا التمثيل في المجال العام تنوعًا محلياً يتبدد في اختلاف الأجيال. واستنادًا إلى يماني، فإن البعض ذهب إلى أن حرمان الناس من هويتهم الإثنية من خلال اللبس هو مثابة تحول يُقترن بالتغييرات التي فُرضت خلال الفترة الكولونيلية. بكمات أخرى، أن البعض يشعرون بأن مثل هذا التغيير الجذري يؤكد الهيمنة السياسية للنخبة الحاكمة. وفي زمن توحيد المملكة في عام 1932، كانت إزالة القوافل الإثنية إحدى الطرق التي سعت بها النخبة الحاكمة للسيطرة على البلاد الشاسعة. وهكذا، قرر مؤسس المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أن على جميع الذين يخدمون في وظائف حكومية أن يرتديوا اللباس البدوي النجدي: اللباس الذي يشاهد على نطاق واسع في العربية السعودية اليوم (يُنكر) 1997: 57 - 58).

تتردد هنا هيمنة جديد السياسية والاجتماعية التي يرد ذكرها في كتابات الشيعة السعوديين، ويفسر فرض الطريقة الدينية في اللبس على جميع المناطق، بأنه جانب من التجانس الذي فرضته الفئة الحاكمة على مملكة الحجاز. وتتفاوض يماني أنه كانت هناك، تاريخيًا، «هوية إثنية حجازية» متميزة تستند إلى عادات وتقاليد محلية. وإذا تُخرج مثل هذه الهوية من التعبير عن نفسها عملياً، فإنها تبقى محصورة في المجال الخاص وتتركز على الممارسات الفردية والمأكولات خلال شهور رمضان (يُنكر) 1996.

وبلغة معاصرة، تُبرز دراسة أنثروبولوجية للتطورات الاجتماعية - الاقتصادية في عبيرة؛ إحدى المدن الكبيرة في القصيم، أهمية التجارة والزراعة. وتتحدد الدراسة السرد التاريخي السائد عن القبائل المتواجدة في الجزيرة العربية بالنظر إلى وجود بنى تحتية سياسية وإقتصادية منظمة. ولا تتمحو الدراسة حول «القبائل»، بل حول التطور الحضري للمدينة وعمليات الإنتاج السياسي والاقتصادي (1). وتقول كتابة من عنيزة أن «العملية المحلية لتكوين الدولة في نجد تسبق الدولة

العربية السعودية الحالية بعدة قرون... وبالإضافة إلى الأدوار المعروفة التي قام بها عبد العزيز آل سعود، فإن هذه الدراسة تلقت الانتباه إلى أدوار التجار والمجموعات الدينية من جديد في عملية تكوين الدولة (التركي وكول 1989: 233-242).

ينال هذا التحول في مركز التمييز من غالبية الخطابات الرسمية عن الدور التاريخي للدولة السعودية في إحلال السلام والنمو أو حتى في صنعهما. ويؤكد المؤلفون في تقويمهم لدور الأمراء المحليين، أنهم "كانوا يفرون عداً من الوظائف مثل الدفاع والتنمو والحكم، التي ترتبط عادة بالدولي. وفي هذا الصدد، لم يكن الأمراء بمثابة أعيان أو شيوخ قبائل، بل كانوا أيضاً رؤساء تشكيلات سياسية قائمة في واقع الأمر" (التركي وكول 1989: 233).

وبتعارض هذا مع الصور التاريخية الرسمية للزعامات المحلية في الحقبة ما قبل الفترة السعودية، الوعائية حيث يوصف الأمراء المحليون بالمستغلين الجشعين الذين لا يكفرن عن الاحترب في ما بينهم لتعظيم ثوراتهم على حساب الاستقرار. وهذه الدراسة هي، في جزء منها، رداً على ما يُسمى الأفكار السلبية "الاستشراقية" في تمثيل سكان الجزيرة العربية حيث تسوت صورة البدوي الجبار. ويجاد أهل هذه الصورة سائدة أيضاً في السرد التاريخي الرسمي للدولة؛ نعوت تتصف إما بأنهم أوشاق جهيلة يُعاد إنتاجها في التاريخ الرسمي من دون تقويم جدي لصالحيتها. ويدعو المؤلفون إلى أنه في عبيرة "كانت الغزوات والحرب سمة ضارة في الفولكلور المحلي، في شكل قصائد بالدرجة الرئاسية. فالنزاعات والعفف هي الأشياء التي تستحوذ على المخلية الشعبية" (المصدر السابق: 29). هذه الصور السلبية للماضي أدمنت في الحقيقة بالتاريخ الرسمي.

هذا النوع من النشاط الفكري الذي تمثله تفسيرات الحياة الاجتماعية والسياسية. قد يؤثر إلى بداية عملية يُطلق عليها السرد الرسمي بتأكيد الخصوصية والثقافة والتقاليد المحلية. وفي الأحساء، والمحاز، والقصيم، استشار السرد الرسمي لعوائد مضادة، أو جائز التماثيل. وحلل الروح الوطنية السعودية في سياق أمة إسلامية عامة. تبقى موضع احترام في التاريخ الرسمي وخطاب السياسي، ولكن معروفة بديلة تتوقع لوضعت السعودية في سياق خبرة معيشة. وفي حين أن هذه المجموعات البديلة تستند إلى الإسلام، فإنها تضيف بعداً كبيراً ما طمس في التمثيلات الرسمية، وهو الاحترام بالتقاليد.

٢٣٢
المحليات والخلفية في إطار الإسلامي العام. وخلاف التاريخ الرسمي، فإن هذه المرويات البديلة لا تدين الماضي ولا تبرز الأخلاق الأخلاقي والاجتماعي المزعوم للجيران السابقين. بل تشمل تسلط الضوء على الشخصية المحلية واستناد إلى قراءة الماضي قراءة معقولة أكثر.

بالإضافة إلى هذا العمل الأكاديمي الذي قام به علماء ومؤرخون سعوديون ذوي مؤهلات عالية عن المجتمع السعودي، يجري منذ السبعينيات تداول نوع آخر من الأعمال الشعبية المضادة للرواية الرسمية. هذه الأعمال من إنتاج معارضين سعوديين في الخارج وكتاب عرب آخرين برعاية حكومات متناوبة لسياسات السعودية. مثل إيران في الثمانينيات، والعراق ولبنان في التسعينيات. وكانت هذه تُنشر سابقاً في لبنان ومصر، ولكن غالبيتها طبعت في عهد أحدث في الغرب، وخاصة في لندن. وفي حين أن الأعمال الأكاديمية محدودة التداول بحكم طبيعتها، فإن المنتشرات الشعبية والمجلات الدورية والكتب تصل إلى دائرة أوسع من السعوديين الذين يقبلون على شرائها بلغة خليجاتهم المنظمة في الخارج. هذه الأعمال متاحة بسهولة ويكيش شرائها من محلات بيع الجريدة وحتى من أسواق السوق ماركت في المناطق التي تتشارك فيها جماعات كبيرة من المغتربين العرب في لندن وباريس وغيرهما من البلدان الأوروبية الكبرى. وغالبية هذه المطبوعات متنوعة في العربية السعودية. لكن السعوديين يجدون طرقاً لأخذها معهم إلى البلد. ويعتب تقدير سعة تداول مطبوع على وجه التحديد، ولكن الأدلة القائمة على ما يُروى، تشير إلى أن الشائع أن يشترى السعوديون عدة نسخ من مطبوع واحد ويتموه إلى أصدقائهم في الداخل. ويجري باعة عرب في بعض أحياء لندن على ترويج هذه الأعمال ولفت انتباه الزبائن المحتملين إلى أحدث المطبوعات.

هذه الأدبيات لا تمثل تقويمات جيدة لل التاريخ السعودي أو التطور الحالي، لكنها تستجيب لشؤون سياسية واقتصادية وراءها. وهي تتحدى الروايات الرسمية عن الأحداث، وتتكشف التناقضات والغرائب في تفسيرات الدولة لها. وعلى سبيل المثال، أن قتل الملك فيصل في عام ١٩٧٥ وحصار المسجد في مكة عام ١٩٧٨ أطلق العديد من التصريحات والتعليقات المضادة.

(1) لا غرو في أن العديد من علماء الاجتماع السعودي يكتبون بالإنكليزية ويقيمون في الخارج. ويشتركون علماء الاجتماع في هذه الخبرة مع الكثير من الكتاب والأدباء السعوديين الآخرين الذين نشط أعمالهم في الخارج. عن الأدبيات والكتب السعودية، انظر العربي ١٩٩٤ للاطلاع على أعمال بديلة صدرت في الخارج. انظر عبيد الله ١٩٩٧.
ومن العناوين التي ظهرت في حينه فيصل: القاتل والقتيل (الشمراني ۱۹۸۸)، زلزال جهيمان
في مكة (القحطاني ۱۹۸۷)، وثورة في مكة ( أبو ذر ۱۹۸۶). ويسلط بعض هذه المطبوعات
الاستياء على فضائحهم في الداخل والخارج، وينال من
صداقية شخصيات سياسية كبيرة (الشمراني ۱۹۸۸). ويشكل استحواز أفراد آل سعود
وموظفيهم على الثروة النفطية لأغراض الكسب الشخصي، موضوعة شعبية في الأدب المعاصر
(عبد الله القحطاني ۱۹۸۸). كما تتوافر بكترة التكهنات عن النزاعات الداخلية
وصراعات الأجنحة بين أفراد الفئة الحاكمة (القحطاني ۱۹۸۸: الشيخ
الشمراني ۱۹۸۸). وفي غالبية
الحالات، يستخدم الكتاب أسماء مستعارة، ويمكن التعرف إلى بعض ناشريهم بينما يبقى
الكثير من ناشريهم الآخرين غامضين أو هميين.

مثل هذه المطبوعات يستمر وجود رغبة ملحة بين السعوديين في البحث عن مصادر بديلة
لتفسير الشؤون الراهنة. وحقيقة أن هذه الأعمال متنوعة في العربية السعودية، تزيد من
غازليتها. إنها متاحة على نطاق واسع في الخارج، وترهبتها وصورها الجريئة وحتى رسومها
الكاريكاتيرية تضيف إلى مغزويتها. والكتاب الذي يقومون رؤى بديلة مهما تمكن مفككة أو
غير مقنعة. مرشحون إلى أن يكونوا أصحاب شعبيه في مجتمع تمكست رقابه الدولة عن شعارات
وخطابية غير معقولة بالقدر نفسه. وهذه الأعمال تهم الدعاية الرسمية وتقاوم قدرتها على
التأثير في المخيلة العامة. وكان التلاعب بهذه المخيلة الشعبية بلغ ذوته باحتفالات الذكرى
المئوية في عام ۱۹۸۷.

احتفالات الذكرى المئوية: عودة إلى الاستياء على الرياض

برغم أن المملكة العربية السعودية تأسست في أيلول/ سبتمبر ۱۹۳۲، فإن الحكومة
فاجأت مواطنيها والمقيمين في الخارج بقرارها الاحتفال بمرور مئة عام على حكم آل سعود في
کانون الثاني/ يناير ۱۹۸۹ (۱۴۱۹ هـ)، حين كان عمر المملكة ۷۷ عاماً فقط. وكانت البللبة
نافذة عن تحقيق أن الخيار وقع على استياء ابن سعود على الرياض (في التقويم الإسلامي
حدث هذا في ۱۳۱۹ هـ) ليكون بداية عملية التوحيد التي تكملت بقيام المملكة في عام
۱۹۳۲. وفي كانون الثاني/ يناير ۱۹۸۹ كانت مرت مئة عام على الاستياء على الرياض.
وأصبح هذا الحدث أسطورًا حددت الحكومة مواردها حولًا للاحتفال بمرور مئة عام على الحكم
السعودي.
وفي حين أن الاستيلاء على الرياض كان سائداً على الدوام بوصفه من مرويات التاريخ المكتوب، فإنه لم يكن خط مناسبة احتفالية بوصفه حديثاً و finanziاً.

في عام 1950 أعّلت احتفالات بوتبلية مناسبة الاستيلاء على الرياض، لكنها الغيت قبل أسبوع من الموعد المقرر لبدءها. وأوضح نائب وزير الخارجية حينذاك للسفارات الأجنبية المدعوة أن الاحتفالات كان بسبب اعتراضات أباها مستشار الملك الدينيون الذين أعلنا أن الاحتفالات الوحيدة الجائزة في الإسلام هي عبد الفطر مناسبة انتهاء الشهر رمضان، وعبد الأردي مناسبة موسم الحج. وكانت تفسيرات أخرى تتعلق بحقيقة أن الملك كان شديد الحزن لوفاة أخيه ولم يكن يرغب في إقامة أفراح (الرسيد 1985: 18).

وفي الوقت الذي أسفرت فيه ضغوط المستشارين الدينيين عن إلغاء الاحتفالات في عام 1950 فإن الضغوط نفسها أخفقت في تحقيق نتيجة مماثلة في عام 1999. وقبل بدء الاحتفالات، تردد أن الشيخ عبد العزيز بن باز أصدر فتوى أعلن فيها أن الاحتفالات "تقليد" يحاكي "الكافرين". وقدّمت هذه الاحتفالات نوعاً من البدء في التراث الإسلامي. وقبل أسبوع من انتقال الاحتفالات، ألقضت نسخ من الفتوى على الخيطان ومداخل المساجد في الرياض. وإذ مضت الحكومة قدماً خططها، تردد أن الأحزار الملونة ومظاهر الزينة الواسعة اختفت من واجهات المتاجر (صحيفة القدس العربي، 4، كانون الثاني/ يناير 1999).

ومنعكس روح الاحتفالات بالذكرى المئوية في قضيّة لم تظهر في المطبوعات المحلية المدعومة من وزارة الإعلام، بل في صحف دولية أيضاً مثل صحيفة فايننشال تايمز (23 أيلول/ سبتمبر 1998). وكان يرد بالقصيدة أن تجسد أفكار ابن سعود ومشاعره حين كان يستند لاستيلائه الأسطوري على عاصمة "أجاداده" مع المخلصين من رجاله. وتتوافق القصيدة قتل عجلان، الحاكم الذي عينه ابن رشيد في قطر المصمك، وهو حصن صيني من الطين تحوّل الآن إلى منحدر وطني في حي الرياض القديم. تبدأ القصيدة بابن سعود وهو يمنع منهف في الكويت مبعداً من قلب الجزيرة العربية وبيته في الرياض الذي سله آخرون، وكيف كانت الغربة صعبة عليه وعلى أهل الذين حرمهم من ملامسة رمال نجد بأرادتهم.

وبعد أن يصف ما لقيه من كرم وحفاوة خلال نفي أسرته في الكويت، يعتقد أن ابن سعود سأل من سيرك معه في رحلته الخطرة.
وصلت الفرقة الغازية ليلًا إلى الرياض وانتظرت أن يظهر عجلان بعد صلاة الصباح الباكر.
وفي ذلك الوقت حسم مصير أمير الرياض الذي انقض عليه ابن سعود ورجاله كما ينقض الأسد على فريسته.

نفذت عملية الاستيلاء على الرياض. ويتوقف ابن سعود عند الحدث متآملاً قعود به الذاكرى عشرات السنين. لم يكن الاستيلاء على الرياض سوى خطوة على طريق شاق طويل.
وبعد معارك كثيرة عقد ابن سعود العزم على بناء دولة مؤمنة، عزيزة وقوية. العدل سيئها والإيمان درعها.

هذا التركيز على الاستيلاء على الرياض، كان من الواضح أن الاحتفالات بالذكرى المئوية لم يكن يُقصده بها تعبئة البلاد حول موضوعات وطنية أوسع. وكان يرد من المشهد أن يقتني بمنحة عام من حكم آل سعود الأسرى. وتحديد أكثر، كانت الاحتفالات تجربة حبكة ابن سعود، وكانت في المقام الأول إشادة بمنجزات رجل واحد بدلاً من منجزات «الشعب» أو «الأمة» المحدودين بفردة إسلامية عمومية وبينة. وصور السكان على أنهم متلقو «نعمة»، ويُنتظر منهم أن يجددوا البيعة لمصادر هذه النعمة.

حشدت الدولة موارد ضخمة للاحتفال بالمناسبة، وأتاحت سيطرتها على وسائل الإعلام المطبوعة والمرئية والإلكترونية. تغطية الاحتفالات تغطي لم يعهد لـها نظير، في العربية السعودية وفي الخارج على السواء. وتعبريون الاحتفالات على شاشات التلفزيون المحلي بينما شاهدها العالم على القنوات التلفزيونية العالمية. وأصدرت وزارة الإعلام مشاهد المشاهير والكتابيات والأدباء الدعائية التي تؤثّق مراحل «النهاية» خلال السنوات المئة الماضية.

وكان شعار الاحتفالات «مئة عام من التوحيد والبناء». وُصُعِّبت على الضيوف السعوديين والأجانب كتب مصورة صُفْفية خاصة تحوي صورًا تُقطّع لابن سعود في مراحل مختلفة من حياة. وصاحب ذلك إنتاج سيرة مختصرة لحياته على قرص مدمج فيديو. وتوالت السفارات السعودية توزيع هذه الكمية الهائلة من الأدبيات في الخارج.

ونشرت الشركات المالية والمصارف والمستشفيات والجامعات والمدارس السعودية ودوائر الدولة المختلفة. بيانات تهنى بها الأسرة الملكية في الصحف السعودية. والقراء السعوديون...
يعيرون هذا النوع من الإعلانات التي كثيرًا ما تنتشر خلال عيد الفطر والأضحى. وكانت الإعلانات بالذكرى المئوية تخطب الملك وولي العهد وكبار أفراد الأسرة الملكية بكلمات «الاستمرار» مئة عام من الأمن والسلام والاستقرار. وتضمنت الإعلانات أحيانًا شرعية وأيات قرآنية تصدرت صورة ابن سعود ففي الوسط تحييد بها صور الملك فهد وولي العهد الأمير عبد الله ووزير الداخلية الأمير نايف. وضم أحد الإعلانات سبع صور فوتوغرافية لكبار أفراد الأسرة الملكية بالإضافة إلى الصورة المركزية لابن سعود، مطبوعة على خلفية خريطة لكامل الجزيرة العربية (صحيفة الشرق الأوسط، 25 كانون الثاني/ يناير 1999). وكانت الخلفية تتألف أحيانًا من صورة ابن سعود على صهوة جواد أو على ظهر جمل. وكانت الاحتفالات بالذكرى المئوية مناسبة لتجديد البيعة لأفراد الأسرة الملكية الحالية الذين استمروا إثر والدهم وذكوراه.

كانت الصحافة مليئة بالقصائد البطولية، منظومة بالشعرين النبطي والكلاسيكي على السواء. واحتفى الشعراء السعوديون بحياة ابن سعود وزواجه. وكانت القصيدة المكرسة لاستيلاء ابن سعود على الرياض واحدة من بين قطع شعرية عديدة، ولكنها كانت غير معهودة بطرقتها في النقاط روح الاحتفالات؛ لم تنشر في الصحف السعودية وحدها، بل في صحفيات دولية ذات انتشار واسع ومعتمدة على مستوى عالية أيضًا. وفي الأعمال التاريخية والقصائد الشعرية، تستعرض اللغة المستخدمة في النصوص والدروس والمحارس العسكرية والبطولة والكرم والنقابة والعدل والعلم وغيرها من الصفات المنسوبة إلى «المؤسس». وصورة ابن سعود بوصفه «أسد الجزيرة» و«صقر الجزيرة»، تطبع في الذاكرة باعتباره شخصية استثنائية تذكر بما تعلته من صفات أسطورية. وتظهر خصال أخرى من استخدام أوصاف مثل «الإمام» و«المملك»، وبذلك وضع السلطة الملكية في إطار إسلامي.

عرضت مسرحية خاصة بعنوان «ملحمة التوحيد» من تأليف بدر ابن عبد المحسن، حفيد ابن سعود، على مسرح في الرياض احتفاء بالمناسبة. ويوظف عنوان الملحمة المعنى المزدوج لكلمة «توحيد»، في توحيد البلاد والتعدد الدينى. وهي تروي قصة رجل وامرأة وأفكارهما عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الرياض قبل أن يستولى عليها ابن سعود. وتبلغ الملحمة ذروتها بالاستيلاء الدرامي على الرياض مستندًا حثيثًا جديدًا من الرحمة. وشارك في العمل المسرحي العديد من الفنانين السعوديين الشعبيين مع أكثر من ألف آخر بأدوار
ثانيته. وتولى مسرحي بريطاني إنتاج العرض الذي سجل على أشرطة كاسيت وفيديو وأقراص مدمجة.

كانت الاحتفالات بالذكرى المئوية تعميداً لنشوء "عبادة سلّفية" تتمحور حول ابن سعود؛ عبادة كانت حتى ذلك الوقت مسطرة في التاريخ المكتوب برعاية الدولة. وفي حين كانت الدول في بلدان عربية أخرى مهتمة في تكريس عبادة شخصية حول رؤساء أحياء، فإن العبادة في العربية السعودية تتجلى سلفاً وراءاً. وأصبح ابن سعود طوطماً، رمزاً ينتظر أن تتمحور حوله الوحدة الوطنية. فهو شخصية رمزية أسّست عليها طائفة كاملاً من المعاني. واسمها يستحضر بداية الزمن التاريخي، كما يرتبط الاسم بالنهضة الحالية وتحول البلاد.

وتكرّس عبادة السّلف التي أنشئت حول ابن سعود باستعادة مقتنياته، التي يلتقط كل منها جانباً من شخصيته الفذة. إذ أعيدت سياراته الأولى، طائراته الأولى، مصحفه الأول، مصحفه الأول، مصحفه الأول، مصحفه الأول، مصحفه الأول، يرتديها الجمهوري ويقدر عظمته. وأصبحت مقتنيات معروف أنها كانت ملك ابن سعود أيقونات تُشل صفاته العديدة. مصحفه يمل ورعي وإياه، بينما سيّفه يعبر عن شجاعته وعنفوانه، وسبيارته وطيارته ترمز إلى ما أدخله من ابتكارات تكنولوجية. ويكون ابن سعود الهرع في هذه الأيقونة تحديداً أيضاً، ويكون رجل السيف رجل فكر أيضاً.


ويظهر ابن سعود في إحدى الصور مشاركاً في رقصة "العرضة" في الرياض بين "أبنائه وشعبه".

ويظهر في صور أخرى وهو يقيم مأدباً باذخة لضيفي أجانب. وتتوافق اجتماعاته المبكرة مع ضباط ومبعوثين بريطانيين في صور تلتها أخرى لشخص الملك مع زعماء العالم من فيهم روزفلت وتشرتشال والاهل المصري الملك فاروق والاهل الأردني الملك عبد الله الأول. وتستحث صور ابن سعود في سياقات محلية ودولية مختلفة، إحساناً مخلوده شخصية رمزية في المخلة الشعبية.

228
ذُكرت كلمات ابن سعود وسجلت في أجزاء عدة. ويستغرم مطبوع أقواله كما وردت من مصادر أجنبية، وبذلك إضافة حالة من الاعتراف الدولي بحكمته. وتشير مطبوع صادر عن وزارة الإعلام إلى ما قاله ابن سعود عن بناء مملكته بسمه وجهوده الشخصية، داعياً أثناءه إلى الاقتضاء به وبدائل جهودهم الذاتية والتوجه إلى الميدان واتجاه الأمل بالنصر متوكلين على الله (العربية السعودية 1988 : ٨٨).

كما ذكرت كلماته الأخيرة على فراش الموت التي يشيد فيها لفيصل على أن سعوداً أخوه.

ويشيد لسعود على أن فيصل أخوه ويؤكد أن لا حول ولا قوة إلا بالله.

في مجتمع تُنسب «الأحاديث» عادة إلى الرسول محمد (ص) في السنة النبوية، يُسُجِّل تُسجِّل كلمات ابن سعود عليه معنى من القداسة جرى الاحتفال به وقت الاحتفال بالذكرى المئوية. وتذكر نصيحته لأبنائه قبل وفاته بما فيها من حكمة و grosse عميقة. وهي تعتبر نسخاً في الوقت الحاضر حيث وراءها التعرض للكهف لها تعديلات نظرًا إلى تردي ساحة الملك فهد في السبعينيات. وتعد كلمات ابن سعود إلى الأظهار وحدة يعبر عنها الأدب في شيخخته، وينبغي بما في ذلك أن تكون باحترام الجيل الحالي. ومن هنا التشديد على هذا الحديث الخاص في مادة منشوره.

ولولا الاعتراضات المحتملة من المراجع الدينية على تفتيت الهياكل البشرية لأمكن بناء نصب تذكاري في أحد ميادين الرياض الكبيرة تكريماً للمؤسس. إلا أنه بالرغم من ذلك أصبح قصر المصمم حيث قتل حاكم الرياض في عام 1902، هو «المرصد التاريخي»; النصب التذكاري الذي اكتسب مغزاً مقدساً. وفي بلد غزته المقدسة الوحيدة حتى الآن هو المسجد الكبير في مكة، رغم قصر المصمم، وهو موقع مذعّر يرتبط بفعل القتل، إلى منزلة المقدس. وفي حين أن غالبية السعوديين مطلعون على الرواية الرسمية عن الاستياء على الرياض، فإن بالإمكان تصويرها الآن في المخللة. ذلك أن الباب المؤدي إلى الفناء الداخلي للقصر موسوم بإشارة خاصة في الأدبيات الدعائية تقول إن هذا الباب شهد «المعركة الضارية بين الملك عبد العزيز وعجلان»، حيث يمكّن مشاهدة مكان الحجرة التي انكسر رأسها في الباب (وزارة المعارف ١٩٧٧).

وبرغم أن عجلان قتل على يد ابن جلوي، ابن عم ابن سعود، فإن مشاركة المؤسس في ما يسمى معركة الرياض، مؤشرة بالأثر الذي خلفته حرية الرماد. ويتركز تفسير الحدث على
تصويره عملًا بطولياً له خلفية من الخوف والتاجور. وفي حين يبقى ابن سعود خارج الصورة بوصفه إحدى الشخصيات على بُواقي قصر المصمك، فإن انتباه الزائر يُلِّفت إلى الأثر الذي تركه حربي. ويستمر تأليف أسطورة ابن سعود، فهو يبرز بوصفه طوّفًا مبجلاً. خُلُوه تتكيف به إشارات متواصلة إلى صوره و كلماته وأعماله و مواقفه التاريخية.

قصر المصمك كان موقعًا من بين عدة مبانٍ تشكّل المركز التاريخي للملك عبد العزيز، وهي سلسلة من المباني المرممة في الرباط اقتناها الملك فهد خلال الاحتفالات. وقدّرت كلفة الترميمات بـ 166 مليون دولار (فينمان فاند 1999). ويضم المركز مسجد ابن سعود وقصر المربع والدارة وهي مكتبة أبحاث عامة تحوي من بين أشياء أخرى، مجموعة ابن سعود الخاصة من الكتب، وقاعة الملك عبد العزيز. وأصبحت هذه نصبًا وطنية، تعود إلى الأذهان باستمرار أن ذكرى ابن سعود يمكن أن ترسى في أضواء متعددة، لكل منها قدسيته.

بالإضافة إلى تكريم الشخصية الطبوسية المركزية، احتفلت مناسبة الذكرى المئوية حياة ذريته و انجازاتهم. وتشمل عبادة ابن سعود السلفية شخصيات مبجلة أخرى. إذ ينال أبناؤه اعترافًا بوصفهم مواطنين كبارًا لرث المؤسس. وفي المواد المطبوعة، ترقف صور فوتوغرافية لملوك سابقي بصورة والدهم وإن تنكر أصغر حجماً. وعندما تضاف أحياناً صور ملوك آخرين فإن الأضواء تميل إلى التركيز على الملك فهد وأكبر أفراد الأسرة الملكية في الوقت الحاضر، وبرغم عدم ظهور صور قريبات لابن سعود في الأعمال التي نشرت مناسبة الذكرى المئوية، فقد اعتبر أن أخته نورة تستحق مقالة نُشرت في صحيفة سعودية (الشرق الأوسط، شباط/ فبراير 1999). وفي مجتمع لا يزال الصوت النسووي فيه مكتوباً في المجال العام، كان مستغزًا أن الاحتفالات اشتملت على سيرة حياة هذه الرفيقة الأولى لابن سعود، وأبرزت المقالة مساهمتها واشتمل إياها بأنها كانت سندًا دائماً و مصدر إلهام لأخيها (الشرق الأوسط، شباط/ فبراير 1999).

ساهمت شهادات أجنبيّة وعربيّة في تعزيز صدقيّة السرد. فاليوسف ليس موضوع تجليل شعراء، ومصادر إبداع السّلف في سياق دولي أوسع، ونجمت استلهامات في مديح ابن سعود من مصادر أجنبية معروفة و تُطبع شعارات تحتوي على إيجازه و حكمته و عبقريته السياسية. و تخلل 241
السرد التاريخي مقترضات من أعمال فیلی وریجی و فن دیر مولن و بیل ودی گوری، بوصفها شهادات على حياته وجهود الاستثنائية.

وزجّ باحثون عرب وأجانب في الاحتفالات بوصفهم مشاركين في «مؤتمر المملكة العربية السعودية في ١٠٠ عام» الذي عقد في إطار الاحتفالات. وقد وصف البيان الافتتاحي لهذا الملتقى العلمي غير المسبوق الحدث بالإشارة إلى أن المؤتمر سيطلع العالم أجمع على «أجح جريدة» في التقدم والحضارة، وأن السر الذي يمكن وراءها هو تمسك هذه الأمة وقيادتها وشعبها بالإسلام. وكان الأساس أرساه الملك عبد العزيز (رحمة الله) وحافظ عليه أبناؤه الميامين حتى

عهد خادم الحرمين الملك فهد» (العربية السعودية: ١٩٦٩) (٧) .

وكان للمؤتمر ثمانية أهداف معلنة تعق ضمن ثلاث موضوعات عريضة: أولًا، إبراز أهمية الأساس الإسلامي للململكة. ثانياً، إبراز جوانب النهضة في عهد ابن سعود وأبنائه. ثالثاً، إبراز دور المملكة خليجياً وإسلامياً وعربياً ودولياً (المصدر السابق: ١٦). وهذه الأهداف ليست جديدة، بل هي تكرار للمحور الرئيسي في المرويات التاريخية الرسمية وإعادة للخطابية التي أعظم إقتنائها في التاريخ الرسمي، إذ جرى حشد أكاديميين سعوديين وأجانب، وقدم المؤرخون بحث في أكثر من ٤٠ جنحة على مدى ثلاثة أيام، وتحلى الفعالية الفكرية زيارات للمتحف الوطني وجلسات شعرية ومآدب باذخة واستعراض التراث الوطني. ونظم المؤتمر على غرار المندوبية الأكاديمية الدولية مع اختلاف المحتوى. ففي النسخة السعودية لمؤتمر يعقد في ذكرى مؤثية، كان المعروض سرداً تاريخياً صوياً في أحيانه، و كانت هذه مناسبة لتنمية حقيقة تاريخية بدلاً من واقع للمناظرة أو إعادة التفسير. وكان مواطنين سعوديين وضيوف أجانب على السواء، مشاركين في تكريس عبادة السلف التي يُعرّف فيها السرد التاريخي الرسمي في اللاوعي ويعد إنتاجه بدأ. فالدولة ترسم حدود الخطاب والصور والرموز التي تتحول بدورها إلى لغة محت أكاديمي وعلمي، وتضفي العملية بُعداً "موضوعياً" على الدعاية الرسمية ثم تفتح الخطابية الرسمية فقوة خاصة بها.

إن عبادة السلفأبن سعود سايدة في العربية السعودية، وهي تقوم على الإيمان بسلف ملحمي اسمه معهم على جميع السكان. وتشترك الدولة مع السكان في انشغال بالنسب. فمن دون نسب، ستكون الدولة خارج فهم مواطنيها الذين برغم عقود من «النهضة» والخطابية
الرسمية لصالح أمة إسلامية عامة، ما زالوا يعترفون بالأصل. والسند الرسمي متناقض بطريقة
في إدانة تماهي الناس مع أنساب في الوقت الذي تثبت نسبها هي بوصفها حقيقة تاريخية في
الذاكرة الاجتماعية. وهي تطالب مواطنيها بنوع من فقدان الذكرى التاريخية إزاء أنسابهم في
الوقت الذي قضىهم للاحتفاء بأصلها ذاته. في رحلة تبدأ دائماً بابن سعود، المؤسس. وتمكن
قراءة الاحتفالات بالذكرى المئوية كنسبة الرئيسي تحديد تسبب الدولة في وقت كان هذا
يبدو موضع شك، بل ويمكن إخضاعه لتأويلات متنازعه. إذ تتوافر في متناول غالبية السعوديين
مصادر معلومات خارج رقابة الدولة. فقد بات من الضروري أن تصور الدولة سردها الخاص عن
أصولها وتدعو السعوديين أنفسهم إلى المشاركة في بنائه وصيانته. ومشاركتهم، شعراء
وأكاديميين وفنانين، شهادة على حقيقة أن النص الرسمي ترسخ بنجاح في لاعبي بعض
السعوديين (ولكن ليس جميعهم) إلى حد يمكن معه أن يعاد إنتاجه من دون اعراف أو خيانة.
وتشير استياء بعض المواطنين السعوديين للخطابية الرسمية استياءً لاشعرياً بعد عقود من
انكشافهم له، إلى هيمنة قاموس خلافي ومجموعة ألفاظ في مجتمع كانت اللغة دائماً ذات
سطوة فيه.
وتتسم عبادة ابن سعود بأهمية مركزية لتعزيز الوحدة الوطنية. فهي الرمز ل醒目 مجتمع
منقسم بتنوعه المحلي وولاياته القبلية. وتقوم عبادة السلف بدور ملحوظ لدور الخطابية
الإسلامية، ويراد بها توضيح هويات ذات طابع ملحي ومصدر ولاء بديلة. وتستثمر المرويات
الرسمية حول المجتمع برعاية ابن سعود، وتدعو هذه المرويات السكان إلى التحلي عن أجدادهم
وأصولهم لصالح سلف رمزي كلي القدرة صور على أنه "جد" الأمه الأعلى.
لم تكن احتفالات الذكرى المئوية مؤشرًا إلى منحة عام من التاريخ السعودي الحديث
فحسب، بل إنها أيضاً أدخلت السعوديين في عبادة السلف. فهي كانت تروي قصة ماضي معين؛
حقيقة ما قبل ابن سعود حيث كانت الفوضى واتخاذ الاستقرار سائدين بين سكان مشترين
ومتخلفين. ووجه الانفصال عن ذلك الماضي الأسود بعد الاستيلاء على الرياض في عام 1902،
وما بين 1902 و1932، ووضعت فترة من الانتقال والتوجه نحو جمعة معارك ابن سعود المختلفة
من أجل التوحيد. وقد وصفت مرحلة النضج هذه بأنها رحلة من "الظلم" و"القرر" و"الاطلاق
الأخلاقي والاجتماعي والسياسي" إلى "الرحاه" و"الازدهار" و"الأمن" و"الحضارة". وسُجلت
242
الكلمات المناقضة في كلمات وصور وأصوات. ومما له أهمية حاسمة لهذا الطقس، دور الجد الأعلى الذي جرى تكريره وتجليه قبل الأوان في عام 1999 حتى قبل أن يبلغ ملكه الذكرى المئوية ميلاده. وفي مجتمع معروف بطيقه واحتفالاته المستفيدة في الأعياد، كان مشهد الذكرى المئوية متميزة(1). وإزاء إدانة الوهابيين لعبارة الأهلاء والعبادات الأصلية في مناطق أخرى من العالم العربي والإسلامي، فإن إقامة الاحتفالات كانت تمثل انتصارًا للأسرة الملكية السعودية على العلماء ومبدئهم. وأكدت الاحتفالات أن الدولة سيدة العالم الرمزي والتأويل التاريخي.

تحدي احتفالات الذكرى المئوية

تمت خضت احتفالات الذكرى المئوية مثلما مثلت المرويات التاريخية الرسمية، عن خطابات بديلة تُضعف صور هذه المرويات وشعاراتها وخطابتها السائدة. وفي المقام الأول، فإن هذا الخطاب البديل يضع تفوق ابن سعود وأفراد العائلة الملكية موضع تساؤل، ويشكك في دورهم القيادي في العملية التاريخية. وفي حين أن المرويات البديلة لا يمكن أن تنبذ علناً، فقد جرى التعبير عنها في المجالات الخاصة وفي الخارج. إذ إن رقابة الدولة منع أي مناظرة علنية حول شرعية الاحتفالات وتوقيتها ومضمونها، ولكنها لا تستطيع إسكات الناس في حرميات بيوتهم.

تراوحت ردود الفعل على احتفالات الذكرى المئوية من اللامبالاة إلى مظاهر الاشمئاز. ورفض بعض السعوديين أن يكونوا مشاركين في الاحتفالات، ولم ينشروا بيانات تهنئة أو قصائد في مديح الاستيلاء على الرياض في الصحف المحلية. وآثر آخرون أن بروا فيها مجرد مراسم معتملة لما يوصف بأنه "ثلج، مهرجان لا قيمة له، سرعان ما ذاب بلا أثر" (كنداين 1987). وبراييس Cannondine and Price.

تمحررت الاعترافات في الدوائر الإسلامية حول الرأي القائل إن مثل هذه الاحتفالات شكل من أشكال "البذاع"، مؤكدة من جديد الفتوى الصادرة ضدها، كما ورد ذكره آنفاً. وجرى التعبير عن الرأي القائل إن الاستيلاء على الرياض كان حدثًا ثانوياً في عملية التوحيد وبالتالي

(1) باستثناء الأعراس، لا يكثر في المجتمع السعودي بإقامة احتفالات كبيرة. وإن مناسبات تُقام باحتفالات في البلدان الإسلامية الأخرى مثل مولود النبي والسنة الهجرية الجديدة، ثم من دون احتفال يُذكر بها.
لا يستحق كل هذه الفخامة الاحتفالية. وبدلاً من ذلك، كان من باب أولى أن تختفي الدولة برور
25 عامًا على الإصلاح الإسلامي الذي كان له تأثير أعظم في التاريخ الحديث للعربية
السعودية. وأعرب بعض الإسلاميين عن الشك إن كان التوقيت سوف يغدو ممكنًا لولا رسالة
محمد بن عبد الوهاب. وهم يرون أن الاحتفال بالذكرى المئوية سلط الأذواء على حد وقع
لاحقًا في التاريخ. تبقى أهميته ثانوية بالمقارنة مع تأثير الوهابية.

وازنت «حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية» تمجيد ابن سعود الذي صاحب
الاحتفالات. وفي إحدى المطبوعات. يوصف ابن سعود بأنه أصبح « bucوسوماً»، الأمر الذي
يستحضر صور «الإمام المعصوم» في التقليد الشيعي. وانطلقت اعتراضات على الطرق التي
تقول بها من خلال عبادة السلف إلى «شخصية مقدسة»: عبد العزيز مفكر، كريم، شجاع،
ورع، ذكي، محارب مستقيم، غفور وعادل. وهذه صفات كثيرًا ما ترتبط بالأنبياء. وبعض
السعوديين يرونها ملكًا بين ملوك آخرين، في حين يعتبر البعض الآخر مجردًا وخاشًا صنعه
البريطانيون («حركة الإصلاح الإسلامي»). غفل من التاريخ: بيان 147.

وفي حين أن مثل هذه الاتهامات مستحيلة في العربية السعودية، فإنها تجد تعبيرها
إلكترونيًا ومن خلال جهاز الفاكس. وكانت رسائل المعارضة الإسلامية تبث من الخارج، وهي
تلامس مشاعر تبني تكنيا تحت ظل الرقابة. وإذا كان الإسلاميون يشيرون إلى الاحتفالات
بوصفها بدعية، فإن جوهر الموضوع يكمن في حقيقة أن الاحتفال بالسنوات المئوية الماضية لا بد
من أن يهمش تاريخًا هاماً في مخيل الإسلاميين التاريخية: صعود «حركة الإصلاحية الوهابية»
في عام 1442. فالإسلاميون يعتبرون هذا حدثًا تاريخياً أساسياً لإقامة احتفالات وطنية به.
وتحت الظروف الراهنة، وهو إذا كانت مثل هذه الاحتفالات تشل بدعية للاسلامية، انقسامًا أعمق
في المجتمع السعودي، وصراعًا بين الدولة والشعب حول الوعي التاريخي. إذ لم تعد مرويات
الدولة هي السائدة، وإنما يتداخلها أفرادهم نتاج التحدي الذي حققته الدولة. والإسلاميون
قادرون الآن على إنتاج مروياتهم التاريخية الخاصة بفضل التعليم النظامي والإعداد في جامعات
الدولة وفي الخارج. كما أنهم ينتجون شعورهم الخاص («الدعاية عن الحقوق الشرعية»
1995) وأشرطة الفيديو الخاصة بهم تواجه الأعمال الفنية المدفوعة من الدولة.

وفي حين أن النقد الإسلامي بقي في إطار المبادئ الإسلامية، فإن آخرين انتقدوا الاحتفالات
على أساس طابعها «المبنّذل» ومبادئها الاستعراضية بشعارات فارغة في فترة من الضائقة
الاقتصادية. فإن هبوط أسعار النفط طوال التسعينيات، والعجزات التعاقدية في الزيادة، ما كان
لها أن تتغير لحالة أسوأ للانفاق الإضافي، بحسب بعض المصريين والتجار السعوديين. وكانت
هذه الأراء يعبر عنها في المجالس الخاصة؛ كان يجري تبادلها في دوائر مغلقة من الأصدقاء
الحينيين والمورثين. وأشار عدة سعوديين إلى التنافس الذي ينطوي عليه عرض صور كبار
الأمراء بعد عقود من منع الحكومة للتماثيل والتصاوير وحتى رسوم الأشكال البشرية.
كان الناس يتبادلون النكتات للنيل من شعارات الاحتفالات. وتذهب إحدى النكات التي
ظهرت في ذلك الوقت، إلى أن حكومة ابن سعود غيرت عدد رجال ابن سعود الذين ساعدوه في
الاستيلاء على الرياض من 40 إلى 10 رجلًا؛ كان هذا تفاصيلًا تسمية ابن سعود «علي بابا
والأربعين حرفيًا»، وهي قصة معروفة في كل من الثقافتين الشعبيتين العربية والخليجية على
السواء. وتتفقد هذه الفكاهة ممارسة الدولة في تغيير التاريخ لأغراضها الخاصة. ويدرك الكثير
من السعوديين تلاعب الدولة بالحقائق التاريخية. وباستثناء المشاركين في الاحتفالات بصفات
مختلفة، فإن غالبية السعوديين بقوا متساهلين. وإن بحثهم الدائم عن مصادر معلومات بديلة
عن ما يعبر عن تفسيرات مختلفة لشؤونهم الراهنة، شهد على حقيقة أن سيطرة الدولة على
المخيلة ليست سيطرة مطلقة ولا ناجحة. وقد أسفرت هذه السيطرة حتى الآن عن امتثال
مصحوب بمقاومة ضعيفة من النوع المبتهج أعلاه. وتبقي الأسوأ المعارض متميزة وتفترق إلى
أي شكل من التنظيم. وفي حين أن هذه هي الحال، فإن الدولة تسعى إلى سيطرة على المخيلة
الشعبية وزج السعوديين في بنائها وفق خطابية وصول ورموز محددة تحديداً حسباً.

خلاصة

سيُذكَر القرن العشرين بأنه عصر تكوين الدولة في العالم العربي. والعربي السعودية جزء
من هذا التاريخ الإقليمي. ويصر النظر عن الجدلات الشامية حول خصوصيتها. فإن الدولة
الحديثة نشأت بعد انهيار الامبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى. وفي حين أن
البلاد أفتتحت من حقبة السيطرة الاستعمارية المباشرة، فإن تدخل بريطانيا المتزايد في شؤون
الخليج أثر مع ذلك. في عملية تكوين الدولة.

لم تدخل السنوات المئوية الماضية نضالات عنيفة من أجل التحرير، أو انقلابات وثورات،
ولكن عملية تكوين الدولة كانت حصولًا معاكسًا دائمة وتوسع وغزو في أراض لم تكن مهيأة لأن

٢٤٥
تتوحد في كيان السياسي واحد. وتعرض هذا التوحيد لانتكاسات متعددة بدأها بتمرد الأخوان في أواخر العشرينات. وبفضل الثروة النفطية، توطدت أركان الدولة وأصبحت مثل هذه التمردات نادرة. ولكن توترات أخرى ظهرت. وكافحت الدولة والمجتمع، على السواء، للحفاظ على توازن قلبه بين التمسك بالإسلام والأصالة والتقاليد، وانشغال متزايد في التحديث. وقد تبدو السياسة السعودية بالغة عفا عليها الزمن، ولكن سماتها وخصائصها الحالية هي بكل تأكيد وليدة الرغبة في التوفيق بين الإسلام والحداثة.

كانت إمارات سابقة انهارت في الجزيرة العربية، ولكن أنماط حكمها وأشكال العلاقات بين الحكام المحكومين بقيت في الدولة الجديدة. وأصبح رئيس الدولة الجديدة، مثله مثل الأمراء السابقين من قبله، نقطة ارتكاز، مركز توزع وصنع قرارات وسياسة، ومصدر طيات والهدايا ومكالمات. ولكن، مختلف الأمراء السابقين، توفرت تحت تصرف الملوك السعوديين موارد ضخمة. واستخدمت هذه الموارد إطلاق عملية تحديث لا سابق لها في فترة قصيرة من الزمن. وفي الفترة السابقة على الحقبة النفطية، كانت الشرعية تُتقدّم من الإسلام وتطبيق أحكام الشريعة. وقد أخذ هذا يقوم بدور ثانوي بعد اكتشاف النفط في الثلاثينات. وفي مطلع القرن الماضي والعشرين تعتمد الدولة السعودية على دورها بوصفها حاملة لواء التحديث في سعيها إلى الشرعية. وتستمر الدولة ما تحقق من تجول مادي في ظل الحكم السعودي. فالفئة الحاكمة تدعى الشرعية لا لأنها حامية النظام الإسلامي فحسب، بل لأنها كانت القوة التي تتفق وراء هذا التحول. ويتعزز السيناريو، لا بالعمران المثير للإعجاب، وخدمات الرعاية الاجتماعية، والمرافق الحديثة فحسب، بل أيضاً بالمرويات التاريخية والدعاية أيضاً. وكانت الدولة السعودية استمدت صدقاتها من حقيقة أن السعوديين، براعيتهم، ووجود العالم الحديث، وأن بلدهم أصبح لاعباً كبيراً في السياقين الدولي والإقليمي.

كانت الدولة السعودية في القرن العشرين دولة قامت على الغزو. وقد نجحت في توطيد أركان السلطة على أساس القوة العسكرية وخطابية نشر الإسلام الحق. وتقدم التوسع العسكري متساوغاً مع برنامج قوي هدفه "الإسلام، أخضع أهل فجر والأحصاء والحجاز وعسير لهذا البرنامج بإشراف "المطauer". وكانت جهود هؤلاء الآخرين حاسمة. لقد أشاعت تعاليمهم وتوزيعاتهم بين السكان المتوطنين في الواحات والمجموعات القبلية على السواء.
ظروفًا مؤتائية لحكم آل سعود. كان «المطاوعة» وراء تعزيز قوة «الأخوان» القبلية التي غزى ابن سعود بها الجزيرة العربية، وكانت توجهاتها بطاعة زعيم الأمة الإسلامية وتلبية دعوته إلى الجهاد ودفع الزكاة له، وفرت الظروف لبناء الدولة بقيادة سعودية.

بعد الغزو، غرست الدولة نفسها في المجتمع. ويفضِّل تعداد الزوجات تُمكِّن الفئة الحاكمة من توسيع سيطرتها على منافسين كبيرة ونبلاء قبليين وذوؤس ديني، عندما تحوَّل هؤلاء إلى مأثري زوجات. وأصبحت قطاعات واسعة من المجتمع تعتمد على الدولة/النَّسَب الحاكم في بقائها. وأصر آل سعود على ترقية الذين ساهراًهم إلى مرتبتة النسبياء الملكيين، وهي مكانة كانت تموز فقدان استقلاليتهم وقوتهم النسائية. وإذا أصبح الغراماء السابقون أُخوال أمراء كبار وملوك لاحقين، فإنهم فقدوا قدرتهم على تحدي الحكم السعودي. وكان البلاط الملكي لا يضم حلفاء حقيقين فحسب، بل أيضاً حُصواً سابقين تحوَّلوا إلى أقارب من جهة الأم، وبعدما ضمت الفئة الملكية تبعيتها لها، عُبرت عن مظاهر سلطتها من خلال الواليّن والأبناء. ففي الثلاثينيات كان بلاط ابن سعود هو الدولة.

في الفترة الواقعة بين 1932 و1952 تمكِّن ابن سعود من التمتع بالعائدات الأولى التي دفعتها شركة «ستاندرد أوف أوف كاليفورنيا» (سوكان) / «أرامكو» مقابل امتيازه النفطي.

وفي حين ظلت البنية التحتية للدولة متخيلة، فإن الفئة الحاكمة بدأت تتبنَّد عن باقي السكان بحكم سيطرتها على الموار وانتشارها بالمناصب السياسية الحساسة. وأنتج تصريف شؤون الدولة اليومية بجمعية من الموظفين العرب، ولكن حلقة ضيقة تضم الملك وأبنائه الكبار كانت تتخذ القرارات السياسية الهاامة.

اتاحت الثروة النفطية فرصة كبيرة، وأدت إلى ظهور بيرقراطيين وموظفين وأصحاب ملايين محليين، وفي الوقت ذاته أوجدت معارضة أيضاً. كانت الحمسينيات والستينيات سنوات اضطراب أهلت السعوديين خطرابة المعارف والقومية العربية والانقلابات والثورات. وفي حين أخفقت هذه الخطابية في إلزام غالبية السعوديين، فإنها أثرت في حياة حلقة صغيرة ومطامحها. حتى الأسرة الملكية، لم تتمكن من مقاومة القاموس السياسي الذي ازدهر في العالم العربي وقتذاك. وهذه من كانوا يسمون «الأمراء الأحرار» استقرار الدولة عندما تنبأ بعض التطورات السياسية الرائحة ارتباطاً بالقومية العربية بنفسها البغيضة والناصرية. وهذا، مقتراً، بالصراع على الخلافة بين سعود وفصول جعل الستينيات من أكثر العقود اضطراباً في تاريخ الدولة.
وفي الوقت الذي بقيت الثورة احتمالًا مستبعدًا، فإن السياسة الداخلية السعودية في السبعينيات كانت تعكس غياب العالم العربي. وأنتجت العربية السعودية منفيسها ومعارضتها وسجاءها السياسيين. وسعى فيصل إلى إسكات معارضة ظلّة مقتصرة على شلة صغيرة من الناشطين السياسيين المتآثرين بأيديولوجيات كانت تتزعم في أماكن أخرى من العالم العربي حينذاك. وفي محاولة لإخماد هذه الأيديولوجيات لا سيما القومية العربية، قام فيصل بترويج خطابية الأصالة الإسلامية. وأصبح «التحديث في إطار إسلامي» خلفية إصلاحات فيصل للدولة السعودية وتطوير نظامها التعليمي وما عرفته من تحديث عام إبان السبعينيات. وضمن فيصل امتداث المراوح الدينية التي وافقت على غالبية إصلاحاته. والأكثر من ذلك، أنه عين العديد من أخوته غير الأشقاء الأشاد ولاً في الوزارات الحساسة، واحتفظ بلقب الملك ورئيس مجلس الوزراء على السواء.

في عهد فيصل، بدأت غالبية السعوديين تتطلع بسمار الثروة النفطية. وأصبحت الدولة المصدر الرئيسي لتوفير الخدمات وفرص العمل. كانت الدولة تدفع للمواطنين مباشرة عندما أضحت رب العمل الرئيسي، ولكنها كانت تدفع بصورة غير مباشرة أيضًا من خلال منافع وعمولات مختلفة. وأوجدت الطفرة النفطية في السبعينيات شباباً نسجت حول شخصيات نافذة في الحكم وأ😊مراء في الوزارات المختلفة. وأخذت العربية السعودية تنجب رجال أعمالاً الذين كان البعض منهم سليل ابن سعود مباشرة. وطرست الخطوط الفاصلة بين مالية الدولة والثروة الشخصية عندما أخذ بعض الأمراء يستغلون المنصب السياسي للكسب المالي الشخصي.

أقام فيصل علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة حتى بعد انضمامه إلى بلدان عربية أخرى منتجة للنفط في فترات المقاومة النفطية قصيرة العمر عام 1973. وبدأ الملك في ترويج الإسلام بوصفه نهجًا ينطلق من القومية العربية، وطلب مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة. وكان في ذلك مدفوعًا بإحساس عميق بالانكشاف لم تفعل عائدات النفط المتزايدة شيئًا يذكر تخفيفه. ولفتت الثروة انتباه العالم إلى العربية السعودية، كما أنها كشفت التنافس بين دعوة فيصل الإسلامية واعتماده على الولايات المتحدة في توفير الحماية.

أتار تحول البلاد نحوًا ماديًا متسارعًا. توترات اجتماعية وسياسية أفلتت من عقابها باستيلاء على المسجد الكبير في مكة عام 1979، وهو حدث وقع في الوقت الثالث العربية.

248
السعودية للعالم الخارجي نظاماً ملوكياً يسوده الاستقرار. وكشف التمرد في أقدس مقدسات الإسلام وهذه النواحي. وإذا شجب المتوردون الأسرة الملكية لفسادها وشكواها في شرعية حكم آل سعود مستخدمين خطابية إسلامية شديدة الالهجة، فإنهم هددوا أساس الدولة ذاته.

وسرعان ما أخمد التمرد، ولكن لم يكن من السهل التعامل مع التوترات التي أفضت إليه. وبدأ المجتمع السعودي يعيش تناقضات ترتبط بحجة الشروة المفرطة والرغبة في مواصلة التمسك بالإسلام والتقاليد والأقالية. ومنيت المصالحة بين القديم والجديد التي كان يعتقد أنها ممكنة في ظل ملوك سابقين، بأولى انكماش لها في عام 1979.

في الثمانينيات، تصاعدت حدة التوترات الاجتماعية عندما بدأت أعداد النفط السعودية بالتقليل. وشهدت هذه إلى أدنى مستوياتها في عام 1986 دافعة الحكم إلى خفض خططه الطموحة في مجال الإنفاق. كما زادت الثمانينيات في اكتشاف العربية السعودية عندما أصبح النظام مستهدفاً من جانب جمهورية إيران الإسلامية التي شجع قيادتها العربية السعودية لتحال لها التحالف مع الغرب. ولم تفعل الحرب الإيرانية- العراقية شيئاً لتخفيف إحساس العربية السعودية بانعدام الأمن.

تزاهمت السنوات الأولى من حكم الملك فقد مع "أزمة اقتصادية" غريبة على جيل الطفولة النفطية. وكان هذا الجيل اعتمد الرخاء والخدمات الحكومية ومنافع الرعاية الاجتماعية السخية.

ولا أول مرة، سعت العربية السعودية إلى تدوم سياساتها في "السعودية" من أجل زيادة فرص العمل لها. وتيقن ضرائب على السكان وخفض الإعانات والمنافع وتوزيع مشاركة المرأة في الاقتصاد، خيارات بغية بسبب عواقبها السياسية الاجتماعية.

أثرت ضيقة أواخر الثمانينيات في بعض السعوديين أكثر من البعض الآخر. واكتشفت المتعلمون المتحضرون حديثاً من سكان المدن، أن مهاراتهم ومستوياتهم التعليمية المكتسبة لا تؤدي تلقائياً إلى تحقيق تطلعاتهم الشخصية. وكانت دون هذه التطورات عواطف متنوعة مثل النمو السكاني ب معدلات مرتفعة والفرص الاقتصادية المحدودة وغياب الاتصال المباشر بمصادر الثروة والتعليم الاجتماعي. وتجاوز بعض السعوديين إيجاباً مع المناظرات التي شجعت النزعة المادية والاستهلاكية والغرب. وانطلقت هذه النقاشات في أوساط جيل جديد من علماء الدين الذين بدأوا يفصلون توجساتهم حول قضايا هامة تتعلق بأحوال البلد الاجتماعي والتنظيم
السياسي والقيادة الحاكمة. وأثبتت سياسات الحكم في مجال التربية الدينية ودعمها للحركات الإسلامية في العالم العربي وأماكن أخرى، إشكاليتها عندما واجهت الدولة السعودية على حين غرة تحديًا من جماعاتتها الإسلامية نفسها. وفي نهاية الثمانينيات، أصبح المجتمع السعودي مستقبلاً بشكل سافر بين من يطمحون إلى قدر أكبر من الحرية والانفتاح ومن يريدون العودة إلى الإسلام الأصيل. وفي حين كانت الهويات القبلية والمحليّة هي البازلاء في السابق، فإن قاموسًا جديدًا ظهر في أواخر الثمانينيات، وأصبح الغلاة الدينينو والعلمانيون/ الليبراليون يدافعون شائعًا كانت من أعراض انقسام ظاهر في المجتمع السعودي.

ازداد هذا الاستقطاب حدة في التسعينيات. وعجل الغزو العراقي للكوبيت بتجلى المعارضة الإسلامية في البلاد. وأصبح قرار الحرب السعودية السماح بتمركز قوات أميركية في البلاد لتحرير الكويت مهماً معارضاً بقيت شديدة الارتباط بالخليج العربي. وفي حين أنcovers لнем يُسمى الليبراليين اعتمدوا مناسبة حرب الخليج للتعبير عن أماناتهم في الإسلام وتشكيل مجلس شوري، فإن الإسلاميين كانوا أشد خطرًا على الحكم السعودي. وكان الأخيرين سيطروا على منازعهم إشاعة أفكارهم وانتقاداتهم. لا سيما في قاعات الجامعات الإسلامية ومنابع المساجد. اخذ نقد أفراد السياسات الرسمية بصفة عامة. ينتشر بسرعة حين شرع الإسلاميون في استخدام أحدث تكنولوجيات الاتصالات بما فيها أشباه الكاسيت وأجهزة الفاكس والبريد الإلكتروني وإصدار الشروحات والكتابات. وبضغط من الإسلاميين، أعلن الملك فيض سلسلة من الإصلاحات أهمها تشكيك مجلس شوري معين من ستين عضوًا. كما اعتبر من الضروري تأكيد حق آل سعود في الحكم مجددًا. وفي وقت أخير شرعية الأسرة الملكية ضعف خطير بسبب هجوم الإسلاميين. ولكن الإصلاحات أخفقت في إسكات المعارضة الإسلامية التي هرب أعضاؤها المهاجرين بآرائهم خارج البلاد بعد حملة من الاعتقالات في العربية السعودية. وثبت أن التماسل السياسي في التسعينيات أن معارضة إسلامية منظمة قادرة على تهديد الاستقرار. وبرغم أن المعارضة الإسلامية تبدو اليوم متشتتة، فإن الظروف التي ساهمت في صعودها وتبنائها تبقى قائمة في المجتمع السعودي.

في كانون الثاني/ يناير 1999، احتفلت العربية السعودية بالذكرى المئوية لـ«التوحيد والاستقرار والنهضة» بقيادة آل سعود. وبعد أن نجحت هذه القيادة في درء هجوم كبير في أوائل
التسعينيات، دعت السكان والعالم الخارجي إلى الاحتفال بنجاحها. وأصيب الأساس الديني للدولة بضعف خطير نتيجة لترويج مرويات رسمية تجسد دور آل سعود في صنع العربية السعودية والتشديد على هذه المرويات. وأكدت احتفالات الذكرى المئوية القطيعة مع الماضي عندما أعطي تأسيس العربية السعودية تاريخاً خلافياً هو عام 1902. فاستناداً إلى المرويات الرسمية، ولدت العربية السعودية بالاستيلاء على الرياض. وفي الواقع أن نشوء الدولة السعودية لا يمكن أن يعزى إلى أي حدث أو تاريخ منفرد، بل الأحري أنه كان نتيجة تطورات اجتماعية وسياسية على امتداد القرن الماضي. ومن الضروري النظر إلى نشوء هذه الدولة على أنه عملية مستمرة وتصاعدية. فإن الدولة بنية في تطور، وهو أمر لا بد من أن يواصل في المستقبل.
هلاولاق

اًملحق رقم (١)

حكام آل سعود في الدرعية (١٤٤٤ - ١٨٢٨)

سعود (ابن محمد بن مقرن)

محمد (١)

ثنيان

عبد الله (٩) (١٨٤١ - ١٨٤٣)

عبد العزيز (٢) (١٨٠٢ - ١٧٦٥)

عبد الله

تركي

سعود (٣) (١٨١٤ - ١٨٠٣)

خالد (٨)

عبد الرحمن

خالد (٧) (١٨١٨ - ١٨١٤)

مشاري (٦) (١٨٣٤)

(١) للحاكم رقم ٥ انظر الملحق (٢).
اُملَحِقُ رقم (2)

حكم آل سعود في الرياض (٨٤٤ - ١٨٢٤)

(٥) تركي (ابن عبد الله)
(١٨٢٤)

(٧) فيصل
(١٨٣٤)
(١٨٣٤ - ١٨٣٨)
(١٨٦٥ - ١٨٧٣)

(٦) ناصر
(١٨٧٣ - ١٨٧٨)
(١٨٧٨ - ١٨٨٠)

(١٣) عبد الرحمن
(١٨٧٥)

(١٩) عبد الله
(١٨٧١ - ١٨٧٥)

(١١) سعود
(١٨٦٥ - ١٨٧١)

(١٤) عبد الله
(١٨٧٥ - ١٨٨٦)

(١٥) عبد الرحمن
(١٨٨٩)

(١٦) سعود
(١٨٩١ - ١٨٩٨)

(عبدوالعزيز (ابن سعود)
(١٩٠٣ - ١٩٥٣)

١٨٦٥ - ١٨٧٨

(١) للحاكمين ٧ و٨ انظر الملحق رقم (١).

٢٥٣
<table>
<thead>
<tr>
<th>الاملحق رقم (2)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أبناء ابن سعود (1902 - 1952)</td>
</tr>
<tr>
<td>تركي (مواليد 1900)</td>
</tr>
<tr>
<td>طلال (1931)</td>
</tr>
<tr>
<td>مشاهي (1932)</td>
</tr>
<tr>
<td>سعود (1902)</td>
</tr>
<tr>
<td>نايف (1933)</td>
</tr>
<tr>
<td>نايف (1933)</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد (1910)</td>
</tr>
<tr>
<td>نايف (1933)</td>
</tr>
<tr>
<td>فواز (1934)</td>
</tr>
<tr>
<td>ناصر (1940)</td>
</tr>
<tr>
<td>سعود (1942)</td>
</tr>
<tr>
<td>فهد (1926)</td>
</tr>
<tr>
<td>سلمان (1936)</td>
</tr>
<tr>
<td>مساعد (1940)</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله (1923)</td>
</tr>
<tr>
<td>مهوج (1940)</td>
</tr>
<tr>
<td>بندر (1923)</td>
</tr>
<tr>
<td>هزلي (1941)</td>
</tr>
<tr>
<td>مشهور (1942)</td>
</tr>
<tr>
<td>سلطان (1924)</td>
</tr>
<tr>
<td>مهدني (1943)</td>
</tr>
<tr>
<td>مواس (1928)</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الرحمن (1931)</td>
</tr>
<tr>
<td>حمود (1947)</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
بильноغرافيا

لم يكن من الممكن توفير تاريخ النشر ومكانه واسم الناشر لكل المواد العربية المدرجة في هذه القائمة. الكتاب العربي يردون حسب أسمائهم الأخيرة مع إسقاط آل التعريف في النص الإنجليزي. الكوارات السياسي تردد تحت أسماء جماعات أو تنظيمات سياسية.

صحف ومجلات

The Economist ذي إيكونوميست

Financial Times فايتنتشال تايمز

الحرس الوطني
صحيفة الحياة

مجلة الجزيرة العربية
مجلة المجلة

Middle East International ميدل إيست إنترناشيونال
صحيفة القدس العربي
صحيفة الشرق الأوسط
صوت الطبيعة

Saudi Gazette صحيفة سعودي غازييت
مجلة الراحة
اليمامة

مطبوعات سعودية رسمية

المملكة العربية السعودية. 1999، مؤتمر المملكة العربية السعودية في سنة عام، مديرة احتفالات الذكرى المئوية.

٢٥٥
أعمال أخرى

عبد العزيز، موضي بن منصور بن عبد العزيز، 1963، الهجر ونتائجها في عصر الملك

عبد العزيز، دار الساقی.

عبد الرحمن، 1976، الدولة السعودية الأولى، 1745-1818، القاهرة.

عبد الله، 1970، البترول والأخلاق، دار الدوحة.

1975، العلماء والعرش ؛ ثنائية السلطة في السعودية، دار النافذ.

1977، وهابي وصاروخ صيني، دار التصيم.

أبو علیة، 1986، تاريخ الدولة السعودية الثانية، 1840-1891، الرياض.

أبو ذر، 1980، ثورة في رحب مكة، دار صوت الطليعة.

1982، مناضل من الجزيرة، دار صوت الطليعة.

أبو حاكمة، 1967، نع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بيروت.

الألوسي، 1985، غفل من التاريخ، تاريخ نجد، القاهرة.

البغدادي، عوان النجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الملكة.

البسام، 1978، علماء نجد خلال ستة قرون، مكة، النهضة الحديثة.
«لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» في العربية السعودية، 1994. ماذا تقول "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" في الجزيرة العربية، لندن.

1995، ديوان الإصلاح، لندن.

دلان، 1993، تاريخ أفراد الحجاز، 1850-1863، لندن، دار الساقتي.

الدخيل، 1966، القول السديد في أخبار إمارة الريشيد.

سليمان بن صالح الدخيل، حياته وأعماله، جمعها، عجيل، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي.

الفقيه، غفل من التاريخ، كيف يفكر آل سعود دراسة نفسية، لندن، حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية.

غفل من التاريخ، النظام السعودي في ميزان الإسلام، لندن، حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية.

غفل من التاريخ، زلزال آل سعود، قصة الصحوة الإسلامية في بلاد الحرميين، لندن، حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية.

القصبي، غ. 1991، حتى لا تكون فتنة.

حمر، ف. 1936، قلب الجزيرة العربية.

الخيري، 1999، نساء شهيرات من نجد، الرياض، الدارة.


الخوالي، ص. 1991، كشف الغمامة عن علماء الأمة، دار الحكمة.

ابن بشر، 1930، عنوان المجد في تاريخ نجد، جزءان، مكة.

ابن غنام، 1970، تاريخ نجد، جزءان، القاهرة.

ابن عيسى، 1966، تاريخ بعض الحوادث في نجد، الرياض.
ابن رشيد، 1966، نبذة تاريخية عن عبد العزيز، بيروت.

كشك، م. 1981، السعوديون والخليج الإسلامي، ماسفيوسايت.

المثعي، م. 1995، الأدلة الشرعية على عدم شرعية الدولة السعودية، دار الرافد.

1997، أصل الإسلام وحقيقة التوحيد، دار الرافد.

حركة الإصلاح الإسلامي في الجزيرة العربية، غفل من التاريخ، البرنامج السياسي، لندن.

غفل من التاريخ، القضية السعودية بين السائل والمجيب، لندن.

غفل من التاريخ، بيان، 1-47.

غفل من التاريخ، في مواجهة آل سعود، لندن.

غفل من التاريخ، كراس ابن لادن، لندن.

غفل من التاريخ، مذكرة النصيحة.

منيف، 1993، الأخود القحطاني، ف.. 1987، زلزال جهيمان في مكة، لندن، صفا.

1988، صراع الأجنحة في العائلة السعودية، لندن، صفا.

1988، اليماني وال سعود، لندن، صفا.

رضوان، م. غفل من التاريخ، قراءة صريحه في مذكرة النصيحة، لندن، دار الحكمة.


الرفاعي، م. 1995، المشروع الإصلاحي في السعودية: قصة الحوالي والعودة.

الصفدي، غفل من التاريخ، قانون الفساد في المملكة العربية السعودية، منشورات اقرأ.

السعيد، ن. 1981، تاريخ آل سعود، دار مكة.

آل سعود، طلال بن عبد العزيز، 1999، صور من حياة عبد العزيز، الطبعة الرابعة.

الرياض، دار الشوف.
الشععي وحليمي. 1992، تاريخ الحضارة الإسلامية، الرياض، وزارة المعارف.
1993، السيرة النبوية وتاريخ الدولة الإسلامية، الرياض، وزارة المعارف.
شامية. ج. 1986، آل سعود: ماضيهم وحاضرهم، لندن.
شرارة، و. 1981، الأهل والغنيمة، بيروت.
الشيخ والدخيل والزائر، 1981، انتفاضة المنطقة الشرقية، منظمة الثورة الإسلامية.
الشيخ، 1988، البتروالسياسة في المملكة العربية السعودية، لندن، صفا.
السابعي، 1984، تاريخ مكة.
تقي، 1988، الوجه الآخر لأحداث مكة، طهران، كهبان.
الشمرين، 1981، نشأة إمارة الرشيد، الرياض، جامعة الرياض.
1993، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، وزارة المعارف.
1995، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، العبيكان.
1997، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الملكة فهد الوطنية.
الباجي، أ. 1987، الدين والدولة في المملكة العربية السعودية، لندن، دار الساقي.
الزعبير، م. 1997، إمارة الرشيد في حائل، عمان، بيسان.
الزركلي، ك. 1970، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، 4 أجزاء، بيروت، دار القلم.
1972، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم.
الرفيق، م. عسير في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مطبع الفردوق.
1997، إمارة أبي عريش وعلاقتها بالدولة العثمانية، الرياض، مطبع الفردوق.
259


Admiralty 1914Handbook of Arabia ,London ,HMSO (Naval Intelligence Division).

Agate, P. 1997 L'Arabie Saoudite: quel etat et quel (s) droit (s)' ,in A. Mahiou (ed), L’ Etat de droit dans le monde Arabe, Paris, CNRS.


Corancez, L. 1995 The History of the Wahhabis from their Origin until the End of 1809 trans. E. Tabet, Reading: Garnet.


Fandy, M. 1998 Safar al-Hawali: Sa’udi Islamist of Sa’udi Nationalist?, Islam and Christian-Muslim Relations, 9/1: 5-21

1999 Saudi Arabia and the Politics of Dissent, Basingstoke, Macmillan.


Friedman, N. 1999 Desert Victory : The War of Kuwait,Annapolis : Naval Institute Press.


2006, Saudi Arabia over a Barrel’,Foreign Affairs ,79/3 : 80 94


Habib, J. 1978 Ibn Saud. s Warrriors of Islal: The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Saudi Kingdom,1910 1934Leiden ,Brill.


1993 Political Dynamics and Security in the Arabian Peninsula through the 1990s, Santa Monica, Rand.


Kostiner, J. 1985 ‘On Instruments and their Designers: The Ikhwan of Najd and the Emergence of the Saudi State’, Middle Eastern Studies, 21 298 323


364


Leverrier, I. 1996 .L'Arabie Saoudite, le pelerinage et l'Iran’, Cahiers d’etudes sur la Mediterranee orientale et le monde turco-iranien,22 114 47

1997The Kingdom of Saudi Arabia ,Gainesville ,University of Florida Press .


1994 .The Husaynid Amirate of Madina during the Mamluk Period’, Studia Islamica, 80 97 119


Ochsenwald, W. 1984 Religion, Society and the State in Arabia: The Hijaz under Ottoman Control 1840 1900Columbus ,Ohio State University Press .


Al Rasheed, Madawi, 1996 Saudi Arabia’s Islamic Opposition’, Current History, 95/597: 16 22

1996 ‘. God the King and the Nation: Political Rhetoric in Saudi Arabia in the 1990’, Middle East Journal, 50/3 : 359 71


al-Torki, S. and D. Colo 1989 Arabian Oasis City: The Transformation of , Unayzah, Austin, University of Texas Press.


الفهرس

فهرس الأعلام

<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم</th>
<th>صفحات</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أبانيا (المرجع)</td>
<td>236</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم (إبراهيم باشا)</td>
<td>88</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم، محمد بن</td>
<td>88</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو خالد، فوزية</td>
<td>265</td>
</tr>
<tr>
<td>أبير (المرجع)</td>
<td>44</td>
</tr>
<tr>
<td>إديريس، أحمد بن</td>
<td>74</td>
</tr>
<tr>
<td>الإدريسي، حسين بن علي</td>
<td>464</td>
</tr>
<tr>
<td>الإدريسي، محمد بن علي</td>
<td>75</td>
</tr>
<tr>
<td>أميرالتي (المرجع)</td>
<td>56</td>
</tr>
<tr>
<td>أنتوني (المرجع)</td>
<td>219</td>
</tr>
<tr>
<td>أندرسن (المرجع)</td>
<td>168</td>
</tr>
<tr>
<td>إندي (المرجع)</td>
<td>57</td>
</tr>
<tr>
<td>أنسكوب (المرجع)</td>
<td>372</td>
</tr>
<tr>
<td>أوناسيس، أرسطو</td>
<td>164</td>
</tr>
<tr>
<td>إيدي، دبليو. أي (ضابط مخابرات أمريكي ومستعرب)</td>
<td>149</td>
</tr>
<tr>
<td>أيزنهاور</td>
<td>169</td>
</tr>
<tr>
<td>أيوبي (المرجع)</td>
<td>201</td>
</tr>
</tbody>
</table>
باز، عبد العزيز بن: ٢٠١٤.٢٢٨.٢٣١.٢٣٥.٢٣٨.٢٥٠.٢٥١.٢٥٥.٢٥٨

بالخير، عبد الله: ١٥٦

باللوك (مرجع): ٢٦٦

بانغ (مرجع): ٧٥، ٧٧

بجري (مرجع): ٢١٢

بدر، الإمام (إمام اليمن): ١٦٦

براون (مرجع): ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٩

برابيس (مرجع): ٢٨٧

بركات، شريف (عينه السلطان سليم الأول أميراً على مكة): ٣٧

برون (مرجع): ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤٤

البسام (مرجع): ٨٠، ٨٥، ٨٨، ٨٧، ٩٦، ٩٣، ٨٨

بسكاتوري (مرجع): ١٨٦، ١٨٧

بكر، أبو (أول الخلفاء الراشدين): ٢٥٧

البكر، أحمد حسن: ١٨٤

بكري، عمر: ٢٤٦

البلوي، فضيل: ٢٥٣

بليلد، ابن (عائلة): ٨٦

بلغ (مرجع): ٨٨، ٨٠، ٨٠، ١٠٦

بتنا - مكين: ١١٢

البنيان، سالم: ٨٧

٢٧٠
بوکان (مرجع): 200, 185
بيترز (مرجع): 59, 58, 56
بيترسون (مرجع): 219
بیجاد، سلطان بن: 93, 96, 99, 100, 118
برشت (مرجع): 54
بیرکس (مرجع): 210, 211
بیک (مرجع): 191, 194
بیل، غیرترود (مرجع): 284, 285

الترکی (مرجع): 272
ترول (مرجع): 69, 71, 73, 74, 75, 76, 77
تربیب (مرجع): 184
تشرشل، ونستون: 138
تیمور، بنو: 162, 165

ثنیان، آل (فرع من آل سعود): 113
ثنیان، ابن: 74
ثنیان، عبد الله بن: 49
جبرير، محمد بن إبراهيم بن: ٢٣٨
جلوي، آل: ١٠٨، ١٠١، ١١٣
جلوي، سعد بن عبد الله بن: ١٨٨
جلوي، عبد العزيز بن مساعد آل: ١٨٨
جلوي، عبد الله بن: ٧٨، ١٠٨، ١١٣، ١٢٤
الجهني (مرجع): ٣٩، ٤٤، ٥٦، ٦٤، ٨٠، ٨٢، ٨٥
جونز (مرجع): ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠

حاكمة، أبو (مرجع): ٣٨، ٤٣، ٤٠، ٤٢، ٦٦
حبيب (مرجع): ٣٢، ٩٢، ٩٤
حثلين، ابن: ٩٣، ١٠٣
الحسن (مرجع): ٣٣، ٣٦، ٤١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٧٤، ٨٠، ٩٨
الحسن، الإمام (حفيد النبي محمد): ٤١، ٥٧
الحسن، الإمام (حفيد النبي محمد): ٤١، ٥٧
حسن، الشريف (ملك الحجاز): ٤٧، ٥٧، ٧٥، ٧٦، ٧٧
حسن، الشريف (ملك الحجاز): ٤٧، ٥٧، ٧٥، ٧٦، ٧٧
حسن، الملك (ملك الأردن السابق): ١٨٢، ١٨٦، ١٨٣، ١٦٥
حسن، صدام: ١٨٤، ١٨٦، ١٨٤، ٢٠١، ٢١٨، ٢٩٣، ٣٢٧، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٨
الحميد (زعيم قبيلة بني خالد قبل بروز الحركة الوهابية): ۶۲
حميد (مرجع): ۲۲۰
الحوالي (مرجع): ۲۷۸
الحوالي، صفر: ۲۸۸، ۲۳۹، ۲۳۲، ۲۳۵، ۲۴۵

---

خالد، بنو: ۳۷، ۴۵، ۴۱، ۴۱، ۶۳، ۶۵، ۲۳۹، ۱۱۱، ۱۱۷، ۱۱۲، ۰۵، ۱۱۹، ۱۲۹، ۱۲۲، ۱۲۰، ۱۲۳
خُرَجِمِس (أحد الخندم لدى آل سعود، أُنْيِطت به مَهمَة إطعام البدو ضيوف العائلة): ۱۲۴
الخطيب (عائلة): ۱۴۶
خلف، ابن: ۸۷
الخميني (مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران): ۲۰۴

---

داغوود (مرجع): ۱۵۸، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۰، ۱۵۹
الديباغ (عائلة): ۱۴۶
دلان (مرجع): ۵۷، ۵۹
دلان (مُفتي مكة في القرن التاسع عشر): ۵۹

۲۷۳
الدخيل (مرجع): ٧، ٧٦، ١٣١، ١٩٤
دريش (مرجع): ١٦٧
دكيمجان: ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨
دوتي (مرجع): ٦٢
دوماتو (مرجع): ٣٣٠
الدويش، فيصل: ٩٠، ٩٣، ٩٤، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ١٠١، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٥، ٢٠٢، ٢٠٣
دي غوري: ٢٨٤
ديتال (مرجع): ١٦٧
دير مولن، فيان (مرجع): ٢٨٤
ذر، أبو (مرجع): ١٤٤
الرشيد (مرجع: مضاوي الرشيد): ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٩
رشيد، آل: ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٨
رشيد، جهيرة بنت محمد بن: ١١٥، ١١٧
رشيد، سعود بن عبد العزيز بن: ١٧، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥
رشيد، عبد العزيز بن متعب بن: ٦٩، ٦٩
رشيد، عبد الله بن: ٤٩
رشيد، محمد بن: ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٢
٢٧٤
رشيد، وطفاء بنت محمد بن: ١١٥

رضأ، محمد علي: ١٥٧، ١٥٦

رضوان (مرجع): ٢٤٠

رفادة، ابن: ١٤٦

الرمحي، داود: ١٨٥

روشفيلت، فرانكلين: ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ٢٨٢

روزنفيلد (مرجع): ٦٤

ريجاني (مرجع): ١٠٩، ١١١، ١٢٢، ٢٨٤

ريغان، رونالد: ٢٢٣، ٢٣٢

الزائر (مرجع): ٢٠٤

الزرقاءي (مرجع): ١٩، ٨١، ٨٩، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤

الزليفي (مرجع): ٧٤

زين العابدين، سهيلة: ٢١٢

السادات، أنور: ١٨٧

السالم، آل: ٨٦

سالم، عمر بن محمد بن: ٩٣

سامور (مرجع): ١٠٨، ١١٠، ١١٤

السباعي (مرجع): ٥٦، ٣٧
سبهان، سالم: 50

ستينبرغ (مرجع): 70، 83، 92

السديري، آل: 113

السديري، جوهرة بنت (زوجة سعد أخى ابن سعود، ولاحقا بعد موتها زوجة ابن سعود): 109

السراج، عبد الحميد: 166

سعود، أحمد بن عبد الرحمن آل: 109

سعود، أحمد بن عبد العزيز آل: 206، 454

سعود، آل: 39، 40، 41، 42، 44، 46، 47، 49، 50، 51، 55، 68، 69، 78، 79، 81، 108، 109، 117، 110، 116، 117

سعود، تركي بن عبد العزيز آل: 254، 206

سعود، تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل: 459

سعود، خالد آل (حاكم جنوب نجد، عينه العثمانيون عام 1837): 49

سعود، خالد بن سعود بن عبد العزيز آل: 159

سعود خالد بن عبد العزيز آل: 171، 174، 176، 178، 185، 196، 200، 206، 207، 209، 208، 208، 206، 205، 204، 199، 185، 174، 176، 178

سعود، خالد بن محمد بن عبد الرحمن آل: 110

سعود، خالد بن سعد بن عبد العزيز آل: 156

سعود، سعد بن سعود بن عبد العزيز آل: 109

سعود، سعد بن عبد الرحمن آل: 106

276
سعود، سعود بن عبد الرحمن آل: 108، 89، 138، 126، 121، 115، 112، 111، 110، 109، 108، 107، 106، 105، 104، 103، 102، 101، 100، 99، 98، 97، 96، 95، 94، 93، 92، 91، 90، 89، 88، 87، 86، 85، 84، 83، 82، 81، 80، 79، 78، 77، 76، 75، 74، 73، 72، 71، 70، 69، 68، 67، 66، 65، 64، 63، 62، 61، 60، 59، 58، 57، 56، 55، 54، 53، 52، 51، 50، 49، 48، 47، 46، 45، 44، 43، 42، 41، 40، 39، 38، 37، 36، 35، 34، 33، 32، 31، 30، 29، 28، 27، 26، 25، 24، 23، 22، 21، 20، 19، 18، 17، 16، 15، 14، 13، 12، 11، 10، 9، 8، 7، 6، 5، 4، 3، 2، 1، 0، -1، -2، -3، -4، -5، -6، -7، -8، -9، -10، -11، -12، -13، -14، -15، -16، -17، -18، -19، -20، -21، -22، -23، -24، -25، -26، -27، -28، -29، -30

294، 293، 292، 289، 288، 287، 286، 285، 284، 283

277
سعود، عبد العزيز بن فيصل بن تركي آل: ١٥٧
سعود، عبد العزيز بن محمد بن: ٤٥، ٤٦، ٤٨
سعود، عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل: ٤٧، ٤٨
سعود، عبد الله بن عبد الرحمن آل: ١١٠، ١٢١
سعود، عبد الله بن عبد الرحمن آل: ١٥٧
سعود، عبد العزيز آل: ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩
سعود، عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل: ٥٠، ٥٩
سعود، عبد المحسن بن عبد الرحمن آل: ١٥٧
سعود، فهد بن سعود بن عبد العزيز آل: ١٥٧
سعود، فواز بن عبد العزيز آل: ١٥٧
سعود، فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل: ٤٩، ٥٩، ٦٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٧١، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩
سعود، فيصل بن مساعد بن عبد العزيز آل: ١٨٦
سعود، محمد بن عبد الوهاب آل: ٥٩
سعود، محمد بن عبد العزيز آل (أبو سعود الكبير): ١٨٨

٢٧٨
سعود، محمد بن عبد العزيز آل: ١٥٦
سعود، محمد بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل: ٤٩، ٥٠، ٥٣
سعود، مساعد بن سعود بن عبد العزيز آل: ١٥٦
سعود، مساعد بن عبد الرحمن آل: ١٥٧، ١٥٩
سعود، مساعد بن عبد العزيز آل: ١٥
سعود، مشاري آل: ٤٨.
سعود، منيرة بنت عبد الرحمن آل (أخت ابن سعود): ١٠٨
سعود، موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل: ٢٦٤
سعود، نايف بن عبد العزيز آل: ١٧٤، ٢٥٠، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٤٠
سعود، نورة بنت عبد الرحمن آل (أخت ابن سعود): ٢٨٣، ١٠٨
السعيد، ناصر (معارض سعودي): ١٤٣
سفران (مرجع): ١٥٤، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥
السفاق، خيرية: ٢١٢
السلاسل، عبد الله: ١٦٦
سلفلت (مرجع): ٧٠، ٧٦، ٧٩، ٧١، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢
السلام (مرجع): ١٧٣
سليم الأول (أحد السلاطنة العثمانيين): ٣٧
سليمان، عبد الله بن (وزير المال في عهد ابن سعود): ١٣٢، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٩، ١٢٩٤
١٥٨، ١٣٣
الشيخ (مراجع): ۱۳۷۱، ۱۳۸۰، ۱۳۸۱، ۱۳۸۲، ۱۳۸۳، ۱۳۸۴، ۱۳۸۵، ۱۳۸۶، ۱۳۸۷، ۱۳۸۸، ۱۳۸۹، ۱۳۹۰، ۱۳۹۱، ۱۳۹۲، ۱۳۹۳، ۱۳۹۴، ۱۳۹۵، ۱۳۹۶، ۱۳۹۷، ۱۳۹۸

الشيخ، آل: ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۱۹

الشيخ، عبد الله بن عبد اللطيف آل (زوجة ابن سعود وأب الملك فيصل): ۱۱۵

الشيخ، عبد الله بن عبد اللطيف آل: ۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۴، ۹۵، ۹۶، ۹۷، ۹۸، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲

السفي، آل: ۸۶

سيمونب (مراجع): ۱۴۹، ۲۰۸، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۲، ۲۱۳

شامية (مراجع): ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۰

شعلان، آل: ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸

شکسبير (المكتبة شكسبير: مبعوث بريطاني أبرز معاهدة مع ابن سعود): ۷۰، ۷۱

الشمراني (مراجع): ۲۷۴، ۲۷۵

الشمراوي، عبد الرحمن: ۱۶۵

الشام، آل: ۲۳۲، ۲۳۳، ۲۳۴

الشام، فهد بننان عامي (زوجة ابن سعود): ۱۱۵

الشاعر، آل: ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۰۹

الشاعر، بدون اسم: ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۰۹
طالب، علي بن أبي (ابن عم النبي محمد): 257
الطريقي، عبد الله: 167، 169، 172، 161، 181، 185
الطويل، يوسف: 185

عائش، محمد بن: 60
عاف، عبد السلام: 166
عبد الرحيم (مرجع): 47
عبد العزيز (أ: عبد العزيز باشا، حاكم نجد العثماني): 96
عبد الله (الحاكم السعودي في سبعينيات القرن التاسع عشر): 108
عبد الله (مرجع): 77، 86، 87، 94، 92، 138، 165
عبد الله (مرجع): 155، 137
عبد الناصر،جمال: 158، 164، 165، 167، 166، 161، 19، 18، 182، 183، 184، 182، 181، 186، 187، 188، 182، 180، 186، 182، 184، 183، 184، 185
عبد الوهاب، محمد بن (مؤسس المذهب الوهابي): 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 52، 53، 54، 80، 81، 82، 83، 84، 85
العتبي، جهيمان بن محمد: 100، 201، 202
عتيف، ابن (عائلة): 86

281
العثيمين (مرجع) : 680، 4)

العثيمين، عبد الله (ورد كمرجع أيضاً) : 257، 270، 282، 267، 276، 278، 282، 282، 282، 282

عجل، عقاب بن : 90

عجلان (مثل محمد بن رشيد في الرياض) : 282، 276، 278، 282، 282

العراقي (فرع من آل سعود) : 108، 1٧، 91

 عربي (مرجع) : 865

عرير، براك بن : 63

عرير، وضحى بنت (زوجة ابن سعود وأم الملك سعود) : 115

عطار (مرجع) : 873

العظمة (مرجع) : 82

عفلق، ميشيل : 175

علي بابا (من الشخصيات المستحمرة من المخلية الشعبية العربية) : 89

علي بنو (فرع من قبيلة حرب) : 57

علي، محمد (محمد علي باشا) : 38، 47، 55، 59، 48

عليان، آل : 140

عليه، أبو (مرجع) : 48

العمر، ناصر : 86

العنبري، آل : 86

العنبري، عبد الله : 93

العودية، سلمان (معارض سعودي) : 128، 239، 238، 232، 229، 232، 239، 245

عون، عبد الله بن محمد بن : 90

282
عون، محمد بن: ۵۹، ۶۰، ۶۱.
العيسى، آل: ۸۶.

غلب، الإمام: ۱۶۵.
غلب، عبد المطلب بن (شريف مكة المعين من قبل العثمانيين أوائل القرن التاسع عشر): ۴۶، ۴۷.
الغامدي، سعيد: ۲۵.
غره، غراهام (مرجع): ۲۲۹.
غره، غرايسون (مرجع): ۱۷۸، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۶، ۱۹۷، ۱۹۸، ۱۹۹.
الغرغبني، خالد: ۱۳۶.
غوز (مرجع): ۱۵۷.
غولاب (مرجع): ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۶.

فأروش، الملك (ملك مصر المخلوع على يد ثورة "الضباط الأحرار" بقيادة جمال عبد الناصر): ۲۸۲، ۲۸۳.
فاسيبيف، (مرجع): ۴۸، ۴۹، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۵۷، ۵۸، ۵۹، ۶۰، ۶۱، ۶۲، ۶۳.
فاند، فيرمان: ۲۸۱.
فتح (مرجع): ۶۲، ۶۳، ۶۴، ۶۵،۶۶، ۶۷، ۶۸، ۶۹، ۷۰، ۷۱، ۷۲، ۷۳، ۷۴، ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۷۸، ۷۹، ۸۰، ۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۴، ۹۵، ۹۶، ۹۷، ۹۸، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹.
فروعون، رشاد (طبيب الملك ابن سعود، وزير الصحة في عهد الملك سعود): ۱۵۶.

۲۸۳
الفريدي، عائض: 253
فريرز (مرجع): 187، 192، 195، 196، 197، 245، 246، 247، 248، 249
الفقيه، سعد (معارض سعودي): 242، 243، 244، 245، 246، 247
فندق (مرجع): 238، 239، 240، 241
فوزان (عائلة): 129
فيتاليسيس (مرجع): 123، 128، 130، 141، 142، 143، 144، 145
فيسي (مرجع): 137، 138
فيصل الثاني، الملك (ملك العراق عام 1957): 166
فيليبي (مرجع): 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94
فيلد (مرجع): 141، 142

قاسم، عبد الكريم: 166
القانوني، سليمان (أحد السلالة العثمانية): 37
القحطاني (مرجع): 18، 202، 204
القحطاني، محمد بن عبد الله: 202، 201
القرني، عائض: 232
القرني، عواد: 214
القصبي (عائلة): 140، 141
القصبي، غازي: 129
284
كارتر، جيمي: 222
كراوفورد: 66
كشك (مرجع): 168
كنداين (مرجع): 287
كينيدي، جون: 170
كوردمان: 9, 185, 232, 233, 210, 322
كوستاينر (مرجع): 28, 285, 320, 734, 74, 35, 64, 56, 96, 92, 1, 3, 10, 1, 3
كوك (مرجع): 64
كول (مرجع): 272, 271
كيشيسيان (مرجع): 218, 254

لادن، أسامة أبن: 249, 30, 253
لاكنر (مرجع): 144, 96
لدريدل (مرجع): 69, 70, 71, 77, 78, 79, 86, 87, 91, 4, 1, 6, 1, 1, 146, 1, 1, 148, 1, 1
لورينغ (مرجع): 8, 38, 38, 32, 66, 49, 96, 149
لولس (مرجع): 149
لونغ (مرجع): 135, 133
لونغريغ، ستيفن: 133
لينر (مرجع): 113

285
ماكدونالد (مرجع): 224, 222
ماكلوغلن (مرجع): 117
المانع (مرجع): 126, 118, 84, 123, 126, 129
محمود (النبي): 267, 275, 282
مدحت باشا: 63
المسيري، عبد الله: 242
المسيري، محمد بن عبد الله (معارض سعودي): 226, 246, 245, 246, 246, 246
معمر، عبد العزيز: 157
معمر، عثمان بن: 41
منديل (عائلة): 129
منيف، عبد الرحمن: 144
منيف، عبد الرحمن: 144
المهدي (حفيد النبي محمد وأحد أئمة الشيعة، يؤمن الشيعة بأنه سوف يظهر لينصرهم): 203, 202, 201
موسى (مرجع): 209
موسيل (مرجع): 53
مولن، فان دير: 151
مونرو (مؤرخة وكاتبة سيرة الرحلات والمؤرخ فيلبي): 134

286
ميلر (مرجع): ١٤٩

ن - ناصيف، عبد الله عمر: ٢٣٨

النفيسي (عائلة): ١٢٩

نور، ابن (إمام مسجد الرياض عام ١٩٣٣): ١٣٢، ١٣١

نهير، ندي بن: ٩٠

نيبلوك (مرجع): ١٢٧، ١٢٥

ه - هاليداي، فريد (مرجع): ١٩٨، ١٩٧

هاملتون، لويد: ١٣٢

هاوايث (مرجع): ١٢٤

هندسون (مرجع): ٢٥٤

هوغارد (مرجع): ٥٧، ٥٦، ٥٨

هولدن (مرجع): ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠

هيلمز (مرجع): ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٨٩

و - وائل، بنو: ٣٨

والن (مرجع): ٦٤

وايندر (مرجع): ٤٨

ولسن (مرجع): ٣٢٩
ولكنن (مرجع): ١٦٥
وهبة (مرجع): ٩٨
وهبة، حافظ: ١٢٦، ١٣٩.

ياسين، يوسف: ١٣٦، ١٣٩، ٢٠١
الياسيني (مرجع): ٩٢، ٢٠١، ١٤٦، ١٢٢، ١٠٤
يحيى (إمام اليمن): ٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٥
يزرائيلي (مرجع): ١٠٠، ٢٧٤، ٢٧١، ١٨١
يماني (مرجع): ٢١٣، ١٧٤، ١٧٢، ٢٠١، ٢٠١
يماني، محمد زكي: ٢١٣، ١٧٤، ١٧٢.
ف企图 الأماكن والقبائل

- آسيا: 1211, 1876, 1875
  - أقيقد: 141
  - أيها: 179

الأبيض المتوسط، البحر (= البحر المتوسط): 150, 168, 180


الأحمر، البحر: 145

الأردن: 177, 179, 182, 183, 184, 185

الأرطواوية: 103, 106

أريتريا: 75

إسرائيل: 148, 148, 182, 184, 186, 190, 192, 195, 197, 199

أفريقيا: 57, 62, 76, 113, 187

أفغانستان: 190, 216, 218, 221, 223

أفلاج: 48

الأقصى، المسجد: 186

ألمانيا: 137

الإمارات العربية المتحدة: 218

289
أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية): 196, 197, 198, 199, 200, 201.

أوروبا: 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151.

أوروبا الغربية: 194.

الأوسط، الشرق: 149, 150, 151, 152, 153, 154.


إيطاليا: 144, 145.

الاتحاد السوفيتي: 223.

اسطنبول: 224.

---

باريس: 273, 274.

الباطن: 198.

باكستان: 185, 186.

البحرين: 216, 217, 218, 219, 220, 221.

براغ: 164.

بريدة: 69.

بريطانيا: 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45.

البريمي: 165.

البصرة: 65.

69.
بغداد: 37, 38, 39, 165, 166, 167, 168
بلودان: 168
بلي (قيبلة): 53, 56
بومباي: 17
بيروت: 158, 160

بيكرزفيلد: 140
تبوك: 198
ترية: 74
تركيا: 57, 168
تكساس: 158
تيماء: 87

ثرمة: 93

جبيل: 132, 71
جدة: 37, 38, 39, 43, 44, 45, 46, 47, 51
الجزيرة العربية (شبه الجزيرة العربية): 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152
396
الجُهينة (قبيلة): ۷۵
الجوف: ۷۹
الجولان: هضبة ۸۳

حاثل: ۴۹، ۴۸، ۴۶، ۴۵، ۴۲، ۴۱، ۴۰، ۳۹، ۳۸، ۳۷، ۳۶، ۳۵، ۳۴، ۳۳، ۳۲، ۳۱، ۳۰، ۲۹، ۲۸، ۲۷، ۲۶، ۲۵، ۲۴، ۲۳، ۲۲، ۲۱، ۲۰، ۱۹، ۱۸، ۱۷، ۱۶، ۱۵، ۱۴، ۱۳، ۱۲، ۱۱، ۱۰، ۹، ۸، ۷، ۶، ۵، ۴، ۳، ۲، ۱.

الحجاز: ۴۷، ۴۳، ۴۲، ۳۹، ۳۸، ۳۷، ۳۶، ۳۵، ۳۴، ۳۳، ۳۲، ۳۱، ۳۰، ۲۹، ۲۸، ۲۷، ۲۶، ۲۵، ۲۴، ۲۳، ۲۲، ۲۱، ۲۰، ۱۹، ۱۸، ۱۷، ۱۶، ۱۵، ۱۴، ۱۳، ۱۲، ۱۱، ۱۰، ۹، ۸، ۷، ۶، ۵، ۴، ۳، ۲، ۱.

حضرموت، أبو: ۱۴۱
الحرم، المسجد = المسجد الكبير): ۱۹۰، ۱۸۰، ۱۷۰، ۱۶۰، ۱۵۰، ۱۴۰، ۱۳۰، ۱۲۰، ۱۱۰، ۱۰۰، ۹۰، ۸۰، ۷۰، ۶۰، ۵۰، ۴۰، ۳۰، ۲۰، ۱۰، ۰.

حب (قبيلة): ۵۶، ۵۵، ۵۴، ۵۳، ۵۲، ۵۱، ۵۰، ۴۹، ۴۸، ۴۷، ۴۶، ۴۵، ۴۴، ۴۳، ۴۲، ۴۱، ۴۰، ۳۹، ۳۸، ۳۷، ۳۶، ۳۵، ۳۴، ۳۳، ۳۲، ۳۱، ۳۰، ۲۹، ۲۸، ۲۷، ۲۶، ۲۵، ۲۴، ۲۳، ۲۲، ۲۱، ۲۰، ۱۹، ۱۸، ۱۷، ۱۶، ۱۵، ۱۴، ۱۳، ۱۲، ۱۱، ۱۰، ۹، ۸، ۷، ۶، ۵، ۴، ۳، ۲، ۱.

حلب: ۵۷، ۵۶، ۵۵، ۵۴، ۵۳، ۵۲، ۵۱، ۵۰، ۴۹، ۴۸، ۴۷، ۴۶، ۴۵، ۴۴، ۴۳، ۴۲، ۴۱، ۴۰، ۳۹، ۳۸، ۳۷، ۳۶، ۳۵، ۳۴، ۳۳، ۳۲، ۳۱، ۳۰، ۲۹، ۲۸، ۲۷، ۲۶، ۲۵، ۲۴، ۲۳، ۲۲، ۲۱، ۲۰، ۱۹، ۱۸، ۱۷، ۱۶، ۱۵، ۱۴، ۱۳، ۱۲، ۱۱، ۱۰، ۹، ۸، ۷، ۶، ۵، ۴، ۳، ۲، ۱.

حنيفة، وادي: ۱۳۰
الحوطة: ۴۸
حويطات (قبيلة): ۵۶
اخبر: ١٨٣٠٤٨، ٦٥، ٥٠، ٤٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
الخبر: ٠٤، ٦٨، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨٠، ٨١، ٨٣.
السويس (مدينة) : 13، 167، 164، 160، 166، 194، 183
سيناء : 183

ش

الشرارات (قبيلة) : 56

الشرقية، المنطقة : 17، 18، 8، 6، 3، 1، 3، 0، 1، 4، 1، 8، 1، 8، 3، 1، 8، 4، 0، 1، 8، 3، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2، 0، 2

شمر، جبل : 55، 50، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56، 53، 56

شمر (قبيلة) : 54، 55، 56، 57، 53، 56، 53، 56

162، 143

ص

صيبا : 74

ض

الضفة الغربية : 149، 183

ط

الطائف : 54، 57، 56، 57، 96، 94، 111

طرابلس : 25

طريق : 179

طهران : 232، 204

ظ

ظبي، أبو : 165
الظهران: 406,149,136,125,150

العراق: 68,49,68,61,91,30


طقية، بنو (قبيلة): 66

العقبة: 76

عسير: 66

عطية، بنو (قبيلة): 56

عمان: 66

عندية (قبيلة): 113

عندية (مدينة): 163

العينية: 56

غزة: 183

296
الكويت: 158، 110، 104، 196، 78، 77، 91، 22

لبنان: 215، 210، 144، 172

السعودية: 187، 186، 185، 183

ليبيا: 273، 164، 163، 156

مارب: 254

المحمل: 48

المدينة (المدينة المنورة): 273، 246، 178، 57، 76، 85، 12، 99

المرأة (قبيلة): 49، 50، 66

مسقط: 214، 107

مشیر، خمس: 198

مصر: 37، 45، 79، 89، 143، 142، 88، 126، 55، 105، 153، 142

الطير (قبيلة): 99، 93

مغفي (قبيلة): 60

مكة: 28، 27، 26، 37، 48، 57، 61، 76، 81، 74، 59، 58، 57، 56، 50، 49، 58

298
مليدة: 50
المنتفق (قبيلة): 50
منفوفة: 48
موجايف: 140
موران (مدينة من نسج خيال أحد أعمال عبد الرحمن منيف الروائية): 134

ن --

و -

واشنطن: 137, 149, 168, 150, 171.

وشنم: 88.

الولايات المتحدة الأمريكية: 135, 143, 177, 181, 149, 183, 184, 180, 178.

إيران: 189, 190.

وبير (فرع من قبيلة شمر): 90.

ي -

اليابان: 192.

اليمن الجنوبي: 196.


اليونان: 163.
فهرس المعاهدات وامؤتمرات

بحرية (معاهدة): ١٠٠
بغداد (الخف): ١٦٥، ١٦٤
جدة (معاهدة): ١٨٢، ٧٨
الخرطوم (مؤتمّر): ١٨٣
الطائف (معاهدة): ١٤٦
كَامب دايفيد (اتفاقية): ٢١٦، ٢١٥
مارشال (مشروع): ١٦٨
مذكرة النصيحة: ٢٣٧، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٧
مكة (مؤتمّر): ١٨٦
مكة (معاهدة): ٧٨
هداة (معاهدة): ٧٧
فهرس المحتويات

كرونولوجيا ................................................................. ٢
المقدمة ........................................................................ ٧
الفصل الأول
المجتمع والسياسة؛ ١٧٤٤-١٨١٨ و١٨٢٤-١٨٩١ ........ ٢٠
أصول آل سعود (١٧٤٤-١٨١٨) ........................................... ٢١
انبعاث سعودي هضب (١٨٩١-١٩٢٤) ................................. ٣٠
إمارة آل رشيد في حائل (١٩٢١-١٩٣٦) ......................... ٣٣
المملكة الشريفة في الحجاز ........................................... ٣٧
الأحساء في القرن الوافر عشر ........................................ ٤٢
تكوين الإمارات في الجزيرة العربية ............................. ٤٤
الفصل الثاني
الدولة الناشئة؛ ١٩٠٢-١٩٣٢ ................................. ٤٦
الاستيلاء على الرياض (١٩٠٢) ........................................ ٤٦
الحرب العالمية الأولى وابن سعود ............................... ٤٨
الاستيلاء على حائل ...................................................... ٥٠
الاستيلاء على الحجاز (١٩٢٥) ...................................... ٥٢
مطاوعة «جد» .................................................................. ٥٧
«الأخوان» ..................................................................... ٦٨
انهيار تمرد «الأخوان» .................................................. ٧٩
٣٠٢
الفصل الثالث

السيطرة والولاء: 1932 - 1953

تهميش الفروع السعودية الجانبية

تكريس ذريعة ابن سعود

السُنَّة والأبهة في الحقبة ما قبل النفطية: المجلس

شؤون الدولة

الامتياز النفطي (1933)

نطبق الكميات التجارية

الجدول رقم 1

عائدات الحكومة 1946 - 1952

النفط والمجتمع في الأربعينيات والخمسينيات

يكتب منيف في الأخدود:

العربية السعودية وبريطانيا

الفصل الرابع

سياسة المعارضة: 1953 - 1973

عهد الملك سعود

العربية السعودية والعالم العربي في الخمسينيات

العربية السعودية والولايات المتحدة في الخمسينيات وأوائل الستينيات

عهد الملك فيصل (1964 - 1975)

فصول والعالم العربي

303
الفصل الخامس
من الرخاء إلى التقشف: 1972 - 1980 ............ 156
الرخاء: المقاطعة النفطية (1972) ............. 157
مواطن الانكشاف: العلاقات السعودية-الأمريكية في السبعينيات ..................... 161
عهد الملك خالد (1975 - 1982) ................. 165
جدول رقم 3 . ...................................... 172
حجم الصادرات النفطية وإجمالي الناتج المحلي: 1982 - 1997 ................. 172
عهد الملك فهد (1982) : التقشف .............. 173
العربية السعودية والسياق الخليجي في الثمانينيات .............. 180
الفصل السادس
حرب الخليج الثانية وأثارها: 1990 - 2000 ........ 190
ردود الدولة: إصلاحات آذار/ مارس 1992 ........ 199
المعارضة الإسلامية ................. 204
الخلافة ..................... 215
الفصل السابع
 موقف الدولة، موقف الشعب ....... 217
التاريخ الرسمي .................... 217
الخطاب السياسي ............. 226
تحدي المرؤى التاريخي ............. 229
احتفالات الذكرى المئوية: عودة إلى الاستياء على الرياض ............. 234
تحدي احتفالات الذكرى المئوية .............. 243
304
خلاصة ........................................ 245
الملاحق ...........................................
الملحق رقم (1) .................................. 252
حكم آل سعود في الدرعية (1744 - 1818) ..... 252
الملحق رقم (2) .................................. 253
حكم آل سعود في الرياض (1824 - 1891) ..... 253
الملحق رقم (3) .................................. 254
أبناء ابن سعود (1900 - 1953) .................. 254

بيلوغرافيا ........................................
صحف ومجلات ...................................... 255
مطبوعات سعودية رسمية .......................... 255
أعمال أخرى .................................... 256
الفهرس .............................................
فهرس الأعلام ................................... 269
فهرس الأماكن والقبائل .......................... 289
فهرس المعاهد والمؤتمرات ..................... 301
فهرس المحتويات ................................ 302

305